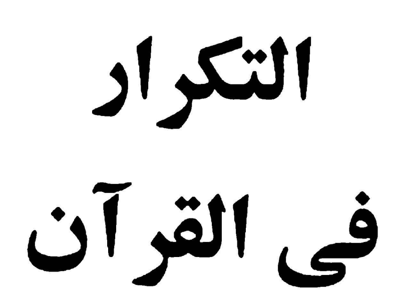


التكرار في القرآن

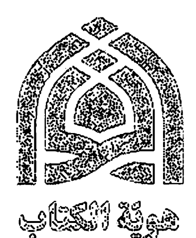
الدكتور علي الغضنفري



لمؤلفه المحقق
الدكتور على الغضنفري

عضو هيئة التد
بجامعة علوم و معارف

سرشناسه: غضنفری، علی، ۱۳۴۲-
عنوان و نام پدیدآور: التکرار فی القرآن/ علی غضنفری
مشخصات نشر: تهران: دانشکده علوم و فنون قرآن تهران، ۱۳۹۳
مشخصات ظاهری: ۳۴۴ص.
قیمت: ۲۰۰۰۰۰ ریال ISBN: 978-600-94488-0-7
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا
یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس
موضوع: ۱. قرآن- مسائل لغوی ۲. قرآن - واژه شناسی
رده بندی کنگره: ۱۳۹۲ BP۸۲/۷/غ۶ت۸
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۵۳
شماره کتابشناسی ملی: ۳۴۸۲۲۹



هویة الکتاب

◎ اسم الکتاب: التکرار فی القرآن
◎ الناشر: دانشکده علوم و فنون قرآن تهران
◎ المؤلف: الدکتور علی الغضنفری
◎ تقویم النص: الطباطبائی
◎ الطبعة الاولی ۱۴۳۵ ق
◎ المطبعة: دژ
◎ الکمیة: ۱۰۰۰ نسخة
◎ السعر: ۲۰۰۰۰ تومان
◎ الشابک: ۷-۰-۹۴۴۸۸-۶۰۰-۹۷۸

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهــداء

إليك يا رسول الله

هذا الجهد المتواضع،

صلى الله عليك و على أهل بيتك الطّيبين الطاهرين

الهي لا تعذّب لسانا يُخبِر عنك و لا عينا تنظر إلى وحيك و لا فؤاداً تفكّر في آلائك و لا يدا تكتب تبيين كلامك و لا قدما تمشى في خدمتك.

برحمتك و عفوك

يا اله العالمين و يا ارحم الراحمين

المقدمة

الحمدلله الذي انزل القرآن هدى للناس والبيّنات من الهدى والفرقان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الّذي تجلّى بذاته على ذاته فتنزّه من مجانسة مخلوقاته وتجلّى باسمائه وصفاته على سائر مصنوعاته.

والصلوة والسلام على ملائكته وانبيائه سيّما من ارسله رحمةً للعالمين ورؤوفاً بالمؤمنين، سيدالمرسلين ابي‌القاسم محمّد وعلى أهل‌بيته الطّيّبين من ابن عمه ووارث علمه وخازن اسراره واولاده المعصومين المنتجبين لاسيّما ناموس الدهر وامام العصر الحجة الثاني عشر عجل‌الله تعالى فرجه و على محبّيه و صحبه الّذين اهتدوا بهدايته، ورضوان‌الله على ساداتنا ومشايخنا واخواننا الّذين سبقونا بالايمان، والعن دائم على الاشقى الّذي كذّب وتولّىٰ.

اما بعد، فانّ كلام‌الله هو اشرف كلام، وعلمه اشرف العلوم ودراسته اشرف وافضل دراسة، والنظر اليه طاعة وقرائته عبادة وتلاوته سعادة وللذنوب كفارة وفي النار ستر وفي القيامة أمان وفي الجنة درجة.

قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: **«عليك بقراءة القرآن فإنّ قراءَته كفّارة للذنوب وستر في النار وامان من العذاب»** [1].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: **«إنّ درجات الجنّةِ على قدر آيات القرآن، يقال له اقرء**

۱ـ بحارالأنوار، ج ۹۲، ص ۱۷.

وارقاء فيقرئ ثم يرقىٰ» [1].

فطوبىٰ لمن جلس على مأدبة القرآن واقبل اليها بجوانحه وجوارحه وبلغ سعيه لأن يستفيد منه.

قال رسول‌الله ﷺ: **«القرآن مأدبة الله فتعلّموا مادبته ما استطعتم»** [2].

واستمسك بحبل‌الله المتين.

قال ابوالحسن الرضاعليه السلام: **«هو (القرآن) حبل‌الله المتين وعروته‌الوثقىٰ»** [3].

ويهتدي بالقرآن:

قال على عليه السلام: **«القرآن افضل الهدايتين»** [4].

فانه يهدى للّتي هي اقوم:

﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [5].

فهو الطريق الاقوم والاسلوب الاحسن في كل جانب من جوانب‌الوجود. فهو يتحدّث عن آخر شريعة تكاملت في جميع الجوانب الحياة الّذي نزل على خاتم‌النبيّين ﷺ.

والآن نتعرض الى عدة مواضيع رئيسية نذكرها على الشكل الآتى.

الموضوع

قد عرفت ان فى القرآن الفاظا معانيا و مفاهيما كلية فالألفاظ مركبة من الحروف و لابد

١ـ وسايل الشيعة، ج ٤، ص ٤٠.

٢ـ بحارالأنوار، ج ٩٢، ص ١٩.

٣ـ بحارالأنوار، ج ٩٢، ص ١٤.

٤ـ غررالحكم.

٥ـ سورة الاسراء، الآية ٩.

من تكرارها و ذلک لان الحروف عددها محدد کما ان المعانی المستعملة فی اللـغة العـربية محددة فی الحوار الحسی ايضاً.

و اما المفاهيم کالمبدأ والمعاد و غيرهما و هذه ايضاً لابد من تكرارها لانها مفاهيم کلية فالقرآن کله توحيد و تحدث عن التوحيد و مراتبه.

فدار البحث حول مدی تكرار المفاهيم الجزئية لنری هل انها تكررت ام لا؟

الجذور التاريخية و معاناة التحقيق

بعد ان تأملت كتب الخاصة والعامة، لم أجد فيها بحثاً كاملًا وشافياً في هذاالمجال ويؤيدنا في هذا ما قال «احمد عطاء» في بيان هدفه من تحقيق كتاب «اسرار التكرار في القرآن»:

«وقبل ان اعتزم اخراج الكتاب الى النّورِ، راجعت كثيراً من كتب التفسير الّتي عنيت بالمقارنة والبحث، كارشاد العقل السليم لأبي السعود و... خشية ان يكون الكرماني قد نقل مسئلة من هنا ومسئلة من هناك، ولفق من نقوله كتاباً كما يفعل الكثيرون، فلم اجد ما يشير الى هذا الظنّ من قريب أو بعيد» [1].

وقال الكرماني نفسه:

«فالأئمة رحمهم‌الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه، واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الّذي لا يقوم باعبائه الا من وفقّه‌الله لادائه» [2].

وهذا الادعاء من الكرماني ومحقّق كتابه لا يخلو من اشكال، لأنّ أبوعبدالله محمد بن عبد الله الاسكافي المعروف بالخطيب الاسكافي الاصبهاني، قد صنّف كتاباً قيّما في بيان

١ـاسرار التكرار في القرآن، ص ٢٠.

٢ـالمصدر، ص ٦٤.

المتشابهات على الوجه الّذي سلكه الكرماني وهو متوفى ٤٢٠ هـق [١]، والكرماني كان على قيد الحياة فى حدود سنة ٥٠٠ ق و توفى بعدها.

نعم يمكن ان الكرماني ومحقق كتابه ما رأوا كتاب الاسكافي، ولكن من قرء الكتابين وقايس بينهما علم بعدم صحة ما ادعاه الكرماني.

هذا، ولكن هاتين العبارتين من الكرماني ومحقق كتابه احمد عطا، يؤيدنا بانه لم يبحث عن التكرار في الآيات وعن اسراره ووجوهه في كلمات ائمة الفن قبل الاسكافي على الأقل.

نعم الخطيب والكرماني وغيرهما وان كانوا قد بحثوا عن الآيات المتماثلة ولكنّهم لا يبحثوا عن علّة نزول الآيتين المتماثلتين، بل كان اساس بحثهم هو علة الاختلاف في الحروف والكلمات في هاتين الآيتين او الآيات [٢].

فبعد ان تأملت كتب المتأخرين عنهم أيضاً وفتشتُ مئات الكتب، ما وجدت كتاباً أو رسالة في هذا الموضوع حتّىٰ يكشف القناع عنه وإن كان قد بحث عن الموضوع عدة من العلماء شكرالله مساعيهم مذكورة في خلال كتبهم بشكل موجز ولم يبحث بما هو موضوع له ابعاد متعددة وجهات مختلفة.

وهذا الاستقراء مني وإن لم يكن استقرائاً تاماً ولكنى تتبعت كثيراً بحيث لوكان لعرفته أو على الأقل لرأيت الإشارة إليه.

الكلام حول كتاب تاج‌القراء الكرماني

قد بحث الخطيب والكرماني وغيرهما عن الآيات المتشابه في القرآن الكريم ولكن لا من جهة بيان سر تكرار الآية أو تكرار جزء منها، بل كان اساس بحثهم عن علة اختلاف

١ـ درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي.

٢ـ يأتي البحث عنه مفصلًا.

الآيات المتماثلة من حيث التقديم والتأخير وغيرهما مما لاصلة له بسرّ التكرار.

فالخطيب وغيره من ابن زبير الثقفي وابن حيّون التميمي والسيد الشريف الرضي والقاضي عبدالجبار وابن شهرآشوب، ليس لهم هذا الادعاء، مع انّهم قدسمّوا كتابهم ببيان تأويل القرآن وملاكه [1] واساس التأويل [2] وحقائق التأويل [3] ومتشابه القرآن [4] ومختلفه [5].

امّا الكرماني في كتابه «اسرار التكرار في القرآن» ترىٰ بعد الدّقة والتّأمل في هذا الكتاب، ان اساس بحثه عن الآيات المتماثلة من جهات شتّى حسب التر تيب التالى:

الف) البحث عن صيغ المختلفة من الماضي والمستقبل او المجرد والمزيد او المفرد والمثنى والجمع، وعلّة اختلافها.

ب) عن علة التقدّم أو التأخرّ في كلمة أو جملة في آية بالنسبة الى آية أُخرىٰ.

ج) عن الشرط الّذي له أكثر من جزاء واحد، أو مبتدء له أكثر من خبر واحد.

د) عن الخواتيم المختلفة للآيات المتماثلة او الآيات التر تيبية.

ها) عن علة اثبات حرف عطف في آية وحذفها في أُخرى.

و) عن علة عطف آية أو جملة منها بحرف واخرى بحرف آخر.

ز) عن التعريف في آية واستعمال النكرة في الاخرىٰ.

وعليه فتسمية كتابه بـ«اسرار التكرار» ليس بصحيح جدّا ودليلنا على هذا مجموعة من

١ـ ملاك التأويل لاحمد بن ابراهيم بن زبير ثقفى، المتوفى سنة ٧٠٨.

٢ـ اساس التأويل لنعمان بن حيّون التميمي، المتوفى سنة ٣٦٣.

٣ـ حقايق التأويل للسيد الشريف الرضى، المتوفى سنة ٤٠٦.

٤ـ متشابه القرآن للقاضى عبدالجبار، المتوفى سنة ٤١٥.

٥ـ متشابه القرآن ومختلفه لمحمد بن علي بن شهرآشوب، المتوفى سنة ٥٨٨.

الأدلة الّتي يأتي ذكرها بعد هذه المقدّمة.

الأوّل: قال المؤلف «الكرماني» في وجه تسمية كتابه:

سميت هذا الكتاب «البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» [١]

انه قد ذكر في كتابه بعض الآيات المتماثلة وبحث عنها من الجهات التي مرّ ذكرها فسمّى كتابه بهذا وقد كان جيداً، وبما انّه لم يكن اساس بحثه عن سرّ التكرار ولم يبحث عن علة نزول آية او قصة متكررة في القرآن الكريم، ولهذا لم يسم كتابه بـ«اسرار التكرار».

ولكن مع الأسف ان «احمد عطا» الّذي حقق هذا الكتاب في سنة ١٣٩٧، سمّاه بدون دقّة وتأمل بـ«اسرار التكرار» وقال في ما علق على كلام المصنف.

«قد سمّيناه اسرار التكرار في القرآن الكريم» [٢].

وقال في علّة هذه التسمية بعد ان ذكر قيمة الكتاب عندالعلماء القدامى:

«لكنه لم يتداول في عصرنا ولم تنهض اليه يد لاخراجه لسب واحد فيما نرى، هوالعنوان الّذي أختاره للكتاب، اذ سماه بـ«البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان» فاغمض المشتغلون بالنشر عنه عيونهم اذ ظنوه في المتشابه بمعنى الموهم او الغامض، ولم يفطنوا إلى انّه اراد من المتشابه بمعنى المتماثل اي مكررات القرآن كما اوضح مؤلفة في مقدمته» [٣].

فهو لدفع هذه الشبهة قد اجرى تغييراً على اسم الكتاب وقد وقع في شبهة اخرى اعمق من الاولىٰ.

فما سماه الكرماني لابأس به، لأنّ المتشابه له معان مختلفة، من المتشابه بمعنى المتماثل ولا

١ـ اسرار التكرار، ص ٦٤.

٢ـ المصدر.

٣ـ المصدر، ص ١٩.

يتبادر من «المتشابه» ما يقابل «المحكم» بادنى تدبر ودقّة في الكتاب.

فهذه الشبهة لا تحصل الا لمن كان غريباً عن هذه المباحث من رأس ولا يعرف المعاني المختلفة للمتشابه ولا يتدبر في الكتاب نفسه، فما زعمه أحمد عطا في بيان سبب عدم تداول الكتاب في عصرنا في جهة عنوانه باطل جداً.

مضافاً الى ذلك أن تغيير المحقق للكتاب قد اوجد شبهة مهمة لأهل هذا الفن.

فتسمية الكتاب بـ«اسرار التكرار في القرآن» يوهم ان المؤلف قد بحث عن سرّ التكرار وعلة نزول الآيات التكرارية في القرآن، فالكتاب يدور حول بيان سبب نـزول الآيـات المتماثلة ولكن الحقّ غير هذا لأنّ:

اولا: أكثر الآيات المكررة في هذا الكتاب، قد تكررت حروفها وألفاظها، لاٰ مفاهيمها، وبما أن التكرار في الحروف والكلمات شئ لاٰ محيص عنه فهو خارج عن محل بحثناهذا.

ثانياً: قد ورد في هذا الكتاب آيات كثيرة غير متشابهة ومتماثلة، فمثلاً ذكر آية ٦٨ من سورة هود وآية ١ الى ٦ من سورة العاديات وقد ذكر سورة العصر والكوثر.

حتى انّه كثيراً ما يذكر المؤلف آيات ويقول «ليس لها نظير». مع انّه لوكان بحثه لاجل التكرار، فلابد ان يذكر آيات لها نظير ومثل وقد ذكر هذه العبارة في ذيل بعضالآيات منها: آية ٢١ من سورة البقرة وآية ٣٠ من سورة النور وآية ١٥ من سورة الفتح وآية ١١ مـن سورة الانشقاق.

في هذا المجال ايضاً قد يبحث عن خواتيم الآيات المختلفة فخواتيم آيات ١٣ و ١٤ من سورة الحشر، وآيات ٧ و ٨ من سورة المنافقين من هذا القبيل.

وقد ذكر الآيات غير المتماثلة وجاء شأن نزولها ولا شئ آخر فآية ١٢ من سورةالشمس من هذا القبيل.

وقد جاء المؤلف بخصوصيات الاشقياء والسعداء في الآيات مع أنه ليس منها شئ من

التماثل، بل فيها خصوصيات متضادة واعمال مختلفة. فذكر آيات ٧ الى ٩ و ١٨ الى ٢٠ من سورة المطففين وآيات ١٥ و ١٦، ٢٦ و ٣٦ من سورة النبأ وآيات ٣٣ و ٣٤ من سورة النازعات.

وقد قاس المؤلف الآيات المختلفة وغيرالمتماثلة من سورتين نحو ما جاء في قياس سورة التكوير والانفطار.

نعم ربما بحث المؤلف عن علة التكرار احياناً ولكن نقول اوّلًا: ان مواردها قليلة جداً تبلغ ٤٤ مورداً وهو أقل من ٨٪ بالنسبة إلى كتابه. ثانياً: كيفية البحث عنه في هذه الآيات تشعر بان الكتاب لم يكتب لهذا الموضوع. ثالثاً: تسمية الكتاب باسم غيرمطابق بنسبة ٩٢٪ من موضوعاته، حيث دوّن فيه مواضيع غير مألوفة ولا معروفة من قبل، فمثله كمثل من يكتب كتاباً في الادب العربي ويكون ٩٢٪ منه في الادب الفارسي.

هذا مع ان محقق آخر وهو السيد جميلى قد حقق كتاب تاج القراء الكرماني في سنة ١٤١٤ اخرجه وسمّاه بعين ما سمّاه مؤلفه وهو جيد.

منهجنا فى البحث و التحقيق (التأليف)

لقد بذلت جهداً جهيداً فى سبيل العثور على مصادر تناولت بحث التكرار فلم اجدما ينفعنى، لذا لجأت الى ان يكون المنهج المتتبع فى ضمن خطوات ثلاثة.

الاولى: طالعت كتب علوم القرآن القديمة منهاوالحديثة ومن بين طيّات مواضيعهم المحددة ظفرت على معلومات فى هذا المجال.

الثانية: طريق الآخر هو التحقيق فى الآيات المتكررة المتشابة الالفاظ و هذه الخطوة تتطلب وقتا طويلا و اهتماما كبيراً و تحمل المشاق و العنت و التعب فضلا عن ذهنية موقدة و رأيا حصيفاً.

فقمت بجمع الآيات مع مراجعة كتب التفاسير المعتبرة و بالذات التفاسير التى تبتنى

منهج تفسير القرآن بالقرآن لعلّى اعثر على معلومات تنفعنى فى المقام و لما كان رأى غالبية المفسرين فى منشاء التكرار هو انه «للتأكيد» لذا لم يبحثوا علل و اسباب الآيات المكررة فى بقية السور القرآنية و يقارنوا بينها.

الثالثة: التعويل على رأى الخاص لكى اجد مبررا لوجه التكرار فاستعنت بمعلوماتى الخاصة و لولا العناية الالهية التى شملتنى لما اهتديت الى هذه النتيجة المثمرة فكنت ادقق فى كل ما يخطر بذهنى و ينقدح فيه و اعرض ما ترددت فيه على خيرة المهتمين و المعنيين بالقرآن لئلا أقع فى هاوية التفسير بالراى.

مهنجنا فى البحث و التحقيق (التبويب)

بعد ان تخطيت هذه الخطوات و وقفت للحصول على معلومات فقمت بتبويبها و تنظيمها حسب مواضيع ثلاثة.

الاول: عدم وجود التكرار فى القرآن و استندت الى ١٨ مؤيدا لذلک و بشكل مفصل بحثت المؤيد الثامن عشر منها.

الثانى: فى مبررات التكرار فى القرآن و ذكرت ثلاثين مبرراً.

الثالث: فى ذكر الآيات المكررة و عرض الوجوه المحتملة فيها.

و فى آخر البحث ذكرنا الخاتمة المشتملة على ثمرة البحث و ما ينقدح فى ذهنى من الاقتراحات النافعة فى هذا المجال.

و سميت رسالتى هذه بـ «التكرار في القرآن» وأسأل‌الله تعالى أن يوفقنا لهذا وأن يدرأ بالحسنة السّيئة وان ينظر الينا بعين الود والرحمة والرضا وان يتقبل منا هذا القليل وان يجعله خالصاً لوجه الكريم واسأله تعالى ان يجعله نافعاً لمن اراد الانتفاع به من عباده ان‌شاءالله تعالى.

هنا لابد ان اشكر استاذنا الجليل العالم العامل الناطق، الّذي تعلّم القرآن وعلّمه

آناءالليل واطراف النهار من غير كلل ولا ملل، الشيخ الكبير، ابوالشهيد، صاحب الفضل والفضيله سماحة آيةالله معرفت.

الّذي اتحفنى طوال مدة اعدادى لهذه الرسالة، فإليه خالص شكرى؛ فجزاهالله عني خير جزاءالمحسنين ونرجو من الله تعالىٰ الرحمة والغفران للماضين من اساتذتى والتوفيق والسداد للباقين منهم.

وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب

قم المقدسة ـ علي الغضنفري

الفصل الأوّل
هل يوجد تكرار في القرآن ام لا؟

قبل الدخول في البحث نعرض التقسيمات التي يمكن طرحها حتى يتمكن من معرفة ما نبحث عنه.

فانّ الألفاظ والمعاني في ايّ جملة حسب الحصر العقلي على أربعة أقسام.

١ ـ الألفاظ واحدة والمعاني واحدة.

فهذا هو التكرار اللفظي نحو الويل ثم الويل، أو نحو فبأى آلاء ربكما تكذبان، لو قلنا بوحدة المعاني فيها.

٢ ـ الألفاظ واحدة والمعاني متعددة.

فهذا هو الاشتراك اللفظي ويعرف المعنىٰ بالقرائن الحالية أو المقالية نحو لفظالعين بما فيها من المعاني الكثيرة.

٣ ـ الألفاظ متعددة والمعاني واحدة.

فهذا هو التكرار المعنوي وهو من المترادفات نحو الأمر بالصلوة والزكاة بألفاظ مختلفة ونحو العين والبصر، ان فرض معنى واحد لهما.

نعم ان كان لكل لفظ خصوصية يختص بها وكل لفظ يبيّن حالة خاصة من شيءٍ مع قدر جامع بينها نحو الغضنفر والاسد والليث والحارث ودلهاث وهزبر وقسورة وحيدر وضيغم فهو خارج عن هذا القسم ويدخل في القسم الثاني من الرابع.

٤ ـ الألفاظ متعددة والمعاني متعددة.

وهذا القسم ليس بتكرار قطّ، فاما ان تكون المعاني متباينة أم لا بـل للـمعاني قـدر مشترك جامع بينهما فهو من الاشتراك المعنوي.

فبعد ملاحظة هذه الأقسام الأربعة مع شقوقها، تبين لنا أن موضع البحث هو القسـم الأوّل والثالث فحسب.

فهل في القرآن العظيم شئ من هذين القسمين أم لا؟

في لمحة سريعة وعابرة في القرآن الكريم نجد التكرار اللفظى في كثير من الآيـات والقصص القرآنية ومنها:

١ ـ ﴿اولئك على هدىً...﴾

قد تكررت في سورة البقرة آية ٥ وسورة لقمان آية ٥.

٢ ـ ﴿يا بني اسرائيل اذكروا...﴾

قد تكررت في سورة البقرة آيتي ٤٧ و ١٢٢.

٣ ـ ﴿تلك امّة قد خلت...﴾

قد تكررت في سورة البقرة آيتي ١٣٤ و ١٤١.

٤ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾

قد تكررت في سورة هود، آية ١١٠ وسورة فصلت آية ٤٥.

٥ ـ ﴿قال الم اقل لك﴾

قد تكرر في سورة الكهف آيتي ٧٢ و ٧٥

٦ ـ ﴿ان في ذلك لآية﴾

قد تكررت هذه الآية في سورة الشعراء سبع مرّات وهي آيات ٨، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥١، ١٧٤، ١٩٠.

٧ ـ ﴿اني لكم رسول...﴾

قد تكررت هذه الآيات الثلاثة في نفس السورة خمس مرات وهي آيات ١٠٧ الى ١٠٩، ١٢٥ الى ١٢٧، ١٤٣ الى ١٤٥، ١٦٢ الى ١٦٤، ١٧٨ الى ١٨٠.

٨ ـ ﴿الّذين يقيمون الصلوة...﴾

قد تكررت في سورة النحل، آية ٣ وسورة لقمان، آية ٤.

٩ ـ ﴿انا كذلك نجزى المحسنين﴾

قد تكررت ثلاث مرّات في سورة الصافات، آيات ٨، ١٢١، ١٣١

١٠ ـ ﴿ام عندهم الغيب فهم يكتبون﴾

قد تكررت في سورتي الطور، آية ٤١ والقلم، آية ٤٧.

١١ ـ ﴿سبحّ لله ما في السموات وما في الأرض﴾

قد تكررت في سورتي الحشر والصف، آية ١.

١٢ ـ ﴿واذنت لربها وحقّت﴾

قد تكررت في سورة الانشقاق آيتي ٢ و ٥.

١٣ ـ ﴿فباى آلاء ربكما تكذبان﴾

قد تكررت في سورة الرّحمن احدىٰ وثلاثين مرّة.

١٤ ـ ﴿ويل يؤمئذٍ للمكذبين﴾

قد تكررت في سورة المرسلات عشر مرات.

وامّا التكرار فى المفاهيم الكلية في آيات القرآن الكريم كالتكرار في موضوعات التوحيد ونفي الشرك ونفي الأوصاف السلبية عن الله تعالىٰ كالولد وغيرها من الاوصاف و اثبات الاوصاف الثبوتية له نحو الاحياء والأماتة وغيرها ومنها المعاد والأبحاث المرتبطة به، لا يمكن انكارها بأدنى نظرة في القرآن.

وأيضاً قد تكررت القصص القرآنية حتّى بلغ تكرار قصة موسىٰ في سبعين موضعاً من القرآن الكريم وقد تكرر اسم هذا النبي أكثر من هذا الرقم.

ولكن بعد الدّقة والتّأمل في نفس الآيات التي سوف نذكر بعضها، وبعد ملاحظة الآيات التي كانت قبلها وبعدها، والدّقة في سنة نزولها وسبب نزولها و... ندرك ان التكرار المعنوي لم يحصل في القرآن الكريم ابداً.

هذا ومن اجل إثبات صدق هذا المدعىٰ، لابد أن نطرح البحث في ضمن مقدمات.

الاولىٰ:التكرار في اللغة

قال الخليل في العين: الكرّ: الرجوع عليه ومنه التكرار. وعن ابن فارس في المقاييس: الكاف والراء اصلٌ صحيح يدل عليه جمع وترديد. من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرّة الأولى، فهو الترديد الّذي ذكرناه.

وقال ابن منظور في لسان‌العرب: كرر الشي وكرره: اعاد مرّة بعد اخرىٰ، والكرّ: الرجوع على الشى ومنه التكرار، والمكرر من الحروف: الراء وذلك لأنّه اذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغيّر بما في من التكرير، ولذلك احتسب في الامالة بحرفين.

وقال الزبيدي في تاج العروس: كرّر الشئ أي كرّر، فعلًا أو قولًا وتفسيره في تلك المعاني بذكر الشيئ مرّة بعد أُخرى. وقال السيوطي: ان التكرار هو تجديد اللفظ الأول ويفيد ضرباً من التأكيد، وعن الشرتونى في أقرب الموارد: كرّ عطف وحمل، كرّره أي أعاده مرّة بعد أُخرىٰ وقيل مراراً، وعن ابن عمير، التكرار اسمٌ كما انّ التكرار مصدرٌ.

اقول: فما عرفت من أهل اللغة، أن التكرار هو أعادة فعل أو قول بتجديد لفظ الأوّل شكلًا ومفهوما، أو باتيان العمل بعدالاول فإتيان لفظ أو فعل بخصوصية غيرخصوصية الحالة الاولىٰ ومع زيادة أو نقصان، ليس بتكرار من حيث اللغة.

الثانية: الاعجاز

القرآن هو كتاب الإعجاز وهو معجزة النبيّ الخاتمﷺ والإعجاز هو أمر خارقٌ للعادة مقرون بالتحدي دفاعا عن النّبوة وإثباتاً للشريعة على مستوى فهم الامّة كما عرفوه.

فمعجزات الأنبياء السابقين كناقة صالح وعصى موسىٰ واحياءالأموات لروحالله و... كانت حسّية لقلّة بصيرة امّتهم أو محدودية شريعتهم زماناً فانتفت بنسخ شريعتهم.

ولكن معجزة النبيّ الخاتمﷺ التي هي القرآن الكريم لنفاذ بصيرة أمته وبقاء دينه إلى يومالقيامة، فهو المعجزة الخالدة لوجوه شتى نأتى ببعضها على سبيل الاختصار:

اوّلًا: تناسب الكلمات في الآيات وارتباطها بحيث تكون شيئاً واحداً. حتّى لو لم تكن كلمة واحدة لنقص المعنى.

ثانياً: تنوع اساليب القرآن في الخطاب المخالف لأساليب الخطاب في كلامالعرب.

ثالثاً: الاسلوب الواحد مع اختلاف نوع الكلام.

رابعاً: إيجاد هيبة عندالمستمعين لاسيّما عند المكذّبين حتّى كانوا يستثقلون لسماعه و ينتابهم الخوف والفزع.

خامساً: عدم الاختلاف في ذات القرآن فهو خارج عن منهاج واحد لأنّ منشاءالإختلاف، تحوّل الأغراض والأميال، كمثل الإنسان مرّة يميل إلى شيءٍ ويقول شيئاً وأُخرى إلى ذلك ويقول شيئاً آخر.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَـٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ابْتَلَـٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ﴾ [1].

ولكن القرآن نزل من عند واحد على نهج واحدٍ.

١ـ سورة الفجر، آيتى ١٥ و ١٦.

﴿... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ (١)

سادساً: التحدى لكل الامم من العرب والعجم لفظاً ومعنى من حين نزوله الى يوم القيمة بإتيان مثله أو عشر سورة أو سورة واحده منه على الأقل.

سابعاً: لذّة الاستماع فتزيد تلاوته حلاوة من خلال كيفيته جعل الحروف المستفلة والمستعلية بايحاء صوت يطابق الآذان، فقد ورد ان اباسفيان واباجهل والاخنس بن شريق كلّ واحد منهم كانوا يخرجون ليلًا الى بيت رسول الله ﷺ ويجلسون وراء الجدار ويستمعون الى قرائته وحين رجعوا صباحاً رأوا كلّ واحدٍ منهم الآخر، فتلاوموا وتعاهدوا ان لا يعودوا ولكن القضية قد تكررت فى ليال ثلاثةٍ فتعاهدوا على ان لا يعودوا اليه أبداً.

ثامنا: لا يزال غضٌّ لآذان المخاطبين وللسان القارئين ولقلب المتفكرين والمتدبرين، حتّى رأوا انّه ينزل مرّة بعد أُخرىٰ.

تاسعاً: اخباره بالمغيبات ومغيبات خاصة وقد حدثت بعدالأخبار عنها.

عاشراً: الأخبار عن الامم السالفة التي لم تذكر في الكتب السماوية الآخرىٰ او بالجزئيات لا يكون لها اثر فيها.

الحادى عشر: تناسب النغمة والموسيقية الطبيعية اللطيفة مع نفسية الانسان.

الثاني عشر: محفوظا عن الزيادة والنقصان.

الثالث عشر: مشتمل للعام والخاص، المجمل والبيّن، المطلق والمقيد، الناسخ والمنسوخ.

الرابع عشر: وجود المتشابهات فى مقابل المحكمات للترغيب على الأكثار من التدبر وفوائد أُخرىٰ.

١ـ سورة النساء، آية ٨٢.

الخامس عشر: اشتماله على الحصر نحو «انماالیهکم اله واحد» لبيان عدم صحة فروض اخرىٰ.

السادس عشر: الاستفادة من جميع اللغات المختلفة العربية كلغة اليمن وحمير وهذيل وهوازن وغيرها [1].

السابع عشر: مشتمل على انواع عديده في الخطابات المختلفة بادواة متغايرة كالخطاب بالنداء وبدونه وخطاب الخاص والعام والمراد منها الخاص او العام او العكس، وخطاب الذّم والاهانة والكرامة، وخطاب الواحد او الاثنين او الجمع بلفظ هم او على الاختلاف، وخطاب الترغيب والتعجيب ونحوها.

الثامن عشر: تيسر حفظه للكبار والصغار وحتّى للصبيان، واستطاعة الانسان على ختمه في ليلة واحدة.

التاسع عشر: مشتمل على قواعد المعاني والبيان كالحقيقة والمجاز والحذف والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والايجاز والاطناب والاستخدام والالتفات والجناس والتضمين.

العشرون: اشتماله على الألفاظ المشتركة التي يمكن ان يستفاد منها مفاهيم مختلفة كما ورد في النّص الشريف:

قال علي بن ابيطالب عليه افضل صلواة المصلين لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج:

«اذهب اليهم وخاصمهم ولا تخاصمهم بالقرآن فانّ القرآن حمّال ذو وجوه، تقولُ

١ـ على الترتيب في سورة النجم، آية ٦١؛ الأسراء، آية ٥٨؛ المدثر، آية ٥؛ الرعد، آية ٣١.

ويقولون، ولكن خاصمهم بالسّنة فانّهم لن يجدوا عنها محيصاً»[1].

يكفينا هذه الوجوه ونذكرها اجمالا لانّا لانريد أن نبحث في كلّ هذهالوجوه بشكل تفصيلى ومن أراد التوسع فليراجع المصادر المختصة بها، ولكننا نبحث عن بعضالوجوه منها التي لها صلة ببحثنا.

من وجوه الاعجاز:التحدى

ان الله تعالى تحدى الناس بان يأتوا بحديث مثله او بعشر سور او سورة واحدة.

﴿... فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَـٰدِقِينَ﴾[2].

﴿... قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ...﴾[3].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ...﴾[4].

وفي ختام تحديه بعد ثبوت عجزالناس كلهم اجمعين من العرب والعـجم وبـعد اَنْ ظهرت امارات العجز سواء للمخاطبين او غيرهم الحاضرين او غيرهم الى يومالقـيامة، وهذا التحدي عام لكل من الجن والانس قال الله الحكيم:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5].

قال الاستاذ معرفت فى كتابه التمهيد:

١ـ نهج‌البلاغه، الكتاب ٧٧.

٢ـ سورة الطور، آية ٣٤.

٣ـ سورة هود، آية ١٣.

٤ـ سورة يونس، آية ٣٨.

٥ـ سورة الاسراء، آية ٨٨.

«هذا التحدّى في عمومه يشمل كلّ الامم وكلّ ادوار التاريخ، سواءالعرب وغـيرهم وسواء من كان فى عهد الرسالة ام فى العهود المتأخرة حتى الأبد. اللّفظ عام والخطاب شامل» [1].

والدليل على ذلك:

اولاً: عمومية الخطاب فى الآيات نحو يا ايهاالناس، يا ايها الذيـن آمـنوا، يـا ايـها الكافرون، فليس الخطاب متوجه الى العرب فقط حتىٰ يـقال ان غـيرهم يـتمكن مـن التحدي.

ثانياً: الاسلام هوالدين العالمى الذى يعلو ولا يعلى عليه لنص القـرآن الكـريم [2] ورسوله هو رحمةٌ للعالمين [3] وخاتم‌النبيين [4] وكتابه ذكر للعالمين [5] وقبلته هدى للعالمين [6] فلا يختص بفئة خاصة.

ثالثاً: التحدى لا يختص بالفصاحة والبلاغة بل قـد يـقع بـمجموعات مـن وجـوه الاعجاز،التي منها المـحتوىٰ والمـفهوم للآيـات وكـيفية تـنسيق الكـلمات ووحـدة الاسلوب و... [7]

١ـ التمهيد، جلد ٤، ص ٢٣.

٢ـ سوره التوبة، آية ٣٣.

٣ـ سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

٤ـ سورة الأحزاب، آية ٤٠.

٥ـ سورة القلم، آية ٥٢.

٦ـ سورة آل عمران، آية ٩٦.

٧ـ اوّل من انكر الاعجاز هو «ابراهيم بن اسحاق النظام» توفى سنة ٢٣١ وكـانت له آراء يختص بها، منها رأيه فى امامة على بن ابيطالب بنص خاص من رسول‌الله ﷺ وهو على

ان القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يكذّبه شئ ممّا انزل‌الله وان الباطل لا يتطرق اليه بايّ نحو كان.

فالقرآن كان على منهج واحد فى النظم، فليس بعضه على وزن والآخر على غيره او كان بعضه على درجة في الفصاحة والآخر على درجة اقل. فلا يشتمل على الغث والسّمين، فهو يدعو الناس الى التقرّب الى الله تعالىٰ بالتعبد والاقبال على الآخرة دون الدنيا في كلّ سورة بل كلّ آية بلااختلاف وترديد. وهذا بخلاف كلام الآدميين،الذي تتطرق اليه هذه الاختلافات لا محالة، لاختلاف الاغراض والاهداف

؏ مانقله ابومنصور فى كتابه قد امضى شبابه مع المشركين وهرمه مع الملحدين، ثم انكر الاعجاز والنبوة من رأس، ثم بعد تكفيره وارتداده عاد وقال: انّ القرآن معجز بالصرفة،يعنى ان‌الله تعالىٰ صرف‌العرب وفصحائهم عن معارضة القرآن واخذ قدرتهم على ذلك.

والجواب عنه واضح، لأن الصرف لا يساوق بالتحدى، كيف يتحدى الله العرب باتيان مثل القرآن او سورة منه مع انه لا يمكن لهم لانّهم مصرفون عن هذا، ليس هذا الا خدعة او عبث، وعلى هذا فبطلان اللازم يقتضى بطلان الملزوم، هذا اولاً وثانياً: هذا القول من النظام ليس الا انكار الاعجاز لأن الاعجاز بالصرف هو الاعجاز بمنع الغير من اتيانه مثلاً او جزء، فلايكون القرآن معجزا لأنه مثل ساير الكلام، وثالثا: لوكان للعرب فصاحة على حدّ فصاحة القرآن لوجدنا من اشعارهم ونثورهم قبل نزول القرآن وقبل صرفهم عن المعارضة، ولكنّ المعلوم عدمه.

قد اورد استاذنا معرفت فى كتاب التمهيد، ج٤، ص ١٣٧الى ١٩٠، بحثا جامعا في هذاالموضوع.

بحسب الشرائط المناسبة بحاله أو غيرالمناسبة له، فهو في كل حال يميل الى شئ فمتى توفّرت الظروف المناسبة لتحقيق اغراضه والوصول الى اهدافه، طفح على لسانه وارتسم على وجهه، بحيث يمكن ان يقال: ان هذا هو علامة لفقر الانسان الى الله تعالى الغنى الحميد. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾. (١)

من وجوه الاعجاز: تنسيق الكلمات

انّ القرآن على اسلوب متناسقة الفاظه وعباراته ومعانيه، بحيث يحسّه القارى حينما يقرأهُ على قدر معلوماته ودقّته وتوجهه وهو من جمال القرآن.

فالقرآن مشتمل على التناسق اللفظى، وهذا التناسق في تأليف العبارات ونظمها على اسلوب خاص ذو تأثير نفسى كبير فى قلوب المخاطبين والقارئين.

وايضاً يشتمل على التناسق المعنوى فى بيان الاغراض وتناسب غرض مع الآخر، حتّى يكون الاوّل تمهيداً للغرض الآخر وهذا حاصل للقرآن بادنى تأمل في آياته الباهرة للمحققين.

قال الاستاد معرفت:

«تناسق نظم القرآن وتناسب نغمه جانب خطير من اعجازالقرآن البيانى، لمسته العرب منذ اوّل يومها فبهرتهم روعته ودهشتم رنّته، فاخضعهم للاعتراف فى النهاية بانه كلام يفوق طوع البشر وانه كلام الله.

انه جانب «اتساق نظمه وتناسب نغمه» وايقاعاته الموسيقية الساطية على الاحاسيس والأخذ بمجامع القلوب، وهذا الجمال التوقيعى للقرآن يبدو جلياً لكلّ من

١ـ سورة فاطر، آية ١٥.

يستمع الى آياته تتلى عليه، ولو كان من غيرالعرب، فكيفالعرب بانفسهم»[1].

وقال سيد قطب:

«من الوان التناسق هو ذلك التنسيق في تأليف العبارات بتخيير الألفاظ ثم نظمها فى نسق خاص يبلغ فى الفصاحة ارقى درجاتها»[2].

واليك نموذج من هذا التنسيق الجميل.

١ ـ تقدم السمع على البصر فى اكثر من ثلاثين آية على نحو «اسمع وارىٰ» «سميع بصير» «السّمع والبصر» «سميعا وبصيراً» وذلك لأن جهاز السّمع له اهمية خاصة بالنسبة الى جهاز البصر، فهو اوّل عضو يستيقظ وآخر عضو ينام، وهو يدرك غيرالمحسوسات كالمجردات باستماع اصواتهم، وقلّما يوجد انسان ذافكر وثقافة فاقد للسمع من رأس فالعلوم الحاصلة للانسان من طريق السمع كثيرة جدّاً بالنسبة الىٰ العلوم الحاصلة عن طريق البصر.

نعم تقدم البصر على السمع في آيات نحو:

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا

١ـ التمهيد، ج ٥، ص ١٥٨.

٢ـ التصوير الفنى في القرآن، ص ٧٢.

٣ـ سورة هود، آية ٢٤.

٤ـ سورة مريم ، آية ٣٨.

﴿نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١).

وانما وردت هذه الآيات فى اهل جهنم وذلك لأن الانسان في يوم‌القيامة يـواجـه المشاهد والمواقف والاضطرابات وينظر اليها ثمّ يذهب للمحاسبة ويسـمع كـلام‌الله او الملائكة، او لانّ السمع والبصر فى القيامة لا يكونان طريقان للفهم والعلم، بل هما كانتا لرؤية الثواب او العذاب واللذة او الالم اللتان تحسان بالبصر وكانتا قويتان من جـهات شتىٰ.

وتقديم البصر فى الآية الشريفه:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ (٢)

وهي وان كانت لأهل الدنيا ولكن نزلت في وصف اهل جهنم، فهم فى الدنيا ما بصروا وما سمعوا. وتقديم البصر لانهم فى الدنيا لا يبصرون المشاهدات لبلادتهم وقلة بصيرتهم فكيف بالمسموعات التى تحتاج الى بصيرة وفهم وتدبر.

وفى سورة الكهف:

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ (٣).

فهو فى بيان ان الله تعالى يرى الاعمال كلها فكان الانسان وعمله في عين‌الله تعالى فكلّ عمل صدر من الانسان يراه و يسمعه و على هذا فهو وصف لله تعالى وخارج عما

١ـ سورة السجدة، آية ١٢.

٢ـ سورة الاعراف، آية ١٧٩.

٣ـ سورة الكهف، آية ٢٦.

ذكرناه.

٢ ـ تقدم السارق على السارقة

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [١].

السارق يمكن ان يقتل او يضرب او ينهدم وهذا وامثاله يحتاج الى قوةالبدن وبسطة فى الجسم وهى فى الرجال اكثر من النساء، فالسرقة بين الرجال اكثر، خصوصاً فى المسروقات ذات القيمة أو الحجم بالنسبة الى النساء، وان كانت النساء يسرقن ايضاً.

وفي آية النور، تقدم الزّانية على الزّاني:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَاجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ...﴾ [٢].

لان المرئة هي غالباً تدعوا الرجل بكشف زينتها الى الزنا والزنا بالعنف بالنسبة الى الاقسام الاخرى منه قليلٌ، ولانّ حفظ العفة للمرئة ذو اهميّة شديدة، ولأن الشهوة في النساء اكثر من الرجال بعشر، لكنها بطيئة بالنسبة لهن واما شهوة الرجال قليلة و سريعة بالقياس اليها، فالمرئة التى اظهرت زينتها فتزنى، ذنبها اعظم من الرجل الزانى السريع الشهوة، فلذلك قدم القرآن الزانية على الزاني.

٣ ـ تقدم سلام على عليك، فى السور المختلفة كسورة الانعام، ٥٤؛ الاعراف، ٤٦؛ هود،٤٨؛ الرعد، ٢٤؛ النحل، ٣٢؛ مريم، ٤٧؛ النور، ٦١؛ القصص، ١٥٥؛ او ذكرها وحده فى تسع وعشرين موضعاً، نقول: انّ فى الدعاء، بالخير، يقدم الدعا على المدعوله، لأنّ النفس تشتهى الى مايتلذذ منها في ما يسمع اوّل كلامه وعلىٰ هذا متى كان الدعاء بالشرّ

١ـ سورة المائدة، آية ٣٨.

٢ـ سورةالنور، آية ٢.

مراده تعالى، تقدم الجرّ، لإيجاد حزن أكثر واختصاص المدعوله بذلك الحزن لا غيره نحو:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (١).

﴿... وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

وتاخر الجرّ في ما يلي لتقدمها في نفس الآية التي قبلها.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (٣).

٤ـ تقدّم «به» في آية و تأخره في آيات أُخرى، فقد ورد في سورة البقرة:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

وفي سور الاخرىٰ:

﴿... أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ...﴾ (٥).

فتقديم «به» في الاولى دون الطائفة الثانية من الآيات على الأصل لأنه كالهمزة والتضعيف لافادة التعدية، وتأخيره لتقدم المكره الذي هو المناط للحرمة.

٥ ـ رعاية الاختصار في آية:

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ...﴾ (٦).

١ـ سورة الحجر، آية ٣٥.

٢ـ سورة النحل، آية ١٠٦.

٣ـ سورة الفتح، آية ٦.

٤ـ سورة البقرة، آية ١٧٣.

٥ـ سورة المائدة، آية ٣؛ سورة الانعام، آية ١٤٥؛ سورة النحل، آية ١١٥.

٦ـ سورة هود، آية ٤٤.

فيها عدة من الكلمات الخاصة وردت لرعاية الاختصار، فمثلاً جاء بـ«الماء» بـدل «الطوفان» و«السماء» بدل «السحاب» و«الأمر» بدل «امر نوح» و «اقلعى» بدل «اقلعى مطرك» و... وانما جاء بلفظة «يا» من حروف النـداء، بـدل الحـروف الاخـرى لكـثرة استعمالها ويدل على بعد المنادىٰ الذى يشـير الى عـظمةالله تـعالىٰ، وجـاء«ابـلعى» و«اقلعى» للتجانس والاختصار وقدم الأرض على السماء، لابتداء الطوفان من الأرض.

٦ ـ ضمير الغائب والحاضر في الآ يتين التاليتين

﴿... وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ (١).

﴿... وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾ (٢).

ففي الأنعام، حَرَّم قتل الاولاد لفقر آبائهم فقدّم ذكر الآباء بضمير المخاطب، لانـهم الفقراء، ولكن في الثانية نهى عن قتل الأولاد لفقر آبائهم في المستقبل، الذي نستفيده من كلمة «خشية» فالمناسب لهذا ان يقدّم الابناء، لازالة هذا الخوف.

٧ ـ تقدم جهاد النفس على جهادالمال او تأخره نحو:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ...﴾ (٣).

تقدم النفس على المال، لانّ الجهاد واجب على من له الاستطاعة للخروج، والذى لم يستطع، لا يسقط عنه الجهاد من رأس، بل لابد له من ان يجاهد بامواله وفي آيات كثيرة تقدم المال علىالنفس، لأن المال كان مطلوباً للانسان فيلزم له ان يجاهد بامواله لانّه مما يحبّه حبا جماً ولعله يكون في بعض الاحيان اشد حبا من الأولاد و من نفسه و لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما يحبون.

١ـ سورة الانعام، آية ١٥١.

٢ـ سورة الاسراء، آية ٣١.

٣ـ سورة التوبة، آية ١١١.

من وجوه الاعجاز: الاعجاز العددي

التماثل العددي والتكرار الرقمي والتوازن في الموضوعات كان من صور الاعجاز التي لا يمكن لأحد ان ينكرها.

ورد لفظ «صلوة» ٦٨ مرة وبنفس القدر لفظ «النجاة» ومشتقاتها.

ورد لفظ «المصيبة» ومشتقاتها ٧٥ مرة وبنفس العدد لفظ «الشكر» ومشتقاتها.

ورد لفظ «الدنيا» ١١٥ مرّه وبنفس العدد لفظ «الآخرة».

ورد لفظ «البصر» و «البصيره» و مشتقاتهما ١٤٨ مرة وبنفس العدد لفظ «الفواد» و«القلب» ومشتقاتهما.

ورد لفظ «الملائكة» ونحوه ٨٨ مرة وبنفس العدد لفظ «الشياطين» ونحوه.

ورد لفظ «ابليس» ١١ مرة «وبنفس العدد الاستعاذة منه.

ورد لفظ «يوم» ٣٦٥ مرة.

ورد لفظ «الشهر» ١٢ مرة.

ورد لفظ «الجزاء» ١١٧ مرة والمغفره منها ضعف ذلك وهو ٢٣٤ مرة.

ورد لفظ «الرجز» ١٠ مرة ولفظ «الرجس» ايضا ١٠ مرة.

ورد لفظ «الحياة» ومشتقاتها ١٤٥ مرة وبنفس العدد لفظ «الموت» ومشتقاتها.

ورد لفظ «النفع» ٥٠ مرة، وبنفس العدد لفظ «الفساد».

ورد لفظ «الحرب» ٦ مرة ولفظ «الأسرى» ومشتقاتها ٦ مرة.

ورد لفظ «السيئات» ٦٧ مرة على قدر لفظ «الصالحات».

ورد لفظ «الجهر» ١٦ مرة على قدر لفظ «العلانية».

ورد لفظ «الضّلاٰله» ١٩١ مرة ولفظ «الآيات» ضعف ذلك وهو ٣٨٢ مرّة.

الى هنا، وبعد ان ذكرنا بعض وجوه الاعجاز وبحثنا عنها قليلا اقول:

ان التحدى العام لكل من الناس من وقت النزول الى النفخة الاولى، لفظاً ومعناً، يدل على فصاحة كل من الآيات بحيث لايمكن ان نقول بفصاحة بعض دون بعض وكذا بلاغته.

فانّ عدم الاختلاف في الآيات ونظمها ووحدة منهجها وتنسيق كلماتها وتناسب المعانى والاغراض فيها والاعجاز العددى كتساوى استعمال الكلمات المتضادة والمترادفة حتىٰ انه لو أُبدل لفظ مكان لفظ لأختل المعنىٰ ولظهر فيه عدم التناسق، فهذا كله يوصلنا ويهدينا الى النتيجة المطلوبة وهي قولنا انه لا يوجد في القرآن المعجز آية مكررة اصلًا.

الثالث: ترتيب السّور

اختلف العلماء في ترتيب السّور هل هو بتوقيف من النبىﷺ او باجتهاد من الصحابة.

وقد قال السيوطى بعد نقل آراء القائلين بالتوقف:

«والحاصل انى اقول: ترتيب كل من المصاحف بتوقيف واستقرّ التوقيف في العرضة الأخيرة على الترتيب العثماني» (١).

ثم السيوطى قد كلّف نفسه لبيان مناسبة السور القرآنية لما قبلها وبعدها.

الزركشى أيضاً رجّح القول بالتوقيف وبين وجه التناسب في بعض السور. وقد ألف «برهان الدين البقاعى» كتابا وسماه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» في ٢٢مجلداً وتكلّف على نفسه كلفة لبيان بعض المناسبات حتىٰ انه زعم ان سورةالناس لها

١ـ تناسق الدرر في تناسب السور،حقّقه محمّد درويش، ص٣١ وترتيب السور، حقّقه سيدجميلى،ص ٣٦.

مناسبة شديدة بالفاتحة، فالسور القرآنية كانها حلقة لا لها ابتداء ولا انتهاء.

قال في هذا المجال:

«وَقَدّم التعوذ الذي هو من درء المفاسد تعظيماً للقرآن، بالاشاره الى ان يتعين لتاليه ان يجتهد في تصفية سرّه وجمع متفرق امره لينال سُؤله ومراده مما اودعه من خزائن السعادة باعراضه عن العدو الحسود واقباله على الولى الودود، ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة» (١).

من ادلة القائلين بتوقيفية السور:

١ ـ قد نزل القرآن كله فى ليلةالقدر الى السماء الدنيا او الى بيت المعمور، او الى قلب النبى ﷺ مرّة واحدة.

٢ ـ قال النبى ﷺ: اعطيت السبع الطوال مكان التوراة وهو نفسه قد بيّن هذهالسور، سمّاه بالسبع الطوال.

٣ ـ الترتيب الفعلى في القرآن يحكى عن توقيفيته لأنه على خلاف الاسلوب العادى، فمثلاً اتت الحواميم ولاء ومتتابعة ولكن لا يوجد ترتيب بين المسبّحات.

ومثلاً تقدم سورة الانفال وآياتها ٧٥ على سورة البرائة وآياتها ١٢٩ وهى على سورة يونس وآياتها ١٠٩ وهى على سورة هود وآياتها ١٢٣ وهكذا.

فان كان الترتيب بيد الصحابه واجتهادهم تطويلا وتقصيراً، وتفصيلا وموجزاً، يلزم رعاية هذه النكات.

٤ ـ لا شك بان الصحابة لخالفوا وعارضوا هذا المصحف الموجود بايدينا لو كان

١ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ١، ص ٢٢، طبع القاهرة وص١٢،طبع بيروت.

ترتيبه على خلاف ما رتبه رسول‌الله صلى الله عليه وآله. نعم ما نقل من مصحف اميرالمؤمنين على عليه السلام وانه على ترتيب النزول من سورة القلم الى... او مصحف ابن‌مسعود بتقديم الأعراف على الانعام ومصحف ابوعلى على عكسه، فهذه المصاحف لم تكن مجرد مصحف بل تشتمل على التأويل والتفسير واسباب النزول وغيرها ممّا نحتاج اليه لتفسير وتبيين الآيات اكثر من‌هذا.

فقد انكر التناسب بين السور «سلطان العلماء عزالدين عبدالعزيز عبدالسلام» وقال:

«انّ القرآن نزل فى نيّف وعشرين سنة في الأحكام المختلفة شرعت لاسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتاتى ربط بعضه ببعض، اذ لا يحسّ ان يرتبط تصرّف الاله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب» (١).

وقال الاستاذ معرفت في تمهيده:

«لا مناسبة ذاتية بين كل سورة وسابقتها وتاليتها، سوى ما زعم بعض المفسرين المتكلفين وهو تحمل باطل بعد اجماع الامّة على ان ترتيب السور كان على خلاف ترتيب النزول بلاشك» (٢).

اقول: وان كانت دلائل القائلين بتوقيفية السور لاتخلو من اشكال سيما الدليل الرابع التي نقلناه وهو واضح ولكن لابد من التناسب الذاتى مع كل سورة مع ماتقدمها وما تأخرّ عنها. لأنّ الكتاب وان احتوى على وقايع مختلفة، لكنّ بما انه كتاب معجز من عند حكيم فلابد ان يحتوى على تناسب بين السور.

مضافاً الى ان الترتيب في الآيات توقيفى و سنبحث عنها، ونعلم ان السورة بما فيها

١ـ نظم الدرر، ج ١، ص ٧، طبع القاهرة.

٢ـ التمهيد، جلد ١، صفحه ٢٢٤.

من الآيات، ما ينزل مرة واحدة كثيراًما، فالذي يقول بتناسب الآيات مع اختلاف زمان نزولها، يسحل له ان يقول بتناسب السور ايضاً.

وما قاله استاذنا بانّ ترتيب النزول على خلاف الترتيب الموجود باجماع الامة، وان كان صحيحاً ولكن لا يضرّنا، لانّ الذى يقول بتناسب السور، يقول ان رسول‌الله ﷺ رأى فيها المناسبة فرتّبها.

والعجيب ما قاله سلطان‌العلماء، فهو انكر ربط الآيات لانها نزلت في سنوات عديدة، فهذا على فرض صحته، يبطل الربط بين السور القرآنية على حسب‌النزول فحسب، لا على حسب الترتيب الموجود.

نعم عند ما ننظر الى وجوه التناسب للسور القرآنية في ترتيب السور للسيوطى او نظم‌الدرر للبقاعى وغيرهما، نرىٰ تكلفّ باهت بما لايسمن ولا يغنى من جوع، بل ليس‌بعضها إلا تفسير بآراء شخصية لا يمكن تحصيلها من القرآن بسهولة بل بمؤنة، وليس‌بعضها الّا الاستحسانات الظنية المردودة او العناوين العامة المنطبقة على السورتين‌وغيرهما، بل العمومية التي ذكرت لبعض المناسبات يمكن ان نقولها لاكثر السورالقرآنية. هذا ولكن الخوض فى هذا الموضوع يتطلب بحثاً مستقلاً.

الرابع: ترتيب الآيات

الترتيب بين الآيات توقيفى وهو يستلزم وجود التناسب بين الآيات، لأن رسول‌الله ﷺ رتب الآيات بحكمته وتدبيره. خلافاً لبعض عندما لم يجد تناسباً بين الآيات فيقدم على رفض التناسب و لكن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

قال الزركشي في البرهان:

«امّا الآيات في كل سورة، ووضع البسملة اوائلها فترتيبها توقيفى بلاشك ولا خلاف

فيه»[1].

وقال القبيسى في المقدمتان:

«وترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الاوائل هو من النبيﷺ ولما لم يأمر بذلك في اوّل برائة، تركت بلا بسملة»[2].

قد يعبر عن المناسبة بين الآيات بالسياق، وهو سبب لكشف القناع عن اللفظ والآية التي نريد ان نفهمها وله اثر واضح في تفسير الآيات ولا يمكن انكاره.

مع ان للسياق دور مهم لفهم المترادفين والمتباينين بل لجميع الألفاظ القرآنية، وسبيل وجيه للتفصيل بين السور المكية والمدنية وترجيح بعض القرائات على بعض.

وقال ابن القيم الجوزية:

«السياق من اعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن اهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته»[3].

نعم، قد تفهم المناسبة بين الآيات بسهولة في كثير من الآيات ولكن قد يوجد في بعضها غموض بدوى فيها يحتاج الى تدبر ودقة لكشف المناسبة، فمثلاً:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

فما هي المناسبة بين الاهلّة و العلم بمواقيت الناس و بين البرّ و اتيانها من بابها لا من

١ـ البرهان، ج ١، ص ٣١٦.

٢ـ المقدمتان، ص ٢٧٥.

٣ـ الوجوه والنظائر لسلوىٰ محمد، ص ٦٢.

٤ـ سورة البقرة، آية ١٨٩.

ظهورها؟

قال الفخر الرازى في تفسيره:

«ذكروا في تفسير الآية ثلاثة اوجه، الاوّل: وهو قول اكثر المفسرين، حمل الآية على هذه الاحوال التي رويناها في سبب النزول، الا أنّ على هذا التقدير صعب الكلام في نظم الآية. فانّ القوم سألوا رسول‌الله ﷺ عن الحكمة في تغيير نورالقمر، فذكرالله تعالى الحكمة في ذلك وهى قوله «قل هي مواقيت للناس والحجّ» فاىّ تعلق بين بيان الحكمة في اختلاف نورالقمر وبين هذه القصة، ثمّ القائلون بهذا القول اجابوا عن هذا السؤال من وجوه احدها: ان الله تعالىٰ لما ذكر ان الحكمة في اختلاف احوال الاهلة جعلها مواقيت للناس والحجّ، وكان هذا الأمر من الأشياء التي اعتبروها في الحجّ لاجرم تكلّم الله تعالى فيه، ثانيها: انّه تعالىٰ وصل قوله (وليس البرّ بان تاتوا البيوت من ظهورها)، بقوله «يسألونك عن الاهلة» لانّه انّما اتفق وقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الآية فيهما معا في وقت واحد ووصل احد الأمرين بالآخر. وثالثها: كانهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال الأهلة، فقيل لهم: اتركوا السئوال عن هذا الأمر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم لكم، فانكم تظنون ان اتيان البيوت من ظهورها برّ وليس الأمر كذلك.

القول الثاني: ... مَثلٌ ضرب‌الله لهم، وليس المراد ظاهره وتفسيره... انّه قد ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما، وثبت ان الحكيم لا يفعل الّا الصواب البرئ عن العبث والسفه، ومتى عرفنا ذلك، وعرفنا ان اختلاف احوال القمر في النّور من فعله، علمنا ان فيه حكمة ومصلحة ... فجعل اتيان البيوت من ظهورها، كناية عن العدول عن الطريق الصحيح، واتيانها من ابوابها كناية عن التمسك بالطريق المستقيم....

الثالث: ما ذكره ابومسلم، ان المراد من هذه الآية ما كانوا يعملونه من النسئ، فانّهم كانوا يخرجون الحج عن وقته الّذي عينه‌الله له فيحرمون الحلال ويحلون الحرام، فذكر

اتيان البيوت من ظهورها مثلٌ لمخالفة الواجب في الحج وشهوره»[1].

قال الشيخ الطبرسی رحمه الله:

«فيه وجوه، احدها: أنّه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها، ولكنّهم ينقبون فی ظهر بيوتهم، ای في مؤخرها نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بـذلك... وثانيها: ان معناه ليس البرّ ان تاتوا البيوت من غير جهاتها و ينبغی أن تأتوا الأُمور مـن جهاتها ایّ الامور كان وهو المروی عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام... ووجه اتـصال قـوله «ليس البر» بقوله «يسألونك» أنّه لما بيّن ان الأهلة مواقيت للـنّاس والحـجّ وكـانوا اذا احرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله «وليس البرّ» وقيل: أنّه لما بيّن ان امورنا مقدرة باوقات، قرن به قوله «وليس» ای فكما اموركم مقدرة بـاوقات، فـلتكن افعالكم جارية على الاستقامة باتباع ما امرالله به والانتهاء عما نهی عنه»[2].

ومثال آخـر

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَانكِحُواْ مَاطَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ...﴾[3].

لسائل ان يقول ما هي المناسبة بين القسط في اليتامی والنكاح؟ ولكن بعد التأمـل نرای مواقع للنظر في الآية ونكتشف مناسبات عديدة.

فقال الشيخ الطوسی رحمةالله عليه في تفسيره:

«اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على ستة اقوال: اولها، مـا روی عـن

١ـ التفسير الكبير، ج ٥، ص ١٣٦.

٢ـ تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٧.

٣ـ سورة النساء، آية ٣.

عايشة انها قالت: نزلت في اليتيمية التي تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مهر مثلها، وامروا ان ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء... والثاني، قال ابن‌عباس وعكرمة: ان الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر، ويقول ما يمنعى ان اتزوج كما تزوج فلان، فاذا فنى ماله مال على مال اليتيم فانفقه، فنهاهم الله تعالىٰ ان يتجاوز بالأربع ان خافوا على مال اليتيم وان خافوا من الأربع أيضاً ان يقصروا على واحدة....

والثالث،... ايضا ما روى عن ابن عباس: كانوا يتشددون في امر اليتامى ولا يتشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن، فقال تعالىٰ كما تخافون ان لا تعدلوا في اليتامىٰ، فخافوا على النساء....

والرابع، قال مجاهد: ان خفتم، معناه: ان تحرجتم من ولاية اليتامىٰ واكل اموالهم وايماناً وتصديقاً، فكذلك تحرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح....

والخامس، قال الحسن: ان خفتم ان لا تقسطوا في اليتيمية المرّباة في حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء ما احل لكم من يتامى قراباتكم ....

والسادس، قال الفراء: المعنى ان كنتم تتحرجون من مواكلة اليتامىٰ فاحرجوا من جمعكم بين اليتامىٰ ثم لا تعدلون بينهنّ .... والتقدير: فان خفتم الا تقسطوا في اموال اليتامىٰ فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا الا تقسطوا في حقوق النساء فلا تتزّوجوا منهن الا من تأمنون معه الجور...»[١].

وهذه الوجوه الستة التي نقلها ايضاً صاحب مجمع‌البيان[٢] وذكر بعضها الرازى[٣].

١ـ تفسير التبيان، ج ٣، ص ١٠٣.

٢ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ٣، ص ١٤.

٣ـ التفسير الكبير، ج ٩، ص ١٧٨.

وعليه فإنّ للسياق دوراً عظيماً في تبيين الجمل وتعين المحتمل والقطع باحتمال غيرالمراد وتخصيص العام وتقيد المطلق وتنوع الدلالة فهو من اعظم القرائن الدالة علىالمراد ومن اهم ادوات البلاغة في فهم اللغة، حتّى ذهب بعض انّ اللفظ لا يدل بنفسه على المعنى بل يدل بإرادة اللافظ منه بحيث لو خلا عنها لم يكن دالاًّ، هذا في كلّ كلام وعند كلّ لغة فضلا عن كلام‌الله تعالىٰ المعجز للبشر ببلاغته وفصاحته الى ختم العالم حتّىٰ قيل ان احسن طرق التفسير ان يفسِّر القرآن بالقرآن، الذي ذهب اليه ابن القيّم والزركشى ونهج العلّامة الطباطبائى‌ﷺ هذا المنهج في تفسيره العظيم (الميزان) كما قيل.

الخامس: الروح العامة للسور القرانية

عند ما ننظر الى سورة من سور القرآن نرى فيها حركة خاصة من مبدأها الى منتهاها وكأنّها تخطو خطوة خطوة.

فكل سورة تبدأ بشيء وتنتهى الى شيءٍ آخر، لها مبدء حسن وختام جيد، فكل من المبدأ والخاتمة وما بينهما، يختص بموضوع واحد وان كان عاما، بالعبارات والآيات المتلائمة.

قال الاستاذ معرفت:

«وممّا يسترعى الانتباه ما تشتمل عليه كل سورة من اهداف خاصة تستهدفها لغرض الايفاء بها واداء ما فيها من رسالة بالذات، الأمر الذي يوجّه مصير انتخابها في كيفية لحن الاداء وفي كميّة عدد الآيات، ينبئك بذلك اختلاف السور في عدد الآى، قليلها وكثيرها، فما لم تستوف الهدف لم تكتمل السورة قصرت امطالت... هذا مضافا الى ما لكل سورة من حسن مطلع ولطف ختام، فلابدّ ان تحتضن مقاصد هي متلائمة مع هذا البدء والختام،

وبذلك يتمّ حسن الائتلاف والانسجام»[1].

وقال سيد قطب:

«والتناسق الالوان و درجات، منها ذلك التسلسل المعنوى بين الاغراض في سياق الآيات والتناسب في الانتقال من غرض الى غرض»[2].

وقال محمّد محمّدالمدنى:

«ان في كل سورة من سور القرآن الكريم روحاً تسرى في آياتها وتسيطر على مبادئها واحكامها وتوجيهاتها واسلوبها»[3].

فانظر الى سورة الحمد:

قال البقاعى نقلاً عن غيره:

«وكانت سورة الفاتحة أمّا للقرآن، لأن القرآن جميعه مفصل من مجملها، فالآيات الثلاث الاوّل، شاملة لكل معنى تضمنه الأسماء الحُسنى والصفات العلى، فكلّ ما في القرآن من ذلك، فهو مفصل من جوامعها، والآيات الثلاث الآخر من قوله «اهدنا» شاملة لكل ما يحيط بامر الخلق في الأُصول الى الله والتحيّز الى رحمةالله والانقطاع دون ذلك، فكل ما في القرآن منه فمن تفصيل جوامع هذه، وكل ما يكون وصلة بين ذلك مما ظاهرهنّ هذه من الخلق ومبدؤه وقيامه من الحق فمفصل من آية:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4].

فالحمد وهي امّ القرآن مشتملة على كل القرآن باجمال، فهي روحالقرآن فالسورة

١ـ التمهيد، ج ٥، ص ٢٤٦.

٢ـ التصوير الفنى، ص ٧٣.

٣ـ التمهيد، ج ٥، ص ٢٤٧.

٤ـ نظمالدرر، ج ١، ص ٢٢.

مشتملة على موضوعات ثلاث وهي:

الاولى: التمجيد والتحميد لله تعالى وبيان علة تحميده وهو ربوبية ورحمته ومالكيته للدنيا والآخرة.

والثاني: بعد الاقرار بهذه الاوصاف التي لا توجد في احدٍ غيره وهو غنى وغيره فقر محض، لابدّ من الانقطاع اليه.

والثالث: فبعد الانقطاع اليه كمال الانقطاع، والايصال والقرب اليه تعالىٰ، يمكن للعبد ان يسئل حاجته، للدنياه وآخرته فقال: ﴿اِهْدِنَا الصِراطَ الْمُسْتَقِيم...﴾.

ثم انظر الى سورتى الفلق والناس:

الروح العامة في هذين السورتين، هو اعتصام الانسان الذي سلك المسالك خطوة خطوة ولبس لباس الهداية في اوّل سيره، وعمل باحكام الدين وتخلق باخلاق‌الله وبُشّر وأُنذر وعرف ربّه واصافه باوصافه الثبوتية وطرح الصفات السلبية عنه تعالىٰ، ختم السيرة بالانقطاع عن الخلق الظاهر والباطن ظاهراً من مخلوقاته من الاجسام وباطنا من الانسان المطبوع على الشر والشرّ كامن في نفسه.

ثمّ تمسك بعالم الأمر وهو خير محض برئ من الشرّ.

فعند هذه الدّقة في كلّ من السور القرآنية تجد انّه يختلف عن غيره من الكتب اختلافاً جذريا بل تجد فيه روحاً واحدةً نفخت في كلّ آية من آياته وقد تعرض لذلك من العلماء «الفيروز آبادى» المتوفى ٨١٧ فصنف كتاباً [١] لبيان الأهداف والمقاصد للسور القرآنية وتبعه في ذلك «محمّد عبده» فكان اساس تفسيره على فهم فكرة السورة وموضوع الآية

١ـ بصائر ذوى التميز في لطائف الكتاب العزيز .

لفهم الآيات [1].

فعندما نقول بالتناسب بين السور والتناسب بين الآيات بسياق واحد وروح واحدة من المطلع الى الختام بالقاء هدف واحد في كل من السّور، لابدان نقول، ان الآيات التكرارية لفظاً في كل موضع من القرآن تلقى معنىً خاصاً يتناسب مع ما قبلها وما بعدها من الآيات، وكانت لها روحاً خاصةً مطابقةً للروح العام في نفس السورة التي هي فيها، المتغايرة مع غيرها في مواضع اخرىٰ.

السادس: تكرار النزول

صرّح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بانّ من القرآن ما تكرر نزوله للتذكير والموعظة ونحوهما، فقد قبل تكرار نزول بعض من السور القرآنية في مكة والمدينة.

مع ان التحديد في السور القرآنية بمكيّة ومدنيّة، ليست باجماعية، بل الاجماع قائم على ان بعض السور كانت مختلفة حتّى قال الاستاذ معرفت في كتابه:

«لكن هذا التحديد (تحديد السور القرآنية من سورة العلق الى المطففين مكيّة ومن البقرة الى البرائة مدنيّة) لم يكن متفقاً عليه عندالجميع، فهناك في اكثر من ثلاثين سورة خالف بعضهم» [2].

وقد نقل السيوطى في الاتقان السور المختلفة فيها وهي اثنتا عشرة سورة.

هذا، مع انّه قد قيل بنزول بعض السور القرآنية مرّ تين، مرّة بمكة ومرّة بالمدينة.

قال الاستاذ معرفت في هذا الصدد:

١ـ منهج الامام محمّد عبده في تفيسر القرآن، لعبدالله محمود شحاته.

٢ـ التمهيد، ج ١، ص ١٤٦.

«لا يبعد نزول سورة التوحيد مرّتين ولكن معناه انّ الثانية كانت تذكيراً للنبيّ بمناسبتها الحاضرة»[1].

وهذا اى نزول السور المختلفة فيها مرّتين، هو وجه الجمع بين الآراء المختلفة والروايات المشتملة عليها.

هذا كلّه مع انّه قد ذكر لآية واحدة اسباب مختلفة ومتعددة او اختلف في سبب نزول آية واحدة.

فمثلًا:

قال الطبرى في تفسير هذه لآية الشريفه:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾[2].

«قد اختلف اهل التأويل في السبب الذي من اجله نزلت هذه الآية»[3].

قال السيوطي في تفسيره:

«فاخرج ابن سعد والبزاز وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم عن ابى هريرة ان النبيّ ﷺ وقف على «حمزة» ابن عبدالمطلب حين استشهد، فنظر الى منظر لم ير شيئا قطّ كان اوجع لقلبه منه، ونظر اليه وقد مثل به، فقال: رحمةالله عليك فانّك كنت ما علمت وصولًا للرحم فعولا للخيرات، ولو لا حزن من بعدك عليك لسرّنى ان اتركك حتّى يحشرك الله من ارواح شتى، امّا والله لا مثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبرئيل والنبي ﷺ واقف بخواتيم النحل «وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم»، فكفّر النبيّ ﷺ عن يمينه وامسك عن الذي اراد وصبر.

١ـ المصدر، ص ١٦٣.

٢ـ سورة النحل، آية ١٢٦.

٣ـ تفسير جامع‌البيان، ج ١٤، ص ٢٥٣.

وأخرج ابن أبي شيبه في المصنف وابن جرير عن الشعبى، قال: لمّا كان يوم أحد وانصرف المشركون فرأى المسلمون باخوانهم مثلة، جعلوا يقطعون آذانهم وآنافهم ويشقون بطونهم، فقال اصحاب رسول‌الله ﷺ: لئن انا لَنَا الله منهم لنفعلنّ ولنفعلنّ... فانزل الله «وان عاقبتم» الآية، فقال رسول‌الله ﷺ: بل نصبر.

واخرج ابن جرير وابن مردويه، عن ابن عباس في قوله: (وان عاقبتم...) قال: هذا حين امرالله نبيّه ان يقاتل من قاتله، ثمّ نزلت البرائة وانسلاخ الاشهرالحرم، قال: فهذا من المنسوخ.

واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن زيد قال: كانوا قد امروا بالصفح عن المشركين فاسلم رجال ذو منعة، فقالوا: يا رسول‌الله، لو اذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب، فنزلت هذه الآية ثمّ نسخ ذلك بالجهاد»[1].

والفخر الرازى قد نقل عن الواحدى السبب الأوّل والثالث واضاف:

«والقول الثالث: انّ المقصود من هذه الآية نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم، وهذا قول مجاهد والنخعى وابن سيرين»[2].

ونقل الطبرسى في تفسيره مجمع‌البيان عن الحسن:

«نزلت الآية قبل ان يؤمر النبيّ ﷺ بقتال المشركين على العموم وامر بقتال من قاتله»[3].

وايضاً قد ذكر في سبب نزول الآية التالية سببين مختلفين.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا

١ـ تفسير الدرالمنثور، ج ٥، ص ١٧٩.

٢ـ تفسير الكبير، ج ٢٠، ص ١٤٣.

٣ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ٦، ص ٢١١.

قَلِيلًا﴾ [1].

قال السيوطى في تفسيره الدر المنثور:

أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم، عن مجاهد رضى‌الله عنه في قوله:«يسئلونك عن الروح» قال: يهود يسألونه.

وأخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان وابن مردويه، وأبونعيم والبيهقى معا في الدلائل عن ابن مسعود رضى‌الله‌عنه قال: كنت امشى مع النبيّ ﷺ في خراب المدينة، وهو متكى على عسيب، فمرّ بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض، سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه فسألوه فقالوا: يا محمد، ما الروح؟ فما زال يتوكأ على العسيب وظننت انّه يوحى اليه، فانزل الله «يسألونك عن الروح قل الروح...».

واخرج أحمد والترمذي وصححه [و] النسائى وابن المنذر وابن حبان وابوالشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه وابونعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس رضى‌الله عنهما قال: قالت قريش لليهود اعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت «ويسألونك عن الروح...» [2].

وانت تعرف كم من الفرق بين هذين السببين، فالسبب الأوّل يقول بأنّ الآية نزلت في المدينة والسبب الثاني يقتضى بأنها نزلت في مكّة.

نعم ان كان أحدٌ من السببين اوالأسباب المختلفة لآية واحدة راجح سنداً أو متناً، فهو ولكن ان لم يكن كذلك فاعمال الروايتين او الروايات اولى من اهمال بعضهم اذ لا يمكن

١ـ سورة الاسراء، آية ٨٥.

٢ـ تفسير الدرالمنثور، ج ٥، ص ٣٣١.

ان نأخذ بواحدة ونرد الاخرىٰ بغير سبب وذلك ليس الا ترجيحاً بلامرجح، فلا يمكن الّا الأخذ بكلّ من الأسباب الصحيحة سنداً أو متناً، اوالأسباب التي في درجة واحدة من كلتا الجهتين، فمع هذا يمكن للقائل بأن يقول انّ الآية نزلت متكررةً.

نعم لا يمكن قبول هذا القول بسهولة ولكن عند ملاحظة اخبار الباب و على فرض حصول القطع بصحة كلها أو كانت على درجة واحدة لا محيص لنا الّا الاعتراف بما ذكرنا.

هذا، فبعد ان عرفت عدم نقص شي من القرآن ولا زيادة فيه وان القرآن قد جمع آياته ونظمّها رسول‌الله ﷺ، حسب رأينا في تاريخ القرآن ولا مجال هنا للبحث عنه، ونعرف أيضاً ان المؤمنين يدققون كمال الدقّة لحفظ القرآن وكتابته حتّى حروفه وحتى «واوه» فضلًا عن آياته، فهنا نقول:

ان الحكمة الالهية تقتضى بعدم كتابة السّور التكرارية ولذلك لم يأمر رسول‌الله ﷺ بكتابتها مرّتين او مرّات، فعند ما نعترف بأن من السور القرآنية قد تكرر نزولها وما ثبت في القرآن الّا مرّة واحدة، لأبد ان نعترف بانّه لو كان في القرآن تكرارٌ فلابد ان يثبت منها آية واحدة على الاقل فإثبات الآيات المتماثلة يدلنا الى ما ذكرنا وهو ان هذه الآيات ليست بتكرار قط.

السابع: للقرآن نزولان

انّ القرآن الموجود بايدينا او روحه العامة، نزل الى سماء الدنيا ليلةالقدر جملة واحدة او الى البيت المعمور او الى قلب النبى الأكرم ﷺ ثم نزل بعد ذلك منجّما على حسب الوقايع والشئون ممّا يقرب الى عشرين سنة وهذا مقتضى الجمع بين الآيات الدالة على نزول القرآن في ليلة واحدة، في شهر رمضان ونزوله بسبب من الأسباب وللحوادث

الواقعة و عليه روايات كثيرة منها:

«حفص بن غياث، عن ابي عبداللهعليه السلام قال: سألته عن قول‌الله عزوجل «شهر رمضان الّذي انزل فيه القرآن» وانّما انزل في عشرين سنة، بين اوله وآخره، فقال: ابوعبداللهعليه السلام نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان الى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة، ثمّ قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله نزلت صحف ابراهيم في اوّل ليلة من شهر رمضان، وأُنزلت التورية لستٍّ مضين من شهر رمضان، وأُنزل الانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وانزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان وانزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان» [۱].

والطبرى في تفسيره قد نقل أخبارًا كثيرةً بهذا المضمون [۲].

وهنا اقوال آخر لا يعبأبها وهو:

۱ ـ ان القرآن نزل تدريجاً وليلةالقدر كانت ابتداء نزوله.

۲ ـ مايحتاج اليه النّاس في سنة واحدة نزل في ليلةالقدر.

۳ ـ آيات الصيام من القرآن نزلت في ليلةالقدر.

٤ ـ اكثر آيات القرآن نزلت في ليلةالقدر.

فظاهر القرآن والآية التي نبحث فيها والصيغة المستعملة «انزل» ورجوع الضمير الى الكل يرد هذه الاقول عدا الوجه الاوّل وهو من الشيخ المفيد رحمةالله عليه في تصحيح الاعتقاد والسيد المرتضى في جواب المسائل الطرابلسيات ومال اليه الاستاذ معرفت في تمهيده ولكن لما كانت هذه المسئلة من المسائل النقلية المحضة ولا دخل للعقل فيها،

۱ـ تفسير البرهان، ج ۱، ص ۱۸۲.

۲ـ تفسير جامع‌البيان، ج ۲، ص ۱۹٦ الى ۱۹۸.

تبعا للروايات الصريحة في الباب، نقول بنزول القرآن دفعةً واحدة في ليلةالقدر وتدريجاً في فترات طول نيف وعشرين سنة لأنّ الصراحة في رواية «حفص» وغيرها وعبارات نحو «القرآن» و «جملة واحدة» لا يمكن رفع اليد عنها.

وبعد القول بان للقرآن نزولين وله نزول دفعى في ليلة واحدة فلا فائدة للتكرار فيها ولا داعى لسرد الاغراض والاهداف التي تنطوى عليها ظاهرة التكرار في القرآن.

الثامن: ضيق اللغة وسعة المعنى

اللغة كانت من صنع الانسان ولرفع حوائجه وارتفاع حوائج غيره فهي من لوازم الحياة الاجتماعية ومحدودة في حصار الحاجات العادية فالاستفادة من اللغة وبيان معناها والقائه الى المخاطب وافهامه، يحتاج الى علم المخاطب بمعانيها التي يستعملها القائل، فعند ما لايعرف السامع معنى اللفظ الصادر من المتكلم، لايمكن القاء هذه المعاني اليه.

فالقرآن هو في مستوى عال من عندالله تعالىٰ، قد نزل بالمفاهيم العالية، فيه مسائل كلامية دقيقة كحقيقة الله تعالى وصفاته عزّوجلّ، وفيه كلام عن المعاد والجنّة والنّار، التي لا يمكن توصيفها للإنسان البعيد عن الحقائق المجردة ومافوقها اللاعب بالمادة وما فيها.

هذا في جانب ومن جانب آخر وعدالله تعالىٰ ان يأتي كتابه بلفظ عربى مبين.

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [1].

واللفظ العربي بما في اشتقاقاته الكثيرة مع المعاني الوسيعة جداً، محدودة في الحوار الحسى واعطاء المعاني الحسيّة غالباً، فما يفعل القرآن؟

١ـ سورة الشعراء، آيات ١٩٣ الى ١٩٥.

فلابّد ان يأتي الله تعالى بالمعاني الدقيقة والالفاظ العرفية المستعملة عندالعرب وعلى مستوى العامة، فجاء بالمجازات والاستعارات والكنايات والتعاريض، والأمثال، حتّى يعرف العرب الفاظه عند استماعه ويفهمه عند الدقة والتدبّر.

فلاجل هذا كانت الوجوه والنظائر في ألفاظ القرآن كثيرة جداً حتّى أن لفظ واحد له وجوه كثيرة ونظائر أكثر وفي كلّ آية وفي كلّ موضع من القرآن استعمل وجه منها.

فمثلا: كلمة الذكر اتت على ثمانية عشر وجهاً وهي: «العمل الصالح، الذكر اللساني، الذكر القلبي، الأمر، الحفظ، العظة، الشرف، الخبر، الوحى، القرآن، التورية، اللوح المحفوظ، البيان، التفكر، الصلواة الخمس، الصلوة الواحدة، التوحيد والرسول.

كلمة هدى اتت على سبعة عشر وجهاً وهي: البيان، الإسلام، الإيمان، الدعا، المعرفة، الرسل، الرشد، امر النّبوة، القرآن، التورية، الاسترجاع، الحجة، التوحيد، السنة، الاصلاح، الالهام والتوبة.

وكلمة فتنة على أحد عشر وجهاً وهي: الشرك، الكفر، العذاب، البلوى، الحرق، القتل، الصد، الضلالة، المعذرة، الجنون والفتنة، وهكذا [١].

وعلى هذا الأساس، سعة المعنى وضيق اللّفظ يستدعى ان يأتى القرآن بالمعانى المختلفة والمتعددة، بألفاظ متماثلة ومتشابهة.

قال صاحب الميزان في تفسير الآيتين الشريفتين التاليتين كلاماً مفصلًا في المعاني الكثيره الّتي يمكن استخراجها من الآية. نذكرها مفصلًا لما فيها من الفائدة.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ

١ـانظر الكتب المولفة في الوجوه والنظائر في القرآن.

أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1].

«وهذه الجملة اعنى قوله: ان لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، كلمة عجيبة كلّما امعنت في تدبرها زاد في اتساع معناها على لطف ورقّة وسهولة بيان، واوّل ما يلوح في معناها انّ الخوف والحزن مرفوعان عنهم والخوف انّما يكون في أمر ممكن محتمل يوجب انتفاء شيء من سعادة الإنسان الّتي يقدر نفسه واجدة لها، وكذا الحزن انما يكون من جهة امر واقع يوجب ذلك، فالبلية او كلّ محذور انّما يخاف منه اذا لم يقع بعدُ، فإذا وقعت زال الخوف وعرض الحزن فلا خوف بعدالوقوع ولا حزن قبله، فارتفاع مطلق الخوف عن الإنسان انما يكون اذا لم يكن ما عنده من وجوه النعم في معرض الزوال، وارتفاع مطلق الحزن انّما تيسّر له اذا لم يفقد شيئاً من انواع سعادته لا ابتدائاً و لا بعد الوجدان، فرفعه تعالىٰ مطلق الخوف والحزن عن الإنسان معناه ان يفيض عليه كل ما يمكنه ان يتنعّم به ويستلذّه وان لا يكون ذلك في معرض الزوال وهذا هو خلود السعادة للانسان وخلوده فيها.

ومن هنا يتضح ان نفي الخوف والحزن هو بعينه ارتزاق الإنسان عندالله سبحانه، يقول: وما عندالله خير،آل عمران، ١٩٨ ؛ ويقول: وما عندالله باق، النحل، ٩٦. فالآيتان تدلان على ان ما عندالله نعمة باقية لا يشوبها نقمة ولا يعرضها فناء.

ويتضح أيضاً ان نفيها هو بعينه إثبات النعمة والفضل وهو العطية، لكن تقدّم في اوائل‌الكتاب وسيجئ في قوله تعالى: ﴿مع الذين انعم الله عليهم﴾ [2] انّ النعمة إذا اطلقت‌في عرف القرآن فهى الولاية الالهية، وعلى ذلك فالمعنى انّ الله يتولى امرهم

١ـ سورة آل عمران، آيتى ١٧٠ و ١٧١ .

٢ـ سورة النساء، آية ٦٩ .

ويخصهم بعطيته منه.

واما احتمال ان يكون المراد بالفضل الموهبة الزائدة على استحقاقهم بالعمل، والنعمة ما بحذائه، فلا يلائمه قوله: وانّ الله لا يضيع اجر المؤمنين، فان الأجر يؤذن بالاستحقاق وقد عرفت انّ هذه الفقرات اعنى قوله: عند ربّهم يرزقون، وقوله: فرحين بما...، وقوله: يستبشرون بنعمة ...، وقوله: وان الله لا يضيع اجرالمؤمنين، مآلها الى حقيقة واحدةٍ.

ثمّ أضاف في آخر بحثه: «وفي الآيات ابحاث آخر ... ولعل الله يوفقنا لاستيفاء ما يسعنا من البحث فيها في ما سيجئ من الموارد المناسبة ان شاءالله تعالى» [1].

وفي تفسير الآية الشريفه:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [2].

وفي تكرار كلمة «الكتاب» ثلاث مرأت في هذه الآية، قال صاحب الميزان:

«وتكرار لفظ الكتاب ثلاث مرات في الكلام لدفع اللبس، فإن المراد بالكتاب الأوّل هوالّذي كتبوه بأيديهم ونسبوه الى الله سبحانه، وبالثاني الكتاب الذي انزله الله تعالى بالوحى، وبالثالث هو الثاني، كرر لفظه لدفع اللبس وللاشارة الى أن الكتاب بما انّه كتاب الله ارفع منزلة من ان يشتمل على مثل تلك المفتريات، وذلك لما في لفظالكتاب من معنى الوصف المشعر بالعلية.

ونظيره تكرار لفظ الجلاله في قوله: «ويقولون هو من عندالله وما هو من عندالله».

١ـ تفسير الميزان، ج ٤، ص ٦٤.

٢ـ سورة آل عمران، آية ٧٨.

فالمعنىٰ وما هو من عندالله الذي هوإله حقّا لا يقول الّا الحق، قال تـعالى «والحـقّ اقول»[1].

التاسع: حجيّة ظواهر الكتاب للعموم

ظواهر الكتاب فبعد تفسيرها الصحيح من المتشابه وعند الفحص عن ما يـصلح ان يكون قرينة صارفة لظاهرها، من المخصص والمقيد والناسخ و... وبعد العلم بكلّ ما له دخل في معنى الآية نحو الصرف والنحو واسباب البلاغة والفصاحة واسباب النزول و... تصير حجة بالنسبة الى المخاطبين وغير المشافهين، لأنّ:

١ ـ القرآن هو كتاب المعجز للنبيّ الخاتم فهو حجة الله على الناس وشريعة لهـم الى يوم القيمة.

٢ ـ كثيراً ما رأينا ان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام يستدلون في احـاديثهم بالقرآن الكريم ويستندون الى آياته ويرجعون النّاس إليه مع اعطاء منهج الاستدلال لهم و لذا ابى جعفر الباقر عليه السلام قد بيّن ان المسح ببعض الرأس واستند فيه بكتاب الله وقـال: «انّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء»[2].

مضافاً الى ما ورد منهم عليهم السلام في عرض الأخبار المعارضة على كتاب الله وأخذ ما وافقه وردّ ما خالفه منها،كما قـال الصـادق عليه السلام:«**مـالم يـوافـق مـن الحـديث القـرآن، فـهو زخرفٌ**»[3].

وعنه عليه السلام حيث ابطل كل شرط في معاملة يخالف كتاب الله تعالىٰ فقال: «المسلمون

١ـ تفسير الميزان، ج ٣، ص ٣٠٦.

٢ـ وسايل الشيعة، ج ١، ص ٢٩١.

٣ـ وسايل اليشعة، ج ١٨، ص ٧٨.

عند شروطهم، الاكل شرط خالف كتاب الله عزّوجلّ فلايجوز»[1].

٣ ـ امرهم بالتدبر في القرآن ومعناه الأخذ بكتاب‌الله تعالى وحجيّة ظواهره، فلولاه كان التدبر لافائدة فيه.

﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[2].

قال رسول‌الله ﷺ :«ويل لمن لاكها بين فكيّه ولم يتأمل ما فيها»[3].

وقال اميرالمؤمنين عليه السلام :«الا لا خير في قرائة ليس فيها تدبرٌ»[4].

يكفينا هذا وقد بُحث هذا البحث في علم الاصول بشكل مفصل لاحاجة الى اعادته فنقول: عندما نتأمل في الاغراض الّتي تقام لبيان سر التكرار وسيأتى البحث عنه، من قبيل التاكيد والتقرير وغيرهما، نعرف ان هذه الاغراض كانت مفيدة للمخاطبين على الأكثر، ولا يفيدنا، لاننا نستطيع ان نقرء آية واحدة مرّة أو غير مرة وقد تحصل هذه الاغراض بذالك ولا يحتاج الى ثبت آية واحده بصورة مكررة.

فبما ان القرآن نزل من عند حكيم وكتابته وترتيبه كانت بإذنه تعالىٰ، فليست في القرآن تكرار ابداً وما نتخيل انّه على ظاهر لفظه منه فليس منه في الواقع بعد التأمل فيه.

العاشر: القرآن هو تبيان كلّ شئ

القرآن كتاب تربية وهداية ويتضمن برنامجا كاملا للوصول بالإنسان الى كماله وقربه الالهي نعم ليس في القرآن شى من الاختراعات والكشفيّات مع ان في القرآن اشارة الى

١ـ وسايل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٥٣.

٢ـ سورة ص، آية ٢٩.

٣ـ بحارالأنوار، ج ٦٩، ص ٣٥٠

٤ـ وسايل‌الشيعة، ج ٤، ص ٨٢٩.

بعض الحقايق العلمية الّتي تمّ التوصل اليها مؤخّرا بعد التقدم العلمي والتكنولوجيا ككروية الأرض وقانون الزوجية وتكوين الجنين من النطفة وغيرها ولكن هذا شئ يصل الإنسان اليه لا محالة بالاستفادة من القوة البدنية والفكرية الّتي وهبها الله تعالى. فمن المنطق التربوى للقرآن الكريم هو ان يتناول كلّ ماله صلة ومدخلية لتكامل الإنسان، فيلزم ان يأتي بالعبادات وكيفياتها وتمام جوانبها والاخلاق ووجوهها ومستثنياتها وآثارها، فعند ما ننظر في القرآن لم نرَ فيه الّا الأُصول الكليّة حتّى يمكن ان يقال انّه لم يتحدث عن جزئيات العبادات والاخلاقيات الّا قليلًا جدّا.

فمثلًا امر باقامة الصلوة ولا نرىٰ فيه كيفيّتها وكميّتها، كم ركعة هي وفي ايّ وقت وبايّ شكل تقام؟ ما هي الواجبات والأركان فيها؟ و...

وامر بالزكاة وما نرى فيه على من تجب الزكاة وعلى ما تجب، كيف تجب وكيف تعطى؟

ولكن عند ما نتدبر في آياتها ونفسّر كلماتها بالاستعانة بآيات أخر وبالأخبار الواردة عن المعصومينعليهم السلام لأنّهم ادرىٰ بما في بيوتهم، نتمكن ان نستخرج جزئيات المسائل منها.

فقال الصادقعليه السلام بهذا الصدد: **«انّ الله تبارك وتعالىٰ انزل في القرآن كلّ شئ حتّى والله ما ترك شيئاً تحتاج إليه، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن، الّا وقد انزل الله فيه»** (١)

ولكن كشف هذه الأُمور لا يمكن لكلّ احدٍ لأنّ للقرآن ظاهر كبحرٍ واسع عميق، لا يمكن كشفه الّا لمن اودعت فيه هدايته، وباطن اعمق من هذا ولا يتمكن من الخوض فيه

١ـ تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٧٤.

الّا الرّاسخون في العلم.

فمع هذا يعنى عدم التصريح بجزئيات الأحكام في القرآن التي يحتاج إليها النّاس جداً، وانّ الفقيه عند استنباطه هذه الجزئيات في آيات الأحكام يحتاج الى مشقة شديدة واجتهاد دؤوب، فكيف يمكن ان نقول بالتكرار في بعض آخر من الآيات؟

الحادى عشر: الاطناب والايجاز

الاطناب هو اداء المعنى المراد بعبارة زائدة وأكثر من العبارة المتعارفة، نحو رأيته بعينى وسمعته باذنى ووطئة برجلى، لأنّ الروية لا تكون الّا بالعين والسمع لا يكون الّا بالاذن، والوطئ لا يكون الّا برجل وهكذا. فالاطناب يخل بالفصاحة الّا عند ما يكون المعنى الملحوظ مهمّاً او عظيماً أو ايضاحاً بعد إيهام أو موجباً للذّة الجديدة للمستمع، ففي مثل هذه الموارد يصح الاطناب بل يؤكد.

في الآية الشريفة التأليه:

﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ (١).

فالصلوة الوسطى هي صلوة وقد امر بمحافظتها في ضمن مطلق الصلوة ولكن ذكرها مرة أُخرى لإيضاحها أو لاهميّتها.

ونحو:

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ...﴾ (٢).

فالقلب لا يكون الّا في الجوف ولكن لما كان المقام، مقام التّخطئة والرّد بما قال

١ـ سورة البقرة، آية ٢٣٨.

٢ـ سورة الأحزاب، آية ٤.

الكفار بأن فلان «ابومعمرّ» له قلبان، أو كانت الآية في مقام بيان انّه لا ينبغي للإنسان ان يجعل الهاً غيرالله في قلب واحد الّذي في جوفه.

ومثلاً في الآية التالية:

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [1].

فالسقف لا يكون الّا من فوق ولكن زاد الله تعالى «فوقهم» لانّه في مقام التخويف.

والايجاز هو اداء المقصود بأقل من العبارات المتعارفة وبالفاظ قليلة وبحذف الفضول، لاجمال او ايجاز بالمعانى وتكثيفها وهو على قسمين، منه ايجاز القصر وهو اذا لم يحذف شئ من العبارة لكن كان للعبارة القصيرة معنى عام ومفهوم وسيع. والمثال الواضح لهذا النوع، الآية التالية وهي آية القصاص.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ...﴾ [2].

فكان معناها ان القتل نافع للقتل، لأنّ الإنسان إذا علم ان القاتل سيقتل، فهو يترك القتل، فقتل القاتل يمنع عن تكرر عملية القتل مرة اخرىٰ وعقوبته تمثل رادعا كثيراً في تكرار هذه الجريمة فالقتل موجب للحياة في الواقع. وهذه الجملة هي اقصر الجمل لإفادة مراد الآية الشريفة.

القسم الثاني منه: إيجاز الحذف، بحذف المضاف أو المضاف إليه أو الموصوف أو صفته أو الشرط أو جزائه أو المسند أو المسند إليه أو المفعول أو اسم الموصول اوصلته أو المعطوف أو المعطوف عليه أو البدل أو البدل منه أو حرف النفي او اداة الإستثناء أو حرف

١ـ سورة النحل، آية ٢٦.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٧٩.

التوطئة للقسم، فموارده كثيرة جداً بحيث لا توجد آية الّا وفيها موارد للايجاز وإليك نموذجان منها:

﴿...وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ...﴾ (١).

اى ليس الذكر الذي طلبت كالانثى الّتي وهبت.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ (٢).

اي من شر الجنة ومن شر النّاس.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الشريفة التالية:

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (٣).

«وفي تكرار لفظ الحج ثلاث مرّات في هذه الآية على انّه من قبيل وضع الظاهر موضع المضمر لطف الإيجاز، فانّ المراد بالحجّ الاوّل زمان الحجّ، وبالحجّ الثاني نفس العمل، وثالث زمانه ومكانه، ولولا الاظهار لم يكن بد من اطناب غير لازم كما قيل» (٤).

فالايجاز بشكل عام وباقسامه المختلفة في القرآن يرشدنا الى هذا المعنى وهو ان من

١ـ سورة آل عمران، آية ٣٦.

٢ـ سورة الناس، آية ٦.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٩٦.

٤ـ تفسير الميزان، ج ٢، ص ٨٠.

دأب القرآن بيان الاشياء والموضوعات بشكل موجز وهذا ينافي التطويل [1] والتكرار.

الثاني عشر: التعدد في اسباب النزول

سبب النزول هو الحادثة التي نزلت الآية أو الآيات فيها أو مبينة لحكمها ايام وقوعها ولها فوائد متعددة منها: الاستعانة على فهم الآيات ودفع الاشكال عن ظاهرها، حتّى قيل لا يمكن تفسير آية دون الوقوف على قصتها وسبب نزولها، ومنها معرفة من نزلت فيه الآية وساير مصاديقها بعد حجية القياس المستنبط العلة، ومنها وربّما كان من اهمها وهي بيان اعجاز القرآن بانه منزل في اكثر من عشرين سنة وكلّ آية أو آيات نزلت بعد حوادث معينة وهذا دامغ لمن قال انّه اساطيرالاوّلين.

هذا، ولاشك انّ من الآيات القرآنية المتماثلة ما نزلت في واقعتين، أو نزلت آية في واقعة وليس في نزول الأُخرى من واقعة، بل لعلك تجد آية نزلت من دون ارتباطها بسببٍ من الأسباب أو بواقعة تاريخية.

فمثلاً نزلت الآية التالية:

﴿وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [2].

نزلت خمس مرّات، في نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام.

ونزلت الآية الاولى من الآيتين التاليتين في رجل اعمى وله عذر في تخلفه عن الجهاد ولم يذكر للآية الثانية سبب نزول اصلًا.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَايَجِدُونَ مَايُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا

١ـ التطويل هو زيادة اللفظ على المعنى، نحو لا نصيب لى ولاحظّ.

٢ـ سورة الشعراء، آيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ...﴾ (٢).

وهذا اي تعدد اسباب النزول للآيات المتماثلة دليل على ان هذه الآيات وان كانت ألفاظها وكلماتها متماثلة لكن لهن معانى مختلفة ومتعددة بحسب تعدد شأنها وسببها والواقعة التي نزلت فيها وعلى أي قوم نزلت فيهم.

الثالث عشر: الاشتراك اللفظى

الاشتراك على قسمين: الأوّل: الاشتراك اللفظي وهو وضع اللّفظ وارادة معنيين منه أو معان كثيرة بلاجامع بينهم. نحو العين الموضوعة للعين المضيئة والجارية والباهرة والباصرة و...

الثّاني: الاشتراك المعنوي وهو وضع اللّفظ وارادة المعنى الواحد الجامع بين المعاني المختلفة نحو حيوان وهو لفظ يراد به جنس الحيوانية الجامعة بينالأنواع المختلفة من هذا الجنس من الحيوان والإنسان.

لا ينبغي الإشكال في إمكان الاشتَراك بالنسبة الى المعنين أو ازيد في اللغة العربية بل وفي غيرها من اللّغات ويعين احدالمعاني دون غيره من طريق الاستعانة بالقرينة المعينة له.

فالكلمة الواحدة قد تكون لها مجموعة من المعاني المختلفة فالباء هي حرف جر لها سبعة عشر معنى وهكذا الاسماء والأفعال وذلك لتناهي الألفاظ دون المعاني بحسب

١ـ سورة البرائة، آية ٩١.

٢ـ سورة الفتح، آية ١٧.

العرف.

فاستعمال لفظ وإرادة معنين أو معاني متعددة ممّا لا اشكال فيه ولا خلاف، انّما الخلاف في استعمال لفظ في أكثر من معنى واحد في آن واحد وهذا مطلب آخر قد نقح بحثه في علمالأُصول.

فاستعمال اللفظ في موارد متعدة وإرادة معاني كثيرة في القرآن هو أحد وجوه الاعجاز فيه، حيث كانت الكلمة الواحدة تستعمل في عشرين وجها، وهذا لا يوجد في المحاورات العرفية.

بعد ارتحال النبيّ الأكرمﷺ نرى حركة فكرية من عند الصحابة لتفسير القرآن، فاوّل من دوّن التفسير هو علي بن ابيطالب عليه افضل صلواتالمصلين وذلك في زمن «ابي بكر»، ثمّ عدة أُخرى من الصّحابة ومنهم ابن عباس وابن مسعود وغيرهما.

وبعد ان منع الخليفة الثاني «عمر بن الخطاب» كتابة الحديث النبوى الشريف بذريعة خوفه من اختلاطه بالقرآن وكان له أثراً سلبياً على الحركة الثقافية الإسلامية، أجاز الخليفة «عمر بن عبدالعزيز» تدوين الحديث ونشره فبدء التأليف في العلوم المختلفة في القرآن وتفسيره ومنها التفاسير اللغوية بكشف العلاقات بين الكلمة ومعناها ودلالاتها وبملاحظة السياق العام لها.

فقد أُلف في هذا المجال تآليف كثيرة سُمّى بعضُها بـ«الوجوه والنظائر» أو «الأشباه والنظائر» ولعلك لا تجد فرقاً بينهما غير أن علمالوجوه والنظائر من فروع علم التفسير وهو يتكلّم عن تفاسير مختلفة ومعاني متعددة في الكلمة التي جائت في مواضع متعددة من القرآن.

فالوجوه هي المعاني المتعددة والنظائر هي الألفاظ والكلمات المتماثلة.

والاشباه والنظائر وان كانت هنا بهذا المعنىٰ ولكن قد تستعمل في العلوم الأُخرىٰ نحو

الاشباه والنظائر في الفقه أو النحو أو الشعر وغيرذلك.

فأول من استعمل لفظ الوجوه بهذا المعنىٰ هو على بن ابيطالب عليه آلاف التّحية والثّناء حيث قال لابن عباس حين ارسله الى الخوارج:«اذهب إليهم وخاصمهم ولا تخاصمهم بالقرآن فانه ذو وجوهٍ ولكن خاصمهم بالسنة».

فقال ابن عباس له: يا اميرالمؤمنين فانا اعلم بكتاب‌الله وفي بيوتنا نزل، قال: صدقت ولكن القرآن حمّال ذو وجوهٍ، تقول ويقولون، ولكن حاجّهم بالسنة فانّهم لن يجدوا عنها محيصا، فأخرج إليهم فحاجّهم بالسنة فلم يبق بأيديهم حجةٌ» (١).

واوّل من دون الوجوه والنظائر لألفاظ القرآن هو «مقاتل بن سليمان البلخى» (٨٠ـ١٥٠) وهو رجل شيعى زيدى، وله اوّل تفسير فنى للقرآن يشرح فيه كل آية ويوضحها.

فالشافعى يقول: من أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان» (٢).

الرابع عشر: الاضداد والترادفات

البحث عن الاضداد والترادفات هو أحد المباحث الجارية في اللّغة العربية، ونعتقد ان اللّغة وخاصة اللّغة العربية ليس فيها الترادف، بل كل كلمة لها معنى غيرما في الاخرى، فالأسد والليث والحارث والغضنفر كلها بمعنى الأسد ولكن كلّ كلمة تحكى عن حالة من حالات الأسد. ونرى في القرآن كثير من الكلمات المتضادة، نحو الدّنيا والآخرة، الحيوة

١ـ معترك الأقوال للسيوطى، ج ١، ص ١٤.

٢ـ الاشباه والنظائر لمحمود شحاته، ص ٧٦.

والموت، الشّياطين والملائكة، الصّيف والشتّاء، السّيئات والصّالحات، الرّغبة والرّهبة، الميمنة والمشئمة و... فيلزم استعمال هذه الكلمات تكرار الأية أو أكثر كلماتها.

نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [1].

و نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [2].

ونحو: ﴿فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [3].

ونحوه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [4].

ونحوه: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [5].

ونحوه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [6].

وأيضاً القرآن يشتمل على كثير من الكلمات المترادفة نحو الحية والثّعبان والجـان، الجزاء والمغفره، الرّجس والرّجز، القلب والفؤاد، العجب والغرور و... لكن نـجد الفـرق الشاسع بين هذه الكلمات وهذا اى الترادف الكلّى فيها يستلزم تكـرار الآيـة او أكـثر كلماتها.

---

١ و ٤ ـ سورة البقرة، آيتى ٣٩ و ٨٢.

٣ـ سورة الواقعة، آيتى ٨ و ٩.

٤ـ سورة الغاشية، آيتى ٢ و ٨.

٥ـ سورة الليل، آيتى ٧ و ١٠.

٦ـ سورة القارعة، آيتى ٦ الى ٩.

نحو: ﴿... فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

ونحو: ﴿... فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

الخامس عشر: الاختلاف في الموضوع أو الحكم

يختلف الموضوع أو الحكم في كثير من الآيات المتماثلات من جهتهما، فنرى في الآيات المتماثلات من جهة الموضوع، احكاماً مختلفةً يتغير معناها والآيات المتماثلات من جهة الحكم، لها موضوعات مختلفة، فهذا ليس من التكرار بشي أبدًا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (٣).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (٤).

ونحو: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ (٥).

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (٦).

وجاء عقيب احدىٰ عشر آية: ﴿... فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧).

١ـ سورة البقرة، آية ١٧٣.

٢ـ سورة المائدة، آية ٣.

٣ـ سورة الغافر، آية ٢٢.

٤ـ سورة التغابن، آية ٦.

٥ـ سورة الملك، آية ١٦.

٦ـ سورة الملك، آية ١٧.

٧ـ سورة البقرة، آيات ٣٨، ٦٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧؛ سورة آل عمران، آية ١٧؛ سورة

والمراد من كلّ آية غير المراد من الاخرىٰ فعند الدقة في كلّ آية يتضح لنا ان رفع الخوف والحزن عن طائفة خاصةٍ تكلمت بها الآية.

وأيضاً جاء عقيب أربع آيات «... لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» وكان كلّ منها في بيان شئ، انظر الى الآية الاولى، ان تحريم ما حللالله خطوة شيطانية، والى الثانية، ان التفرقة كانت خطوة شيطانية، والى الثالثة، تحليل ما حرّمالله خطوة شيطانية، والى الرابعة، ان رمى المحصنات بالزنا واشاعة الفاحشة والبهتان، خطوة شيطانية.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [1].

فهذه الآية تدل ان الأصل في كل الاطعمة الموجودة، حليتها وما حرم وما استثنى منها يحتاج الى دليل بليغ، فالتحريم فيما احلّ الله للعباد بلا دليل يعتبر خطوةالشيطانية.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [2].

تدعو هذه الآية كلّ مسلم ومؤمن الى السّلم، وانّ المؤمن لابدّ أن ينصرف عن كلّ تفرقة واختلاف، وكلّ تفرّق وتشتّت خطوة من خطوات الشيطان.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَاتَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [3].

المائدة، آية ٦٩؛ سورة الانعام، آية ٤٨؛ سورة الاعراف، آية ٣٥، سورة يونس، آية ٦٢؛ سورة الاحقاف، آية ١٣.

١ـ سورة البقرة، آية ١٦٨.

٢ـ سورة البقرة، آية ٢٠٨.

٣ـ سورة الانعام، آية ١٤٢.

هذه الآيات وما قبلها، كانت بصدد إبطال بعض الأحكام الخرافية الموجودة في عصر الجاهلية من جعلهم نصيباً من الزرع والأنعام لله تعالىٰ وتحريم ركوب بعض الأنعام وقتل اولادهم قرابين الى الأصنام. فالله تعالى هو الخالق لجميع هذه النعم وامر سبحانه بالانتفاع بها وعدم الاسراف فيها، فكل هذه الخرفات اسراف وخطوة من خطوات الشيطان

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ...﴾ (١).

فهي مكملة للآيات السابقة التي تبحث عن قضية «الافك» ويحذّر المؤمنين من تأثير الأفكار الشيطانية.

السادس عشر:الاختلاف في المشار إليه

التماثل في بعض الآيات لاختلاف المشار اليه فيها، وهذا ليس من التكرار، لان معانيها مختلفة ايضاً كما في الآيات التالية.

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (٢).

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٣).

تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

فالآية الأُولى تشير الى القصص الكثيرة التي وردت بشأن بني إسرائيل وكلّ منها دليل

١ـ سورة النور، آية ٢١ .

٢ـ سورة البقرة، آية ٢٥٢ .

٣ـ سورة آل عمران، آية ١٠٨ .

٤ـ سورة الجاثية، آية ٦ .

على قدرةالله تعالىٰ، والثانية تشير الى ما تعرضت الآيات السابقة عليها من الاعتصام بحبل‌الله والحذر من التفرقة والاختلاف واثرهما من تبييض الوجه واسوداده يوم‌القيمة، والثالثة تشير الى الآيات الآفاقية والانفسية.

﴿... ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

﴿... ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٢).

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٣).

فالآية الاولى تشير الى الامتيازات المهمة للانسان من حبهّم لله والله يحبّهم، والى تواضعهم وجهادهم في سبيل‌الله، والآية الثانية تشير الى الجنة الواسعة التي عرضها كعرض السّماء، والآية الثالثة تشير الى النعمة الكبرى وهي بعث النبي الاكرم ﷺ وما جاء به من نظام يعتبر ارقى نظام على وجه البسيطة.

﴿... فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ...﴾ (٤).

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ (٥).

﴿... أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ (٦).

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (٧).

١ـ سورة المائدة، آية ٥٤.

٢ـ سورة الحديد، آية ٢١.

٣ـ سورة الجمعة، آية ٤.

٤ـ سورة البقرة، آية ٢١٧.

٥ـ سورة آل عمران، آية ٢٢.

٦ـ سورة التوبة، آية ١٧.

٧ـ سورة التوبة، آية ٦٩.

فالآية الأُولى تشير الى من يرتد عن دينه فيمت تحبط اعماله، والثانية تشير الى الكفار والذين يقتلون الأنبياء بغير حقّ والذين يقتلون الآمرين بالمعروف، والثالثة تشير الى المشركين الذين يعملون الاعمال الصالحة فإن جميع اعمالهم بلااعتقاد صحيح تعتبر باطلة، والرابعة تشير الى المنافقين واعمالهم، فأنّهم لم يحصلوا على نتيجة ما عملوا.

السابع عشر: التنويع

من اهم وجوه التكرار في القرآن وهو الذي يقول به كل المفسرين في الآيات المتكررة، هو التأكيد ومقتضاه نزول آية مكررة لأن تفيد معنى الآية الاولى، فالثانية تكرر ما في الاولى وتؤكّد عليها، والتأكيد على هذا النحو، تكرار محض بإرادة المعنى الأوّل مكرراً.

ولكن عند ما نبحث في الآيات المتشابهة لفظاً نراها كتشابه اصابع اليد فكلّ اصبع تكرر خمس مرّاة في اليد الواحدة ولكن لكل منها شغل يختص بها ولا يغنى احدهما عن الآخر.

فالمتأمل المدقّق الّذي يرى الألفاظ والمعاني من زاوية معيّنة يظهر له معنى غير ماظهر من الاول، فهو كالتنويع في نعم الجنّة حيث انّ كلّ شئ منها سمّى نعمة ولكن عندما يذاق كلّ منها على حدة، فانّ لذّته تختلف عن الآخر.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا...﴾ [1].

فقد تكلم القرآن عن عصى موسىٰ عليه السلام لمّا القاها في مواضع ثلاثة امام فرعون وعبّر

١ـ سورة البقرة، آية ٢٥ .

القرآن عنها بثلاث تعابير مختلفة معنىً.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [1].

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَـٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [2].

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ...﴾ [3].

فامّا الثعبان اعظم من الحيّات، والحيّة اسم جنس يقع على الذكر والأُنثى والصغير والكبير، والجانّ قسم من الحيّة الدّقيقة.

ويمكن ان يقال: ان الحيّة كانت جانّاً ثمّ تكبر وتضخم فتصير حيّة، والثعبان أكثر حجماً من الحيّة.

أو كانت العصىٰ في عظمة جسمها ثعباناً وعند حركتها جانّاً، أو اشياء آخر غيرهذا والله تعالى أعلم.

الثامن عشر: الدّقة في نفس الآيات

بعد البحث والفحص عن بعض المقدمات التي نستفيد منها ونستدل بها للوصول الىٰ مقصودنا، لابدّ أن نصرف البحث في نفس الآيات ويقع البحث فيها في مقامين.

المقام الأوّل: التكرار في الألفاظ، وفيه بحثان: البحث الأوّل؛ التكرار في الحروف والكلمات. والبحث الثاني؛ التكرار في العبارات، نحو البسملة وغيرها.

المقام الثاني: التكرار في المفاهيم: كالأصول والفروع والاخلاق والقصص و....

١ـ سورة الاعراف، آية ١٠٧.

٢ـ سورة طـه، آيتى ١٩ و ٢٠.

٣ـ سورة النحل، آية ١٠.

المقام الأوّل:
التكرار في الألفاظ

البحث الأوّل: التكرار في الحروف والكلمات

الاساس في كل لغة، الحروف؛ وبها تتحقّق اللّغة ولمحدوديّتها لا محيص من تكرارها ولا اشكال فيها، فالقرآن حروفه حسب ما استخرج من الكامبيوتر ٣٣٠٧٣٣ حرفاً وكلماته ٧٧٨٤٥ كلمة.

فقد تكرر حرف «م» في الآية التالية غير مرّة:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1].

وتكرر حرف «ق» في الآية التالية احدى عشرة مرّات.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [2].

و تكرر حرف «الواو» ٩٥٩٤ مرّة في ١١٣ سورة و«من» ٤٠٦١ مرّة في ١٠٠ سورة وهم ٣٨٩٦ مرّة في ٩٧ سورة.

١ـ سورة آل عمران، آية ٢٦ .

٢ـ سورة المائدة، آية ٢٧ .

واما الكلمات فهي المركبة من حرفين فصاعداً وهي آلة لبيان المعاني فلااستقلال لها وليس لها معني يقصد في نفسها فالكلمات هي مثل الخشب والآجر والحديد وامثالها، وهذه لا تسمّىٰ بناءً بل البناء هو جمعها وترتيبها بشكل خاصّ.

اذن التكرار في الكلمات على هذا الأساس لاٰ إشكال فيه، فلكلّ كلمة بملاحظة ماتقدّم وما تأخّر عنها تَفيد معنى غير الآخر، فمثلًا تكررت لفظة الجلاله «الله» سبحانه وتعالىٰ ثمان مئة وست عشر بعدالالفين وتكررت لفظة «ربّ» ومشتقاتها تسع مئة وثمانين مرّة.

فلفظ الجلالة هو ا لأكثر تكراراً في القرآن بينما تأتي لفظة «احمد» اقل تكرارا على حسب الحروف الهجائية فقد وردت مرّة واحدة فقط فتكرار الكلمات كتكرار الألفاظ لايعد تكراراً لان المقصود من التكرار الّذي نبحث عنه هو التكرار في المفاهيم والمعاني لا التكرار في الألفاظ التي لا محيص ولا معدل عنها.

البحث الثاني:التكرار في العبارات

١ ـ البسملة

فقد تكررت مئة وأربع عشر مرّة في القرآن الكريم في مطلع كلّ سورة الاّٰ البرائة ومرّة في نقل كتاب سليمان النبيّ عليه السلام، الى ملكة سبأ.

بعد ان اجمع علماء الاسلام على ان (البسملة) من القرآن اختلفوا في انّها جزء من السور القرآنية ام لا.

المشهور من علماء الشيعة على انّها جزء من كلّ سورة لأنّها جاءت في مطلع كلّ سورة وهذا دليل وافى، لأنّ التحريف بزيادة شئ في القرآن ممّا خالفه المسلمون جميعهم وانّ كان هناك كلام ونقاش حول التحريف الذي وقع بالنقيصة، الاّٰ انّه لا يعبأ به بعد

الاجماع المذكور. وامّا العامة فاختلفوا، فذهب بعض كما ذهبنا لإثباتها في المصحف مع‌الأمر بتجريد القرآن عن كلّ ما ليس منه، وقد حكى هذا عن اميرالمؤمنينعليه السلام وجمع من الصحابة كابن عباس وابن عمر وابى‌هريرة، وحكى عن جمع من التابعين كسعيد بن جبير وعطاء والزهرى وابن المبارك.

فقد روى عن ابن عباس: ان رسول‌الله صلى الله عليه وآله كان لا يعرف انقضاء السورة حتّى ينزل عليه بسم الله الرّحمن الرّحيم.

وذهب بعض انّها من سورة الفاتحة دون غيرها وذهب قوم الى ان البسملة آية مستقلة وليست جزء للسور القرآنية، وردّ عليه بانّ البسملة ليس لها معنى الاّ الاشعار بشروع العمل باسم مستجمع لجميع الصّفات الكمالية والاشارة الى رحمته تعالى للعالمين أو للمؤمنين.

والحقّ انّها جزء من القرآن وجزء من كلّ سورة وان بسبب نزولها يعرف اتمام السورة وبداية الأُخرىٰ، وهذا من لوازم نزولها ولا ينافي نزولها جزءً للقرآن.

ان قلت: لماذا لا تحتسب البسملة في عدّ الآيات من كلّ سورة الاالفاتحة الكتاب؟ قلت: كثير من الآيات المشتمله على المفاهيم المختلفة عدت آية واحدة.

فمثلًا الآية التالية:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [1].

فقوله تعالى:«اليوم يئس الذين كفروا...» جملة معترضة وضعت في خلال الآية لفظاً ومعناً، فهذه الجملة معناها لا يتوقف على الآية كلها بلاشك وريب. فهو كلام تام كامل، مع انّ الآيات المتماثلة المبيّنة لمحرمات الطعام لاتوجد فيها هذه الجملة ونحوها [2].

فيمكن انّ هذا القسم من الآية نزلت في وسط الآية، أو نزلت علىٰ حدة ولكن النبيّ ﷺ وضعه في خلال الآية.

قال السيوطى في الاتقان:

قوله تعالى:«اليوم اكملت لكم دينكم...» فانّها نزلت بعرفه عام حجّةالوداع وظاهرها اكمال جميع الفرائض والأحكام التي قبلها وقد صرّح بذلك جماعة منهم السّدى فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع انّه ورد في آية الربا والدين والكلالة، انها نزلت بعد ذلك» [3].

وعلى ما ذكرنا فانّ هذا القسم من الآية له معنى مستقل مع انّه لم يعدّ آيةً.

ومثلًا انّ من فواتح السور عدّ آية خلافاً للفواتح الأُخرى فـ«الم» في سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والرّوم ولقمان والسجدة عدّت آية خلافاً لـ«الراء» في سورة يونس وهود ويوسف وابراهيم والحجر.

فانّ عداد الآيات امر توقيفى ولا علاقة له بكثرة المفاهيم أو قلّتها.

فبعد هذا يمكن ان نقول ان البسملة في كلّ سورة جزء من الآيات الاولى فيها.

١ـ سورة المائدة، آية ٣.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٧٣؛ سورة النحل، آية ١١٥.

٣ـ الاتقان، ج ١، ص ٦٠.

٢ ـ افتتاحية السور

افتتحت تسع وعشرين سورة من القرآن باربعة عشر من الحروف الهجائية بعضها على حرف او حرفين الى خمسة احرف وقد تكررت بعض هذه الحروف.

ست سور تبدأ بـ«الم» ومنها أربع مكّية وهي العنكبوت والرّوم ولقمان والسّجدة واثنان مدنيتان وهي البقرة وآل عمران.

وخمس سور، تبدأ بـ «الر» وكلها مكية وهي يونس، هود، يوسف، ابراهيم، الحجر.

وسبع سور، تبدأ بـ«حم» وكلها مكية وهي غافر، فصلت، الشورىٰ، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

وسورتين تبدان بـ«طسم» وكلاهما مكيتان وهي الشعراء والقصص.

وقد تكررت الحروف الهجائية في مفاتيح السور، فتكررت «ل» ثلاثة عشر مرّة، وتكررت «م» احد عشرة مرة. فبعد ان قلنا ان تكرار نفس الحروف لم يعدّ من التكرار المصطلح وبأنَّهُ لا محيص عنه، نقول: بعد ملاحظة الآراء ووجهات النظر حول هذه الحروف التي تبلغ الى نيف وعشرين رأى، ان هذا أيضاً لم يُعدّ تكراراً، لأنّه: ابلغ تفسير لها هو ان هذه الحروف سرّالله المحجوب وانّها رموز بين الله تعالى ورسوله لا يمسّها الّا المطهرون ولا يعلمها الا الله والراسخون في العلم.

ففي تفسير مجمع البيان:

«اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة بها السور، فذهب بعضهم الى انّها من المتشابهات الّتي استأثر الله تعالى بعلمها، ولا يعلم تأويلها الّا هو، هذا هوالمروى عن ائمتنا عليهم السلام وروت العامة عن اميرالمؤمنين عليه السلام انّه قال: انّ لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى، وعن الشعبى قال: لله في كل كتاب سرّ، وسرّه في القرآن، سائر

حروف الهجاء المذكورة في اوائل السور»[1].

فبعد الدقة في هذه الأنظار خصوصاً على فرض ما قيل في انّها سرّ من اسرارالله تعالىٰ نعرف ان هذه الحروف من المتشابهات القرآنية، ولا يمكن لنا ان نفهم منها معنى من المعاني فمع هذا كيف يمكن ان نقول بالتكرار فيها.

٣ـخواتيم الآيات

وهي متضمنة للمعاني البديعة البليغة بحيث لا يبقى للنفوس انتظار الى مابعدها، فهي كلام منفصل عما قبله وبعده ولهذا سميّت الفاصلة وهي على اقسام أربعة.

فالأوّل: التمكين وهو انّ يمهّد قبلها لفظاً ومفهوماً بحيث لولم يقله المتكلم، لتكلّم به السامع.

والثاني: التقدير وهو ذكر الفاصلة في صدر الآية بمادّتها.

والثالث: التوشيح وهو دلالة معنوية على الفاصلة في صدر الآية.

والرابع: الايغال وهو ذكر شيءٍ مرتبط بالصدر وبالمبالغة فيها والتأكيد عليها.

وعلىٰ هذاترى في آيات القرآن خواتيم متماثلة وفواصل متشابهة كثيراً، فبعد التأمل فيها تجد المناسبة الخاصة بين صدرالآية وذيلها. فمثلاً:

١ ـ «انّ ذلك من عزم الأُمور» جاء عقيب آيتين وهما سورة آل عمران، آية ١٨٦ وسورة لقمان، آية ١٧، وجائت مع اختلاف في سورة الشورى، آية ٤٣ بهذا النص «ان ذلك لَمن عزم الأُمور».

ففي سورة آل عمران جاء الاخبار عن ابتلاء النّاس باموالهم وانفسهم و... ثمّ جاء ان

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٧٥.

الصبر عليها من عزم‌الامور. وفي سورة لقمان، جاء الأمر باقامة الصلوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصيبة ثم يأتى بانها من عزم‌الأُمور. وفي سورة الشورىٰ جاء اثناعشر مطلوباً نحو الايمان والتوكل والاجتناب من الكبائر والفواحش والغفران والاستجابة للدعاء، والصلوة والشورىٰ والانفاق والانتصار، ثم قال: ان ذلك لمن عزم الأُمور.

فخاتمة هذه الآيات ليست على نسق واحد ولا تعطى معنى واحد.

٢ ـ «نعمَ اجرُ العاملين» جاء عقيب ثلاث آيات في سورة آل عمران، آية ١٣٦، وسورة العنكبوت آية ٥٨، وسورة الزمر آية ٧٤.

فجاء في سورة آل عمران مع حرف عطف لمناسبتها مع ما قبلها لأنّها وقعت خبر بعد خبر ويلزمه «الواو» رعاية لنسق الكلام بخلاف ما في السورتين الآخرتين فالمراد من الأولى العاملين بعمل صالح من الانفاق والاستغفار، وعدم الاصرار على الذنوب، والمراد من الثانية مطلق العمل الصالح ومن الثالثة هو قول اصحاب الجنة فيها.

٣ ـ «ذلك هو الفوز العظيم» او «ذلك الفوز العظيم» او «لهو الفوز العظيم» جاء عقيب ثلاثة عشر آية في سورة النساء، آية ١٣ وسورة المائدة، آية ١١٩ وسورة التوبة، آية ٧٢، ٨٩، ١٠٠، ١١١ وفي سورة يونس، آية ٦٤ وفي سورة الصافات، آية ٦٠ وفي سورة غافر، آية ٩ وفي سورة الدخان، آية ٥٧ وفي سورة الحديد، آية ١٢ وفي سورة الصف، آية ١٢ وفي سورة التغابن، آية ٩.

وعلى هذا، فانَّ المشار اليه في هذه الآيات هي الجنّات التي تجرى تحتها الانهار والخلود فيها او ما يوصل الانسان الى هذه النعمة الابدية الخالدة من القتل فى سبيل الله كما جاء في سورة التوبة، آية ١١١ والبشرى في الدنيا والآخرة كما جاء في سورة يونس، والبرائة من عذاب النّار كما في سورة الصافات، ورحمته وفضله تعالى كما في سورة

غافر والدخان.

مع انّ هذه البشارة في كل آية بشارة لعدة من النّاس. فما في سورة النساء فهو للذي لا يتعدّي عن حدود الله، وما في سورة المائدة للصادقين وما في الآية الاولىٰ من سورة التوبة للمؤمنين والمؤمنات الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وما في الآية الثانية للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم وما في الآية الثالثة للسابقين من المهاجرين والأنصار وما في الآية الرابعة للشهداء من المجاهدين وهكذا....

٤ ـ «ولكن أكثر الناس هم لا يشكرون» او بحذف المضاف اليه «الناس» او بحذف الضمير «هم» فقد جاء هذه عقيب خمس آيات في سورة البقرة، آية ٢٤٣ وسورة يونس، آية ٦٠ وسورة يوسف، آية ٣٨ وسورة النمل، آية ٧٣، وسورة غافر، آية ٦١.

ففي آية البقرة انّ الله غفورٌ رحيم لجميع النّاس ونعمته تشمل النّاس كلهم ولكن أكثرهم لا يشكرون، وفي سورة يونس معناه ان أكثر النّاس غافلون وافتروا على الله تعالى بأحكام خرافية مبتدعة في تحريم النعمة على انفسهم، وفي سورة يوسف دفعا لتوهم ان التوحيد كان فضلًا للنبيّ واسرتهم فحسب. فقال الله تعالى، او قال يوسف على اختلاف في تفسير الآية، ليس هذا مختصا بنبيٍّ بل فضل الله على النّاس كلّه ولكن أكثرهم لا يشكرون وفي سورة النمل، هم لا يشكرون نعمة تأخير العقوبة وامهالهم الكافي لاصلاح انفسهم، وما في غافر معناه ان من اعظم النعم الالهية هو الحركة بتناوب الليل والنهار والضلام والنور فبدونها تعطلت الحياة، لانّ الحياة من النور والنور من الحركة ولكن النّاس أكثرهم كانوا غافلين عن هذه النعمة العظيمة.

٤ ـ اسماء الله الحُسنىٰ

فقد جاء في القرآن اسماءالله تعالىٰ ووصفه تبارك وتعالىٰ بالحُسنىٰ.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّاتَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ...﴾ [١].

والمراد بالاسماء الحُسنىٰ الأوصاف الحميدة والصفات الثبوتية التي تتبيّن على قدر معرفتنا به.

نعم الدّقة في ذات‌الله سبحانه لعظمته محال للبشر الضعيف الذليل الذي لا يعرف من هو؟ فالإنسان المحدود لا يقدر ان يحيط بذات البارى المتعال.

قال رسول‌الله ﷺ:«تفكروا في خلق‌الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا» [٢].

وقال أيضاً:«تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فانكم لا تقدرون قدره» [٣].

وعلى هذا الأساس فإن الأسماء المترادفة لله تعالىٰ في القرآن بما فيها من المعاني لا يكون تكراراً، فكلّ اسم من اسمائه باب يوصل العبد اليه ومعراج يرقى الطالب اليه.

فمثلًا الغافر والغفور والغفران والغفّار، مع انّها مشتقات من مادة واحدة ولكن لكلّ منها معنىٰ من المعاني غير ما في الآخر، فان الغافر يدل على المغفرة المحضة اي صرف المغفرة، والغفور يدلّ على كثرة المغفرة، والغفران يدل على كثرة المغفرة بكثرة ذنوب العبد، فلكل ذنب مغفرة، والغفّار تدل على كثرة المغفرة بكثرة نوع واحد من الذنب.

ومثلا الغنى و الملك وصفان لله تعالىٰ والاوّل يدلّ على انّ الله لا يحتاج الى شيء والثاني يدل على انّ كلّ الأشياء تحتاج إليه تعالىٰ.

ومثلاً العليم والخبير، ايضاً وصفان له سبحانه، فالخبير يعنى العليم الذي له علم بكنه المعلومات وحقائقها ففيه زيادة على ما في العليم.

ومثلا الخالق والفاطر، كانتا من الاسماء إلالهية والخلق بمعنى إيجاد الشئ والفطر

١ـ سورة الاسراء، آية ١١٠.

٢ـ كنزالعمال، ح ٥٧٠٤.

٣ـ كنزالعمال، ح ٥٧٠٥.

بمعنى اظهار الحادث باخراجه من العدم الى الوجـود فـفطر الله الخـلق يـعنى أظـهرهم بإيجاده.

هذا مع انّه كثيراً ما يفهم من اسم واحد او صفة واحدة معان كثيرة باعتبار ما تقدم عليه وما تأخر عنه. فالأسماء الحُسنى لله تعالىٰ بما جاء بها في القرآن الكريم أو ماورد فـي السنة الشريفة والادعية المأثورة، حتّى ما كان من مادّة واحدة ولها معنى واحـد عـلى حسب الظاهر نحو الرحمن والرحيم، الغفور والغفار، ليس بتكرارٍ قطّ بل ليس اسماً واحداً بل كل منهما اسم مستقل بذاته يفيد معنى خاصاً لا يفيده الاسم الآخر والصفة الأُخرىٰ.

قال ابن حجر العسقلاني:

«الاسماء المشتقة من صفة واحدة لا يمنع ذلك مِن عدِّها، فان فيها التغاير في الجملة، فان بعضها يزيد بخصوصية على الآخر ليست فيه».

وقال نقلًا عن ابي العباس بن معد قوله:

«ليس في اسماء الله شيئ مترادف، انّ لكلّ اسم خصوصية وانّ اتفق بعضها مع بعض في اصل المعنىٰ» [1].

بل الأسماء المتماثلة مختلفة باعتبار اضافتها الى شيءٍ وقطعها عن الاضافة باعتبار آخـر فـ«الرّب» فـي «ربالعـالمين»، ربّ السـموات، ربالأرض، ربّ المشـرقين، ربالمغربين، ربالبيت، ربالعرش، ربّ ابراهيم، ربّ مـوسىٰ وهـارون ليس بـمعنى واحد.

١ـ فتح البارى، ج ١١، ص ٢١٩ و ٢٢٣.

٥ ـ بعض الآيات الأُخرىٰ

عند الدّقة والتأمل في الآيات التي تعد من المتماثلات، نرى ان لكل آية بحسب سياقها العام، معنى خاص يختص بها لا يوجد في الآية الأُخرىٰ، أو نرى فيها نوع من الاختلاف، من العطف او المشار اليه، او ما ختم به و... بالنسبة الى الآية الأُخرى المماثلة لها الى حد يصلنا الى معنى غير ما في الاخرىٰ.

وإليك نموذج من هذه الاختلافات سنبحث عنها في الفصل الثالث بشكل تام انشاءالله.

١ ـ جاء في سورتي البقرة والمائدة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢).

فما في البقرة لا يدلّ على اعتقاد الابناء بما اعتقد آبائهم اعتقاداً راسخاً، بل هم يقولون ما كنّا مقصّرين، بل كنّا في ارض وعند أُناس كلهم يعتقدون بهذا وهو الاعتقاد الحاكم في المجتمع، فاعتقادنا بربوبية الاصنام هذا لم ينشاء من فحص وتحقيق، فقال الحكيم: «او لو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون» اذن يمكن ان يقال ان آباؤهم لا يعقلون ولا يتفكرون وانهم يتأثرون من اجواء المحيط فاعتقدوا بربوبية هذه الأصنام والأوثان.

وأما قوله تعالىٰ في المائدة، يدل على اعتقاد الابناء بما يعتقد الآباء اعتقاداً قاطعاً لأنّهم لا يرجعون من عقيدتهم ابدا، وعلىٰ هذا قال الحكيم في جوابهم «...أو لو كان آبائهم

١ـ سورة البقرة، آية ١٧٠.

٢ـ سورة المائدة، آية ١٠٤.

لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون» وهو آخر حدّ الضلالة واقوىٰ من ما في البقرة، «او لو كان آبائهم لا يعقلون» لانّ العلم اعلى درجة من العقل بل العلم من كمال العقل، ومن هذا يصح توصيف الله تعالى به «العليم» ولا يصح وصفه بـ«العاقل» (١).

٢ ـ جاء في سور آل عمران والانعام والنحل والنمل والعنكبوت والروم:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣)

﴿... فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ (٧)

بعد التأمل في هذه الآيات، نعرف ان الله تعالىٰ امر بالتدبر بما جرى على الفراعنة

١ـ راجع الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.

٢ـ سورة آل عمران، آية ١٣٧.

٣ـ سورة الانعام، آية ١١.

٤ـ سورة النحل، آية ٣٦.

٥ـ سورة النمل، آية ٦٩.

٦ـ سورة العنكبوت، آية ٢٠.

٧ـ سورة الروم، آية ٤٢.

والكفار والامم السالفة التي لم يبق أحداً منهم بروية آثارهم وما بقى عنهم. ثم زيادة التدبر والدقة واخذ العبر والدروس، فلابدّ للانسان ان ينظر الى آثارهم ويتفكر في اعمالهم الطالحة وعقائدهم الباطلة نظرة الاعتبار. مع ان هناك فرق في خواتيم هذه الآيات التي تؤثر في فهم مطلعها وايضاً فرق في المراد من المكذبين المجرمين.

٣ـ التكرار في سورة الرحمن آية:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فقد كررت هذه الآية احدى وثلاثين مرّة، ولو تأملنا فيها نعرف ان معنى كلّ آية يختلف بالنسبة الى غيرها، لوقوعها عقيب نعمة وان المقصود من الالآء في كلّ آية هي النعمة التي ذكرت قبلها.

ان قلت: ان بعض هذه الآيات غيرمسبوقة بنعمة نحو «كل من عليها فان» و «يرسل عليكم شواظ من نار» و «هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون» فكيف يصح ما ذكرتم؟

قلت: هذه الآيات وامثالها ايضاً تشير الى نعمة من نعم الله فالآية الأُولى تذكر بالموت والفناء حتّى يتجّه الى الأعمال الصالحة وهذه نعمة عظيمة والأخيرتان توعدان بالعذاب في يوم القيمة وهذه اي الوعيد لإيجاد الخوف أيضاً من النعم الإلهية ويالها من نعمة.

٤ـ التكرار في سورة الكافرون

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

«تكرر اربع مرأت «لا» و «ما»، وتكرر ضمير المخاطب والغايب «انتم ـ انا» مرتين، ومادة عبد بصيغها المختلفة تكررت ثمان مرأت، ف«اعبد» ثلاث مرّة، «عابدان» مرّتين، «تعبدون» و «عبدتم» و «عابدٌ» كلّ منها مرّة واحدة، هذا مضافا الى تكرار «دين» في

الآية الأخيره:«لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ».

لكن بعد الدّقة والتأمل يمكن ان نقول ان «لا اعبد» كانت لنفي عبادة الرسول لما يعبد المشكرون اياهم في الحال والمستقبل كما هو اقتضاء صيغة المضارع و «عابدٌ» لنفي عبادة الأصنام في زمن الماضي، لأنّ اسم الفاعل يستعمل في الأزمنة الثلاثة ومنها الماضي، فينتفى العبادة في الأزمنة الثلاثة بهاتين الآيتين، و يؤيد هذا التفسير، الفعل المضارع في الآية الثالثة والماضي في الرابعة. وتكرار هذه المادة «عابدٌ» هو لنفي عبادةالله في الحال والمستقبل و «عابدون» لنفى عبادةالله في الماضي» لكفار قريش وما استفيد من بيان جعفر بن محمد الصادقعليه‌السلام وهم: قوماً من الكفّار والمشركين.

الوجه الثاني: ما استفيد ايضاً من بيان جعفر بن محمّد الصادقعليه‌السلام هم قوماً من الكفّار والمشركين منهم «وليد بن المغيره، العاص بن وائل، الاسود بن المطلب، امية بن خلف» قالوا لرسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله :«اعبد ما نعبد سنة ثم نعبد ما تعبده سنة، وهكذا حتّى تستفيد من عبادة ما نعبد واستفدنا من عبادة ما تعبد، فانزل السورة جواباً لهذا الاقتراح».

وعن المرتضى بن الحسين الموسوى العلوى البغدادى (٣٥٥ ـ ٤٣٦) وجه ثالث وهو:

«إن القرآن لم ينزل دفعة واحدة وانّما كان نزوله شيئاً بعد شئ والأمر في ذلك ظاهرٌ، فكانّ المشركين اتوا النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فقالوا: استلم بعض اصنامنا حتّى نؤمن بك، ونصدّق نبوّتك، فأمره‌الله تعالىٰ بأنّ يقول لهم «لا أعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد» ثمّ غيروا مدّة من الزمان وجائوا فقالوا له: اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض اصنامنا يوماً أو شهراً أو حولًا، نفعل مثل ذلك بالهتك، فأمرهُ‌الله بأنّ يقول لهُم «ولاٰ انا عابدٌ ما عبدتم ولاٰ انتم عابدون ما اعبد» اي ان كنتم لاٰ تعبدون الهى الّا بهذا الشرط، فانّكم لا تعبدونه ابداً» [1].

١ـ القطوف من رياض القرآن، ص ٣٢٤ و ٣٢٥.

المقام الثاني:
التكرار في المفاهيم

إن القرآن ينطوى على بطون مختلفة متنوعة في احوال التوحيد ومراتبه المتعددة، يحكى عنه ويدعو إليه ويعاقب على تركه ويثيب عليه فالقرآن كله توحيد باقسامه المختلفة:

١ ـ التوحيد في الذات وأنّه تعالى لا شريك له ولا نظير، وليس كمثله شئ وشبيه ومثل وان ذاته بسيطة لا مركبة.

٢ ـ التوحيد في الصفات فالصفات العديدة نحو الحياة والعلم والقدرة وغيرها كلّها واحدة وهي عين الذات بحسب وجودها الواقعي.

٣ ـ التوحيد في الأفعال فهو تبارك وتعالى علة العلل لكل من المخلوقات والموجودات.

٤ ـ التوحيد في العبادة فهو في اعلى مراتب الكمال وأنّه منشاء حياة كلّ شيء فهو معبود وأنّه مستحقّ للعبادة.

٥ ـ التوحيد في الولاية فله تدبير العالم والحاكمية التشريعية بتقنين القوانين وجعل الأحكام وله السلطة التنفيذية.

٦ ـ التوحيد في الطاعة فكما أنّه يستحق العبادة وله الولاية، فهو مستحق للطاعة فلا يجوز انّ يطاع غيره.

٧ ـ التوحيد في الجزاء فهو يُجزى أهل الطاعة بالثواب الجزيل والسعادة الابدية ويعاقب أهل المعاصي والكفار بالنّار والشقاوة الابدية تبعاً لقبولهم التوحيد وانكارهم بها.

إن كلّ آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية اليه، فالقرآن امّا خبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله، فهو التوحيد العلمى الخبرى، وامّا دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادى الطلبى، وأمّا الزام بطاعته في أمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكمّلاته، وامّا خبر عن كرامةالله لأهل توحيد وطاعته وما فعل بهم في الدّنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيد وامّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدّنيا من النّكال وما يحلّ بهم في العقبىٰ فهو خبر عمّن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كلّه في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأنّ الشرك وأهله وجزائهم» [(١)].

فالقرآن على العموم كلّه تكرار للتوحيد وشئونه ومراتبه تنبيهاً على أنّه اوّل كلّ عمل وقول وفكر وتدبر وآخر شئ هوالله تبارك وتعالى، حتّى ان المقصود من جميع التكاليف الالهية هو التوحيد ومعرفته بلاريب، ولكن عندما نتدبر في كلّ سورة أو آية أو آيات نرى فيه غير ما في الأُخرىٰ من المفاهيم، ومن هنا نذكر بعض المفاهيم ونبحث عنها على قدر ما يعنينا.

البحث الأوّل: التكرار في المبدأ

بعد ما قلت انّ القرآن كلّه توحيد، نقول: قد أكثر القرآن الحديث عن المبدأ بل هذا من المحاور التي دارت عليها كل السور القرآنية بحيث لا تكاد تخلو منها سورة، ولكن هذا ليس على نسق واحد، بل يختلف باعتبار كثرة المباحث في هذا المجال، فمن المواضيع

١ـ مدارج السالكين، ج ٣، ص ٤٦٨.

التي يبحث عنها القرآن حول التوحيد:

الف) الفطرة التوحيدية التي كانت في نفوس الانسان والنّاس مهيؤن للتوحيّد منذ ان خلقوا بل قبل ان يخلقوا في عالم الذّرّ بشهادتهم على أنفسهم واعترافهم بوحدانية خالقهم، فمن هذه الآيات:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ (١).

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ (٢).

ب) دعوة القرآن الى التوحيد فالقرآن يدعو النّاس ويوجههم الى الفطرة الالهية في أنفسهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣).

نرى هذه الدعوة في القصص القرآنية فكل نبيّ من انبياءالله دعى امته الى‌الله تعالى والايمان به، فقال نوح وهود وصالح وشعيب:

﴿... يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ...﴾ (٤).

حتّى انّها كانت دعوة كلّ نبيّ.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ...﴾ (٥).

١ـ سورة الأعراف، آية ١٧٢.

٢ـ سورة الروم، آية ٣٠.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢١.

٤ـ سورة الأعراف، آيات، ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥؛ سورة هود، آيات ٥٠، ٦١، ٨٤.

٥ـ سورة النحل، آية ٣٦.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ (1).

﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (2).

د) نفي الولد لله سبحانه وانّه تعالى لم يلد ولم يولد.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ (3).

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ (4).

هـ) بيان لوازم الشرك من ذهاب كل اله بما خلق والافساد في الأرض وفي جميع مخلوقاته.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (5).

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾ (6).

و) التوحيد هو الهدف الأساسي لإرسال الرسل فبعث كلّ رسول لأن يدعو النّاس الى التوحيد.

١ـ سورة النحل، آية ٥١.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٦٣.

٣ـ سورة البقرة، آية ١١٦.

٤ـ سورة الاسراء، آية ١١١.

٥ـ سورة المؤمنون، آية ٩١.

٦ـ سورة الأنبياء، آية ٢٢.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ...﴾ [1].

وغير هذا من الآيات التي نزلت في هذا المجال. فكلّ آية تكشف عن مجهول خاص وتتكلم على شي غير ما تكلمت به في آية أُخرىٰ ونزل على قوم وعلى لسان احد وهكذا من الظروف المختلفة والأسباب المتعددة لنزول الآيات.

البحث الثاني:التكرار في المعاد

تكرر في القرآن بعد التوحيد، البحث عن المعاد وليس هذا الّا بيان موارد مختلفة ونتايج مهمّة من كلّ آية، فمثلًا عندما جاء:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [2].

اراداللّه تعالى ببيان انّه حقّ على الاطلاق، والحقّ لا يصدر عنه الّا الحقّ ولو لم يكن معاد ولا تجيئ القيامة ولا يثاب السعيد ولا يعاقب الشقى، فهو باطلٌ والباطل مردودٌ عنه تعالىٰ. فانظر الى بعض هذه الموارد المتعددة:

الف) المعاد في الشرايع السابقة

جاءت آيات كثيرة تحكى عن محادثة الأنبياء مع أقوامهم في إثبات المعاد نحو ما قال شعيب لقومه:

﴿... يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [3].

ب) البحث عن وجوب المعاد وضرورته ببيان الدليل عليه.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

١ـ سورة النحل، آية ٣٦.

٢ـ سورة الحج، آية ٦.

٣ـ سورة العنكبوت، آية ٣٦.

كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [1].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [2].

ج) بيان الامثلة المختلفة من الحياة الثانية للأمم السالفة. نحو ما جاء من قصة ابراهيم عليه السلام وسؤاله من الله تعالى لرؤيته احياء الاموات [3]. وما جاء في احياء نبى بعد مئة عام [4]. وما جاء في احياء قوم من بنى اسرائيل الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذرالموت [5]. وما جاء في احياء قتيل بنى اسرائيل في قصة البقرة [6].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

وما جاء في احياء سبعين رجلا من بنى اسرائيل الذين يريدون ان يروا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة والرجفة [7].

وما جاء في احياء الاموات بيد عيسى عليه السلام [8].

وما جاء في احياء اصحاب الكهف بعد ان لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنة وازدادوا

١ـ سورة ص، آية ٢٧.

٢ـ سورة المؤمنون، آية ١١٥.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٦٠.

٤ـ سورة البقرة، آية ٢٥٩.

٥ـ سورة البقرة، آية ٢٤٣.

٦ـ سورة البقرة، آيات ٦٦ الى...

٧ـ سورة البقرة، آية ٥٥؛ سورة الأعراف، آية ١٥٥.

٨ـ سورة آل عمران، آية ٤٩.

تسعا [1].

د) بيان تفصيل ما يقع بعد الموت من السئوال والحياة البرزخية واشتراط الساعة ونفخ الصور وزلزلة الساعة وخروج النّاس من قبورهم والحشر وتطاير الكتب وميزان الأعمال والصراط والجنّة والنّار وما فيها من النعمة والنقمة تفصيلًا.

فكل آية في هذه الموارد تكشف عن المجهولات المتعددة التي لا يمكن النظر إليها الّا من طريق الوحى النازل من الله تعالىٰ.

هـ) رد بعض الأقوال حول اختصاص ما يقع في المعاد بقوم دون قوم، فجاء في القرآن رداً على زعم اليهود والنصارىٰ حيث ادعوا انّ الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا أو نصرانياً كما صرح بذلك القرآن حيث قال:

﴿وَقَالُواْ لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِـلْكَ أَمَـانِيُّهُمْ قُـلْ هَـاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [2].

البحث الثالث: التكرار في الفروع

تكررت لفظة الصلوة بمشتقاتها ما يقارب مئة مرّة وبمداليل متعددة وعلى وجوه مختلفة منها:

الف) النهى عن ترك المسامحة في الصلوة.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [3].

ب) الذم لتارك الصلوة لانكاره يوم القيامة.

١ـ سورة الكهف، آيات ٩ الى...

٢ـ سورة البقرة، آية ١١١.

٣ـ سورة الماعون، آيتى ٤ و ٥.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ (١).

ج) النهى عن الصلوة في حالة السّكر أو الكسالة أو الاستهزاء به أو كانت رياءً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ...﴾ (٢).

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ (٣).

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ (٤).

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ... ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ (٥).

د) النهى عن الصلاة على أموات المنافقين.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ...﴾ (٦).

هـ) الدعوة الىٰ الصلاة وبيان وجوبها.

﴿... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ (٧).

و) ذكر مقدمات الصلاة من الطهارة والوضوء او التيمم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ

١ـ سورة القيمة، آية ٣١.

٢ـ سورة النساء، آية ٤٣.

٣ـ سورة النساء، آية ١٤٢.

٤ـ سورة المائدة، آية ٥٨.

٥ـ سورة الماعون، آيات ٤ الى ٦.

٦ـ سورة التوبة، آية ٨٤.

٧ـ سورة النساء، آية ١٠٣.

عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

ز) بيان وقت الصلاة.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّـيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ (٢).

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ...﴾ (٣).

ح) تشريع صلاة القصر للمسافر.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ...﴾ (٤).

ط) الصلاة ودورها في الردع عن الفحشاء والمنكر.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ...﴾ (٥).

ي) التأكيد على بعض الصلوات المعيّنة من بين مجموع الفرائض اليومية.

﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ (٦).

ونكتفى بذكر هذه النماذج بالرغم من وجود موارد أُخرى، ففي كلّ آية جائت هـذه

١ـ سورة المائدة، آية ٦.

٢ـ سورة هود، آية ١١٤.

٣ـ سورة الاسراء، آية ٧٨.

٤ـ سورة النساء، آية ١٠١.

٥ـ سورة العنكبوت، آية ٤٥.

٦ـ سورة البقرة، آية ٢٣٨.

الكلمة بمشتقاتها، نرى فيه حكماً وموضوعاً خاصاً. هذا مع انّ المخاطب فيها مختلف.

وقد جاءت كلمة الصوم بمشتقاتها ثلاث عشرة مرّة، وفي كلّ مرّة تدل علىٰ شئ ونذكرها على النحو التالي.

الف) وجوب الصوم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

ب) وجوبه على من يقدر عليه وعدم وجوبه للمعذورين من المسافرين والمرضىٰ.

﴿... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ...﴾ (٢).

ج) الاشارة الى بعض أحكام الصوم.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ...﴾ (٣).

د) بيان الاشارة الى كفارة عدم الإتيان بالصوم.

﴿... وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ...﴾ (٤).

هـ) رجحان الصوم على الفدية حذرا من رغبة النّاس الى الفدية وترك الصوم.

﴿... وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

و) بيان فضل وجزاء الصائمين والصائمات.

١ـ سورة البقرة، آية ١٨٣ .

٢ـ سورة البقرة، آية ١٨٥ .

٣ـ سورة البقرة، آية ١٨٧ .

٤ـ سورة البقرة، آية ١٨٤ .

٥ـ سورة البقرة، آية ١٨٤ .

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ... وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

ز) صحة النذربه كنذر مريمعليها السلام بعد الافتراء عليها.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا...﴾ (٢).

ح) كفارة المحصور في الحج، أو القتل خَطَأً، أو حنث الأيمان، أو قتل الصيد في الحرم حال الاحرام، أو الظهار (٣).

وقد جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات عديدة على وجوه شتىٰ.

الف) في وصف النبيّ الاكرمصلى الله عليه وآله.

﴿... يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ (٤).

ب) في وجوبهما على جميع النّاس.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ (٥).

ج) في وجوبهما الخاص علىٰ عدّة من النّاس.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

١ـ سورة الأحزاب، آية ٣٥.

٢ـ سورة مريم، آية ٢٦.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٩٦ ؛ سورة النساء، آية ٩٢ ؛ سورة المائدة، آيتى ٨٩ و ٩٥ ؛ سورةالمجادلة، آية ٤.

٤ـ سورة الأعراف، آية ١٥٧.

٥ـ سورة آل عمران، آية ١١٠.

وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ (١).

د) في توصيف بعض أهل الكتاب بهما.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

هـ) في توصيف المؤمنين الذين اخرجوا من ديارهم بغير حقّ بعد تمكينهم في الأرض.

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٣).

و) في توصيف المؤمنين الذين قتلوا وقاتلوا في سبيل الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ... الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾ (٤).

ز) في وصية لقمان الحكيم لابنه.

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾ (٥).

ح) في بيان التقابل والتضاد في عمل المنافق والمؤمن.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

١ـ سورة آل عمران، آية ١٠٤.

٢ـ سورة آل عمران، آية ١١٤.

٣ـ سورة الحجّ، آية ٤١.

٤ـ سورة التوبة، آيتي ١١١ و ١١٢.

٥ـ سورة لقمان، آية ١٧.

ٱلْمَعْرُوفِ...﴾ [1].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ [2].

فبملاحظة هذه الآيات نعرف انه ليس في الآيات الفقهية التي تسمى بـ(آيات الاحكام) تكرار بل كلّ آية تتكلم عن شئ غير ما في الآية الأُخرى.

البحث الرابع: التكرار في المفاهيم الاخلاقية

القرآن الكريم هو كتاب الموعظة والتربية بشكل عام حتّى يمكن ان يقال انّ ما من آية الّا ويمكن انّ تتناول في ابحاث اخلاقية مختلفة.

فلو تعرضنا لبحث من تلك المباحث لوجدنا انّ الآيات التي تتعرض له تشير الى جوانب متعددة من ذلك البحث. فمثلًا قد ذكر القرآن الكريم البخل في آيات عديدة وهو احد الاوصاف الرذيلة من القوة الغضبية ولكن جاء في آية انّه وصف للمتمسكين بالدنيا.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ...﴾ [3].

وفي آية أُخرى انّه وصف للمتكبرين وانّ الله له جميع الخزائن الموجودة ولا يحتاج الى احد من خلقه، بل خلقه هم المتحاجون إليه.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ

١ـ سورة التوبة، آية ٦٧.

٢ـ سورة التوبة، آية ٧١.

٣ـ سورة محمّد ﷺ، آية ٣٨.

ٱلْحَمِيدُ﴾ (١).

وآية أُخرىٰ قد اوعد الذين يبخلون بالعذاب المهين.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٢).

وآية أُخرىٰ قد بين فيها نوع العذاب في يوم‌القيمة للذين يبخلون.

﴿لَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ...﴾ (٣).

هذا مع الاختلاف الشاسع في معاني كلمة البخل ومصاديقها ومتعلقاتها في هذه الآيات، بملاحظة السياق العام.

وقد جاء في آيات القرآن البحث عن الرّبا في آيات عديدة كلّ آية لها معنى غير ما في الأُخرىٰ بحسب سياقها حتى قيل بنوع من الترتيب في حرمته من المراتب السهلة الى الشديدة كما يقال في حرمة شرب‌الخمر، مع انه يمكن ان يقال: انّ آية منها نزلت لبيان تحريمه في الشرايع السابقة كالآية التالية:

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٤).

وفي آية منها نهي عنه نهياً مع عدم التشديد فيه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ

١ـ سورة الحديد، آية ٢٤.

٢ـ سورة النساء، آية ٣٧.

٣ـ سورة آل عمران، آية ١٨٠.

٤ـ سورة النساء، آية ١٦١.

تُفْلِحُونَ﴾ [1].

وفي آية أُخرىٰ نهى الله عن الهدايا التي يقدمها بعض الى أصحاب الثروة والجاه كي ينالوا منهم شيئاً.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [2].

وفي آية أُخرى قد نهى الله تعالى عنه نهياً شديداً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَابَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾ [3].

وفي آية تجسيد حال المرأ بين لأنهم في الدّنيا اشبه بالمجانين في أعمالهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَايَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّـهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَاسَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [4].

ومثلاً جاء في القرآن البحث عن التطفيف وهو اشدّ من الربا، لأنّ الله ما أهلك قوماً لأكلهم الرّبوا بينما التطفيف كان من العوامل الاساسية في عذاب وهلاك بعض الأُمم السالفة، وفيه آيات.

آية في النهي عن التطفيف فعندما قدم النبيّ المدينة وكانوا من ابخس النّاس كيلًا انزل‌الله هذه الآية:

١ـ سورة آل عمران، آية ١٣٠.

٢ـ سورة الروم، آية ٣٩.

٣ـ سورة البقرة، آيتى ٢٧٨ و ٢٧٩.

٤ـ سورة البقرة، آية ٢٧٥.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [1].

وآية في حرمة التطفيف في خلال بيان بعض المحرمات والذنوب الكبيرة.

﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ... كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [2].

وفي آية حرمة التطفيف في خلال بعض النواهي الاخرىٰ لبيان الصراط المستقيم وطريق العدل والقسط.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [3].

وقد جاء الوفاء بالكيل والوزن في قصة شعيبعليه‌السلام مرّتين في سورة هود والشعراء.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ...﴾ [4].

﴿أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ [5].

وفي كلّ آية أشار الىٰ معنى لم يذكره في آية أُخرى، هذا كلّه مع ما في كلمة الميزان من التفسير والتأويل.

البحث الخامس: التكرار في القسم

مما يجلب الانتباه استخدام القسم في القرآن وهو لجذب الانتباه الى استماع القرآن

١ـ سورة المطففين، آية ١.

٢ـ سورة الاسراء، آيات ٣٥ الى ٣٨.

٣ـ سورة الأنعام، آية ١٥٢.

٤ـ سورة هود، آية ٨٥.

٥ـ سورة الشعراء، آية ١٨١.

وما فيها من المعارف، فإنّ الابتداء به يترك السامع على حالة من الرهبة والخوف فكأنّ القسم اشدّ وقعاً وتأثيراً على الانسان عندما يسمعه.

ثمّ انّ القسم على قسمين مظهر ومضمر، فاما المضمر ماحذف قسمه ويدل عليه لام القسم، نحو ﴿لتبلونّ في اموالكم﴾ [1].

يوصل القسم الى المقسم به باحد الحروف الخمسة (الباء، الواو، التا، اللام، من) فالباء وهو الأصل في القسم وحروف القسم المذكورة في القرآن حرفان وهما (الواو، التاء) فقد جاء القسم بهما أو بحرف النفي أربع واربعون مرّة في القرآن، نعم يمكن أن يكون مورداً يشتمل على أقسام عديدة نحو ما في سورة الشمس وهو مشتمل على أحد عشر قسماً.

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَـٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَـٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّـٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَـٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَـٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَـٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّـٰهَا﴾

وهذا وان كان تكراراً في القسم ولكن هو من قبيل التكرار في الحروف والكلمات التي لا محيص عنها، مع انّ الاختلاف في المقسم بها والمقسم عليها امرٌ بيّن عند ملاحظة الآيات.

ولقد اقسم الله تعالىٰ بمخلوقاته من الفجر والشفق والصبح واليوم والضحى والنهار والعصر والليل والشفع والوتر والعاديات و....

وقد تكرر الليل ست مراة والسماء والقرآن اربع مراة والقمر ثلاث مرات والنهار والمقيلات مرّ تين، ولكن بملاحظة مقيداتها نرى ان لا تكرار فيها، حيث أقسم جل جلاله بالليل والليل اذا سجى والليل اذا يغشى والليل اذا يسر والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس والليل اذا يغشيها، واقسم بالقرآن ذى الذكر والقرآن المجيد والقرآن الحكيم، واقسم بالقمر

١ـ سورة آل عمران، آية ١٨٦ .

والقمر اذا تليها والقمر اذا اتّسق، واقسم بالنهار اذا تجلى والنهار اذا جليها، نعم قد تكرر القسم بالليل والسماء مرّ تين ولكن يظهر التعدد بملاحظة اطلاقها او اختلاف معطوفها.

البحث السّادس: التكرار في القصص

القص بمعنى تتبع الأثر والقصص هو الأخبار المتتابعة وهو مجموع من الكلمات لإفادة معنى.

فقد تكرر موسىٰ عليه السلام في أكثر من مئة وثلاثين موضعاً وتكررت قصته في سبعين موضعا، وأيضاً وردت قصة إبراهيم عليه السلام في عشرين موضعاً وقصة آدم عليه السلام في سبع مواضع.

فلابد من البحث في علّة تكرار القصص وما فيها من المعاني في مقامين.

الاولىٰ، الروح العامة للقصص القرآنيّة

ويمكن ملاحظة ذلك في النقاط التالية.

١ ـ الاقتصار، فالقرآن لا ينقل القصة من جميع جهاتها من اوّلها الى آخرها ومن قصة نبيّ الى نبيّ آخر بشكل متتابع بل اقتصر على ذكر الإحداث التي يتحقق بها الغرض ولهذا لم يذكر في كلّ القصص التفصيلات والجزئيات كالاسماء والأمكنة وغيرها التي تخلو عن العبرة.

٢ ـ الموعظة، القرآن كله كتاب موعظة وهكذا قصّته وعلى هذا جاء في القرآن من القصة ما لها من التأثير في الوعظ والإرشاد بحيث نرىٰ كثيراً ما انّ القرآن في كلّ مرّة يتناول جانباً خاصاً من القصة المعينة ولكن يغاير جوانب القصة من آية الاخرى.

٣ ـ تصوير الاسوة، قد بيّن القرآن تصوير الاسوة وذكر شخصية القصة وبيان المصائب التي حلّت عليه خلال عملية تبليغه الرسالة، فمثلًا انّ موسىٰ عليه السلام ولد تحت جور الحاكم

وفي سلطته ورمى في اليم صبياً فجيئ به بحكمة الله تعالىٰ الى قصر فرعون وبلغ واشتد فصار قويّاً فانصرف بعد مدّة الى بلاد أُخرىٰ ثمّ هاجر مع زوجته وصار نبيّاً مرسلا وجاء بكتاب والواح ونجّىٰ قومه من فرعون بعد ان اهلكه الله تعالى ومن معه في اليم، وقد حدثت وقايع كثيرة في هذا الظرف فصار موسىٰ شخصية كاملة صالحة لأن تكون اسوة للأخرين.

٤ ـ القصص الواقعية، انّ العرب كانوا يسمعون القصص من «نضربن الحارث» وهو يقصّ عليهم من القصص التي تفيض بالصورة الخيالية وتنطوى على المفاهيم الخرافية والوهمية، متأثر بقصص الفرس والروم التي لا أثر تربوى لها فضلًا عن صدقها، فالقرآن يأتي بالقصص الصادقة المعتبرة وفيها من المواعظ والعبر لكى يتركوا الاستماع الى القصص الزاخرة بالخرافة والتخيلات والموهومات.

٥ ـ رعاية المناسبة، عندما نلاحظ القصص، نرى الروح العامة والهدف الكلى الذي يتبعه القرآن في كل من القصص ببيانها بشكل وهيئة لإيجاد معنى جديد غير ما ذكر من قبل بدون ان يقع فى اسلوب القصة اضطراب، فمثلًا عند ملاحظة قصة موسىٰعليه‌السلام في بعض من السور نرىٰ فيها ان اساس القصة ينصب على جهة واحدة وهي العلاقة بين موسىٰ وفرعون، وعند ما نلاحظ القصة في بعض آخر، نرىٰ هذه العلاقة بشكل اجمل بين موسىٰ وقومه، فالله تبارك وتعالىٰ قدبيّن في كلّ سورة موضع من القصة مناسب له.

٦ ـ خلوها من الخيال والاسطورة، الذين هما من لوازم الوهم الذي لا اساس له والقرآن لا يتصف بهذا الوصف لانّه وقصته خالية من التخيلات وبيان الاسطورة غيرالواقعية.

٧ ـ خلوها من الرموز والاشارات، التي يشكل تفسيرها وذلك لأنّ الرموز منافية للأغراض التربوية التي جائت القصص القرآنية لها.

٨ ـ مطابق للبيئة الإسلامية، ذلك انّ القرآن انّما يأتي بالقصص التي تطابق لبيئة الرسالة الإسلامية فحسب وعلى هذا الأساس لا يأتي بقصص الأنبياء الّذين كانوا في غير الشرق الأوسط بملاحظة انّ لكلّ امة نبيّاً ولا يعذّب الله قوماً حتّى يبعث إليهم نبيّهم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾ (١).

الثانية، الغرض الأساسي لذكر القصة في القرآن

الغرض الأصيل لبيان القصص القرآنية هو نفس الغرض لانزال الكتاب الكريم وهو الدعوة الى عبودية الله تعالىٰ وايقاظ الانسان النائم بمنحه التجارب والعبر من الأُمم السالفة.

وذلك لأنّ القرآن الكريم ليس كتاب قصص لكى يقص القصص بما انّها حادثة وقعت ورواية مضت، بل القصة في القرآن جزء منه وكما انّ القرآن يأتي لأغراض ومنها الدّعوة الى التوحيد فالقصة تكون كذلك مع أنّه تحت هذا الغرض الاساسي هناك اغراض أُخرىٰ منها:

١ ـ اثبات رسالة الرسول الاميّ وان القرآن كتاب منزل ووحى يوحىٰ من الله تعالى وذلك لأنّ النبيّ الاميّ الذي لا يقرء ولا يكتب، عندما جاء بهذه القصص الموجودة في القرآن التي لم تكن موجودة من قبل أو جائت بالخصوصيات التي لم تكن موجودة في الكتب السابقة فعند ذلك تعرف أنّه نبي مُرسل.

قال الحكيم في بيان هذا الغرض المهم:

١ـ سورة القصص، آية ٥٩.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَاكُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَاكُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (١).

٢ ـ بيان انّ الدّين الالهی، هو دين واحد وشريعة واحدة وانّه لااختلاف في الأديان من الناحية العقائدية من حيث المبدأ والمعاد، وانّ التّقرّب الیالله هوالهدف الأصلي لخلق الإنسان، فالأديان كلّها تدعوا النّاس الى الله تعالىٰ بانّه الهٌ واحدٌ والى الاعتقاد بـالمعاد واتيان العمل الصالح.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢).

٣ ـ تصديق الأنبياء السابقين وتصديق كتبهم وشرايعهم فانّهم نبيّون حقّاً جائوا لبيان الحق وبشرايعهم الخاصة بهم.

٤ ـ تصحيح القصص التي ذكرت في الكتب السـالفة والتـي تـعرضت للإنـحراف، فتحرفت بعضها كقصة هبوط آدم وقصة نوح.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَاتَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ...﴾ (٣).

فاليهود يزعمون ان سليمان النبيّ عليه السلام يعمل بالسحر وسخّر الأجنة والإنس والوحوش وما جاء من الغرائب لسحره هذا.

فردّ عليهم القرآن بانّه كان لم يكفر وهو نبي من انبياءالله تعالىٰ.

قال العياشي في تفسيره عن أبي‌بصير عن ابي‌جعفر عليه السلام ، قال: لما هلك سليمان وضع ابليس السحر، ثمّ كتبه في كتاب فطواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا من

١ـ سورة آل عمران، آية ٤٤.

٢ـ سورة الأنبياء، آية ٢٥.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٠٢.

ملك سليمان بن داود عليه السلام من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا فليقل كذا وكذا، ثمّ دفنه تحت السرير ثمّ استثاره لهم، فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان الّا بهذا، وقال المؤمنون: هو عبدالله ونبيّه، فقال الله في كتابه: واتبعوا... [1].

وكقصة ولادة عيسىٰ عليه السلام:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَـٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [2].

٥ ـ بيان النقائص في الشرايع السابقة وانّ ما في الإسلام هو تمام الدين وكماله.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [3]

نعم ليس المراد من الآية اكمال القوانين الفرعية كالواجبات والمحرمات، بل المراد من اكمال الدين واتمام النعمة هو نصب علي عليه السلام خليفة للرسول الله صلى الله عليه وآله.

وادّل دليلٍ على هذا مع غمض النظر عن الادلة الكثيرة، هو نزول بعض آيات الأحكام الشرعية كآية الربا والدين وغيرهما بعد نزول آية الاكمال المشار اليها انفاً.

لكن مع كلّ الاسف ان العالم الكبير جلال‌الدين السيوطي قد ذكر هذا الاشكال واجاب عنه بجواباً واهيا غيرمقبول، قال في الاتقان:

«من المشكل على ما تقدّم قوله تعالىٰ:«ٱلْيَومَ اَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم» فانها نزلت بعرفه عام حجة‌الوداع، وظاهرها اكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها وقد صرّح بذلك جماعة منهم السدى، فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام، مع انّه ورد في آية الربا والدين والكلالة انّها نزلت بعد ذلك» [4].

١ـ تفسير القمي، ج ١، ص ٧٠.

٢ـ سورة مريم، آية ٣٠.

٣ـ سورة المائدة، آية ٣.

٤ـ الاتقان، ج ١، ص ٦٠.

لكن عند ما نرجع الى تاريخ نزول سورة البرائة نجد ان بعضاً منها نزلت بعد سورة المائدة محتوياً على جملة من آيات الاحكام فحينئذٍ تعرف ما فى جواب السيوطى من الاشكال وكذلك ما قاله الفخر في جواب هذه المشكلة بزعمه (١).

٦ ـ بيان ان الامم السابقة أيضاً يكذبون انبيائهم ويفترون عليهم ويقتلونه ويؤذونهم فتكذيب قريش وايذائهم بالنسبة الى النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله ليس شيئاً جديداً.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٢).

٧ ـ برائة ساحة الأنبياء من الذنوب والخطايا كما ورد في قصة يوسف عليه السلام في ما وقع بينه وبين امرأة العزيز، فقد بيّن القرآن الواقعة حتّى نعرف اهمية الموضوع وتكريم النبيّ وانّهم لا يرتكبون الذنوب حتّى لو قرب اليهم الذّنب قدر انملة وحتّى لا يبقي شبهة في اذهان البعض.

قال الرضا عليه السلام في سؤال عن تفسير «ولقد همت به وهمّ بها»: **«فانّها همّت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها ان اجبرته، لعظم ما تداخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قول الله عزّوجلّ: «كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ»؛ والسوء: القتل والفحشاء: الزنا»** (٣).

٨ ـ بيان الحوادث والوقايع الغابرة التي يسئل عنها النّاس كقصة أصحاب الكهف وذى القرنين وأصحاب الأُخدود والحوادث الواقعة قبل أو بعد الهجرة ومواقع الانذار فيها.

«قال الصادق عليه السلام: كان سبب نزول سورة الكهف انّ قريشا بعثوا ثلثة نفر الى

---

١ ـ انظر الى تفسير الكبير، ج ١١، ص ١٤٠.

٢ ـ سورة الأعراف، آية ١٠١.

٣ ـ البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٦٨.

نجران، النضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن ابي‌معيط، والعاص بن وائل السهمي، ليتعلموا من اليهود والنصارىٰ مسائل يسئلونها رسول‌الله صلى الله عليه وآله ، فخرجوا الى نجران الى علماء اليهود، فسألوهم، فقالوا: اسألوه عن ثلاثة مسائل، فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق ثمّ سلوه عن مسئلة واحدة، فإن ادعى علمها فهو كاذب، قالوا: وما هذه المسائل؟ قالوا: اسألوا عن فتيةٍ كانوا في الزمن الأوّل فخرجوا وغابوا...»[1].

٩ ـ بيان نصرة المؤمنين وهلاك الكفار والمشركين حين بلوغ وقتها.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[2].

١٠ ـ بيان الاستقامة والحلم والصبر لأنبيائهم في مقابل اعدائهم الاشقياء فقال نوح عليه السلام لله تعالىٰ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[3].

١١ ـ تسلية لقلب نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله بأنّ المصائب التي يحتملها هي نفس مصائب‌الأنبياء السابقين من قبل أممهم.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ

١ـ تفسير نورالثقلين، ج ٣، ص ٢٤٦.

٢ـ سورة الانفال، آية ٧.

٣ـ سورة نوح، آيات ٥ الى ١٠.

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1].

١٢ ـ الإنذار والتبشير والمواعظ الاخلاقية والتربوية التي كانت في قصص الأنبياء الاولين.

١٣ ـ اظهار اعلى مراتب البلاغة بتكرر قصة واحدة في موارد متعددة باسلوب مميز بحيث يتعرّف القارئ على معنى آخر من القصة وواقعة جديدة منها.

١٤ ـ بيان اعلىٰ مراتب الإعجاز بعدم قدرة العرب بإتيان قصة واحدة باسلُوب واحد فضلًا عن الأساليب المختلفة، فالقرآن كلّه في معرض التحدى وكما ان القرآن يتحدىٰ العرب لإتيان بمثله أو عشرة سورٍ أو سورة واحدة، يتحداهم باتيان قصة واحدة ايضاً.

فبعد ملاحظة هذا كله لابدّ ان نعرف:

١ ـ كلّ قسم من قصّة وردت في مناسبة مكانية أو زمانيّة نرىٰ فيها مفهوماً خاصاً وترغيباً لشيءٍ ونهياً عن آخر، وهذا غير ما في القصّة الأُخرىٰ.

فمثلًا قصّة آدمعليه السلام في سورة البقرة وردت لبيان النعمة الالهية وكفرانها وفي سورة الأعراف لبيان قلّة شكر الإنسان وفي سورة الحجر لبيان عداوة الشيطان وظهور هذه العداوة ففي كلّ موضع تستنبط منها نتائج غيرما تستفيده منها في موضع أخر.

ومثلًا قصة موسىٰعليه السلام كانت مجموعة من القصص المختلفة، وهي نجاة بنياسرائيل من آل فرعون وغرق فرعون وجنوده في اليم واقتراح بنياسرائيل على نبيّهم ان يريهم الله تعالى جهرة واخذهم الصاعقة ثم بعثهم ومعاتبة اليهود والنعمة التي افاض الله عليهم وما قابلوها بالكفر والعصيان ونقض الميثاق مرّة بعد أُخرىٰ ونبذها وراء ظهورهم، والمعاصي الّتي ارتكبوها انما هي لقساوة قلوبهم وشقاوة نفوسهم و....

١ـ سورة هود، آية ١٢٠.

٢ ـ انّ ما تكرر في قصة واحدة ليس نفس حادثة بل شخصية القصة وهو امر لا محيص عنه.

٣ ـ قد بيّن في كلّ سورة وموضع من القرآن جزء من القصة والقارئ متّى قرأ هذا الجزء أو سمع السامع من القارئ يجد له ميلاً وشوقاً الى قرائة الأجزاء الأُخرىٰ واستماعها.

وذلك لأن يتضح ان منهج القرآن عندما يذكر القصة في عدة مواضع ليس تكراراً لواقعة بل كان منهجه انّ يأتي بشيءٍ آخر من القصة، ليكشف عن جانب للقصة لم يذكر من قبل أو ذكر ولكن لم يذكر بخصوصية خاصة فيها.

٤ ـ القصص القرآنية ليست كمثل القصص المصطلحة التي لا تخلو من تطويل مملّ غالباً، بل كلّ حلقة من القصص القرآنية جائت في موضع يناسب معها بحسب الظروف الخاصّة للدعوة الى الاسلام ومواجهة النبيّ الأكرم ﷺ النّاس في بيئات مختلفة.

ففي سورة هود تأتي بعض القصص بالتفصيل لبيان إثبات صحة الوحي وانّه جاء من عندالله تعالىٰ وان الرسول الامّي لا يعلم بهذه القصص وتفاصيلها من قبل.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَاكُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

وفي سورة الشعراء تأتي القصص في غاية الاختصار وكلّ قصّة جاءت في كلمات معدودة وآيات صغيرة.

الّا في قصّة يوسف وردت متسلسلة لأنّه لم ترد لذّتها ولا يُملُّ من قرائتها ولم تخبر عن أخبار متعددة فهى بمجموعها قصة واحدة تحكي عن شئ واحد أو لأنّها قصة شهوية لا يناسب ذكرها كلّ مرّةٍ.

١ـ سورة هود، آية ٤٩.

٥ ـ كلّما جائت حلقة أو حلقات من قصة استنتج منها نتيجة غير التي ذكرت في موضع آخر، فانظر الى بعض القصص التي ذكرت في سورتي هود والشعراء.

جاءت قصة نوحعليه السلام في سورة هود (٢٥ ـ ٤٩) في خمس وعشرين آية ببيان بعض الجزئيات من الجدال وصنع الفلك والركوب فيه وهلاك ولده غير الصالح وهبوطه بسلام، وجاءت هذه القصة في سورة الشعراء(١٠٥ ـ ١٢٢) في ثمان عشرة آية قصيرة ببيان هلاك قومه وعلة هلاكهم فحسب.

وجائت قصة إبراهيمعليه السلام في سورة هود (٦٥ ـ ٧٦) في سبع آيات وفيه واقعة ضيفه وبشارة ولده ومجادلته رحمة بقوم لوط وينتج انّهعليه السلام لحليم اواه منيب، ووردت قصته في سورة الشعراء (٦٩ ـ ١٠٤) في ست وثلاثين آية قصيرة وفيها مجادلته مع آزر وقومه لنفي الشرك عنهم.

وقصة لوطعليه السلام في سورة هود (٧٧ ـ ٨٣) وفيها واقعة عذاب قومه فقط وهذه القصة في سورة الشعراء (١٦٠ ـ ١٧٥) وفيها مجادلته مع قومه والسعي في هدايتهم، وهكذا.

قال سيد قطب في تفسيره لقصة آدمعليه السلام:

«ويحسب اناس انّ هناك تكراراً في القصص القرآني، لأنّ القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سورشتّى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد انّه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحيهالقدر الذي يساق، وطريق الأداء في السياق وانّه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفى حقيقة التكرار» (١).

١ـ تفسير في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٥.

اقوال أُخر لسبب تكرار القصص

وقد ذكرت أقوال أُخر لكشف سرالتكرار في القصص القرآنية وفيها ما لا يخفىٰ.

فمنها: كان نفر من الصحابه يستمع القصة من القرآن الكريم ثمّ يذهب في تجارته ومعيشته، أو يعود الى موطنه وأهله، او يهاجر الى مكان آخر، لأنّ أكثر من آمن بالقرآن من المهاجرين، فلو لم تتكرر القصة في سور متعددة لوقع قسم من القصة بيد قوم وقسم منه بيد قوم آخرين.

فأراد الله سبحانه وتعالىٰ اشتراك جميع المهاجرين والأنصار المقيم منهم والمرتحل في كلّ القصة بكاملها زيادة للتأكيد والتقرير وعموم الفايدة وتبصير الحاضرين.

وقال الشيخ الطوسي في مقدّمة تفسيره التبيان:

«والوجه في تكرير القصة بعد القصة في القرآن: انّ رسول‌الله ﷺ كان يبعث الى القبائل المتفرّقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص متكررة لوقعت قصّة موسىٰ الى قوم وقصة عيسى الىٰ قوم وقصّة نوح الى آخرين، فأرادالله بلطفه ورحمته ان يشهر هذه القصّص في أطراف الأرض ويلقيها في كلّ سمع ويثبتها في كلّ قلب ويزيد الحاضرين في الأفهام»[1].

هذا الوجه الذي ذكره الشيخ الطوسى والزركشى في التبيان والبرهان وتبعهما كثير من المصنفين المفسرين، لايمكن قبوله مطلقاً، لانّه يجب على هذا الأساس انّ تكرر كلّ آية فضلًا عن القصص بعدد كلّ مهاجر وتاجر والنّاس كلّهم.

مع انّه ليس نزول القرآن بمعنى نزول آية وذهابها، بل القرآن بعد النزول بيدالنّاس وفي أيديهم ينظرونه ويقرئونه كيف شاؤا وفي ايّ مكان وعند ايّ قوم فما ذكره هذين

١ـ تفسير التبيان، ج ١، ص ١٤.

المفسرين ليس بصحيح.

ومنها: التكرار في القصص لون من الوان البلاغة، لانّ اليهود هم المخاطبون بهذه القصص وهذا ممّا قاله ابوهلال العسكري المتوفى ٣٩٥ في كتابه «الصناعتين» وذكره أبوعثمان بن بحر «الجاحظ» وقال:

«رأينا الله تبارك وتعالىٰ اذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى والحذف، وإذا خاطب بني‌اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام» [(١)].

وقال الرافعي في تفسير قول الجاحظ:

«كان ذلك مبالغة في افهامهم وتوسع في تصوير المعاني لهم وتلوينها بالألفاظ، ايجازاً في موضع واطنابا في موضع اذكانوا قوماً لاٰ سليقة لهم كالعرب وليسوا في حكمهم من البيان،فلا يمضى كلامه لسننه، بل اعتراض من تنافر التركيب وثقل الحروف وجفاء الطبيعةاللّغوية، فلهذا ونحوه كان لابدّ في خطابهم من التكرار والبسط والشرح بخلافالعرب، فانّ الخطاب يقع اليهم على سنن كلامهم من الحذف والقصد الى الحجّةوالاكتفاء باللمحة الدالة والإشارة الموصى بها وبالكلمات المتوسمة وما يجرى هذاالمجرىٰ»

ثم قال:

«والقول الصحيح في الجملة بيد أنّهم اخطاوًا وجه الحكمة فيه فانّ اليهود لم يكونوا من الغلظة والجفاء ولا استكراه بحيث وصفوهم أو بحيث يجوز ذلك في صفتهم.

وان فيهم المتكلمين، وانّ منهم الشعراء، والخطاب في القرآن كان يسمعه العرب

١ـالحيوان، ج ١، ص ٤٦، نقله الرافعي.

واليهود جميعاً فلا هؤلاء ينكرون من امره ولا اولئك» [١].

أقول: في كلام الجاحظ مواضع للنظر، الاوّل: ما يقول الجاحظ يستلزم ان يكون القرآن مشتمل على عباراتٰ غير عربية او عبارات عربية ولكن غير بيّنة حتّىٰ تحتاج الى زيادة بيان لافهام البعض. وهذا ليس من شأن القرآن الذي نزل بلسان عربى مُبين.

الثاني: مقتضى التّحدى العام لكلٍّ من الجنّة والنّاس، هو فصاحة مجموع القرآن بتمامه، فلو كان منه آيات ليست بفصيحة ولا بليغة عند فصحاء العرب فيمكن للعرب الإتـيان بالافصح والأبلغ منه والحال انهم لم يأتوا بشيء من ذلك.

الثالث: انّ اليهود كما عن الرافعي ليس كلّهم ضعيفوا الفهم قليلوا البصيرة، بل مـنهم الشعراء والفصحاء كاسموأل وكعب بن الأشرف وغيرهما.

الرابع: مقتضى هذا الدليل انّ لا يكون في القرآن تكرارٌ سوى ما كان يخاطب اليهود فحسب ولكن الثابت خلافه لانّ القارئ للقرآن يجد ان اكثر خطاباته للمؤمنين أو هم مع المشركين.

قال «صلاح‌الدين محمّد التواب» في كتابه «الدراسات الأدبية حول اعجاز القرآن»:

«انّ كلام الرافعي مضطرب فهو يوافق الجاحظ ويخالفه» [٢].

فأقول: انّ القارئ في بادئ النظر يرى في كلام الرافعي اضطراباً وتزلزلاً فلايعلم انّـه موافق للجاحظ أو مخالف له، فهو يتكلم عنه فتارة يوافقه وتارة أخرى يخالفه. فقال في موضع «هو قول صحيح بالجملة» وفي موضع آخر يقول «فانّ اليهود لم يكونوا من الغلظة والجفاء والاستكراه بحيث كما وصفوهم» وفي آخر يقول:«انّه سرّ مـن اسـرار الادب

١ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٩٥ .

٢ـ المصدر، ص ٤٠٤ .

العبراني جرى القرآن عليه في أكثر خطاباته».

ولكن عند امعان النظر والدّقة في كلامه، نرىٰ انّ كلامه خال من الاضطراب ورأيه ثابت من أوّل كلامه حتّى آخره، فهو يوافق الجاحظ في وجود التكرار في الآيات التي خوطب بها بنواسرائيل، ولكن يخالفه في التعليل الذي اقامة الجاحظ بقلّة افهامهم وبلادتهم.

بل الرافعي قال في سرّ التكرار، انّه (اى التكرار في ما خاطب به بنىاسرائيل) من بلاغة والأدب العبرى والقرآن يقصّ بلغتهم.

شبهتان

ذكرت في بحث القصص القرآنية شبهتان

الشبهة الأُولىٰ: لماذا لم تتكرر قصة يوسف الّا في موضع واحد من القرآن وهذا بخلاف ساير القصص القرآنية؟

في جواب هذه الشبهة يمكن ان نقول:

١ ـ انّ قصّة يوسف حكاية عن الفتوة والجمال مع ما فيها من الحكم والمواعظ ولهذا لا يمكن قرائتها ونقل قصتها في كلّ مجلس، وقد ورد في الاحاديث النّهي عن تعليم سورة يوسف للنساء.

قال رسول‌الله ﷺ: «لا تنزلوا نسائكم الغرف ولّا تعلموهن الكتابة ولا تعلّموهن سورة يوسف وعلّموهن الغزل وسورة النور»[1].

وقال على عليه السلام: «لا تعلّموا نسائكم سورة يوسف ولا تقرئوهن ايّاها، فانّ فيها الفتن،

---

١ ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ٥، ص ٣٥٤.

وعلّموهن سورة النور، فانّ فيها المواعظ»[1].

انّ الله تعالىٰ عندما تكلم عن مسائل حول الشهوة الجنسية في القرآن الكريم، ذكرها في ادب جم وحجاب وستر، فقد عبّر عن الجماع باللمس او المسّ او الإتيان وغيرها من لوازم الجماع لا نفسه.

ولا يوجد اسم ايّة أمرئة في القرآن لأنّه أراد أن يكون اسمها كنفسها في كمال العفّة والسّتر، الّا مريم بنت عمرانعليها السلام، وهذا كيلا تقع في موضع الافتراء والتّهمة بولادة المسيحعليه السلام منها من غير لمس وبغير اب.

فالله تعالىٰ أراد أن يدفع عنها التهمة والافتراء فصرّح باسمها تصريحاً بعفّتها حتّى لا يمكن صرف العفّة عنها.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

٢ ـ قصة يوسف قصة الفتوة والجمال والله تعالى يعلم انّها لا تذهب من الأذهان بخلافساير القصص الحاكية عما فعل النّاس بانبيائهم السابقين.

٣ ـ قصة يوسف في القرآن تناولت جانب واحد من عيشه، لذا جاء بها تبارك وتعالىٰ في موضع واحد، وهذا بخلاف ساير الأنبياء فانّه يقصّ عن جهاة عديدة من حياتهم لما فيها من الأسرار.

٤ ـ التكرار في القصص ومواضع متعددة منها في السور المختلفة لبيان هلاك الأُمم السّالفة من الذين يكذبون انبيائهم ويقتلونهم تخويفا وانذارا لامّةالاسلام حتّى لا تصير

١ـ البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٤٢.

٢ـ سورة آل عمران، آية ٤٢.

كما صاروا ولا تهلك كما هلكوا.

٥ ـ قصة أصحاب الكهف وذي‌القرنين وغيرها كقصة يوسف عليه السلام لم تتكرر أيضاً وذلك لبعض الاسبات التي مرّ ذكرها.

الشبهة الثانية: لماذا جاءت قصة موسىٰ عليه السلام أكثر من ساير القصص في القرآن؟

انّ أكثر قصة جاءت في القرآن هي قصة موسىٰ عليه السلام من ولادته وحضانته في بيت الطاغوت وخروجه وزواجه وهجرته ونبوته ثم تبليغه وشريعته ونجاته بني‌اسرائيل وذلك لانّ:

١ ـ انّ النبيّ موسىٰ هو صاحب الشريعة الكاملة في زمانه وبما انّ قومه كانوا ينتظرون النبي الخاتم وبعثته لانّ موسىٰ عليه السلام بشرّهم به وعرّفهم مكان بعثته وعلى هذا الأساس هاجر بعض منهم الى الحجاز حتّى يروا انفسهم أو ذريّتهم النبيّ المختار صلى الله عليه وآله ولكن انحرفوا عن الحقّ وحرّفوا كتبهم عرض الحيوة الدنيا وهذه أعظم عبرة لكل النّاس حتّى لا يكتمون الحقّ لاغراض دنيوية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ (١).

٢ ـ انّ اليهود هم قوم يسيطرون على البيئة بأفكارهم الدينية بخلاف العرب المشركون فهم يقصّون كثيراً من أخبار موسىٰ عليه السلام وتصرفاته، ومن هنا كانت شخصية موسى ووزيره هارون عليهما السلام، شخصيّة مهمّة عندالعرب والعجم، يعرفون اسمه وشأنه عندالله تعالى وشريعته و... وعلى هذا الأساس قد تذكر قصته اكثر من قصة ايوّب، ويحيىٰ وزكريا وغيرهم.

---

١ ـ سورة البقرة، آية ١٥٩.

٣ـ التاريخ يتكرر وحركةالزمان ليست بافقية أوعمودية حتّى يذهب ولايأتى، خلافاً لمن توهمذلك بل الصحيحان حركة التاريخ دائرية،فالحوادث تتكرربعدمضّى زمن طويل أو قصير وهذايقتضىان نأخذالعبر منالقصصالماضية ولايحصل هذاالاّ ببيانها بخصوصياتها.

الى هنا:

نستفيد من هذا كلّه انّ من حقّ اعجاز القرآن ووجوهه المختلفة والتحدي العام لكلّ النّاس والتناسب والتناسق في الفاظه وآياته وسوره و تكرار نزول بعض من سوره وضيق اللغة العربيّة ومحدوديتها وسعة معاني القرآن وحجية ظواهر الكتاب لغير المشافهين الذين لا يفيدهم التكرار في القرآن ولأنّه تبيان كلّ شئ بملاحظة عدم وجود الجزئيات من الأحكام والأخلاق فيه بالصّراحة، وأنّ للقرآن نزولين ولا يفيد وجه من الوجوه التي يقول بها القائلين بالتكرار في النزلة الأُولى الى بيت المعمور أو... وأنّ القرآن استخدم الايجاز بشكل وسيع وان كلمات القرآن فيها من المشتركات اللفظية والاضداد وأنّ القرآن لا يوجد فيه تأكيد بل التنويع فيه انسب، ولاجل هذا كلّه لابد ان نقول عندما نبحث عن نفس الآيات من جهة الفاظها وعباراتها ومفاهيمها، نجد ان القرآن مشتمل على تكرار في المفاهيم الكلية كالمبدأ والمعاد و ايضاً مشتمل على التكرار فى الحروف والكلمات التي لامحيص منه و لكن لايوجد فيه تكرار في المفاهيم الجزئية ابدا.

الفصل الثاني
سر التكرار فى الالفاظ

قلنا بعدم التكرار المعنوى في القرآن وذكرنا انّ غاية ما نقول في تكرارالقرآن انّه تكرار بحسب اللفظ لا بحسب المعنى.

وفي هذا الفصل نبحث عن سر التكرار اللفظى في القرآن لكن قبل الدخول في البحث لابد ان نجيب على سؤال وهو: لماذا لا يأت القرآن بألفاظ مختلفة حتّىٰ يسدّ باب التكرار فيه من رأس؟ قبل الاجابة على السؤال المذكور لابدّ من البحث عن سرالتكرار في الفاظ القرآن بما انّه كتاب معجز ولا يمكن تصور التكرار بلا سرّ واهمية، فالتكرار في الكتب العادية البشرية قبيح جدا فضلا عن كتاب‌الله تعالى.

انّ من تتبع اسلوب التكرار في الآيات القرآنية يتضح له انّه يشتمل على كثير من اللطائف والأسرار.

ففي كلّ من الألفاظ المشتركة سرّ وانّ لكلّ آية من المتماثلات اسرار غير ما في الأُخرىٰ.

فلابدّ من التفكر والتدّبر في كلّ موضع يقع فيه التكرار لكى نحصل على معنى غير ما نطق به اللّفظ من دون تحميل نظر ورأى على القرآن لئلانقع في محذور التفسير بالرأى ونأتى بمقدمّة قبل الورود لهذا البحث وهي:

التكرار في كلام العرب

التكرار في كلام العرب يأتي على وجوه متعددة ومنها:

١ ـ التأكيد، فهو كثير في كلام العرب وبه تعرف الفصاحة والبلاغة نحو، الصابرون الصابرون هم الفائزون.

٢ ـ التلذذ بإتيان الكلام مرّة ثانية أو مرّات نحو، ما قال الحبيب لحبيبته: ياحبيبتى، ياحبيبتى.

٣ ـ الحسرة والحزن من مصيبة أو بلاء نحو، اين قبر امّى... اين قبر امّى...

٤ ـ التشويق والترغيب لقول أو عمل او فكرة حتّى يأتى بها مرّة اخرى نحو، طوبىٰ لهم فطوبىٰ لهم.

٥ ـ الردع والمنع عن عمل أو قول أو فكرة نحو، أحذروا، أخذروا يا أيهاالنّاس.

٦ ـ التهديد وايجاد الخشية للنّاس بمجئ بلاء أو مصيبتة أو عذاب نحو، الويل ثمّ الويل ثمّ الويل.

٧ ـ الاستبعاد من شئ لأغراض شتى نحو، هيهات هيهات من الذّلة.

٨ ـ الاستغاثة نحو، وامحمداه واعلياه واحسناه.

٩ ـ التوبيخ والزجر نحو، ماذا قلتُ لك، ماذا قلتُ لك أو امّا قلتُ لكم، امّا قلت لكم.

١٠ ـ التفهيم والتوجيه نحو كلام الخطيب لاستماع النّاس، اعلموا اعلموا.

١١ ـ التكريم والتعظيم لانسان أو شيء نحو، الكريم بن الكريم بن الكريم.

١٢ ـ التذكر بشى قد ذكر قبلًا و ذلک لطول الكلام كتكرار المبتدأ عندما تقع الفاصلة بينه وبين خبره.

فالتكرار في كلامالعرب هو سرّ البلاغة فيه وهو لون يفضيه المتكلم على المعنى ليخلقه خلقاً حياً جديداً بحيث لولم يكن هذا التكرار لم يفد ما في ضمير المتكلم من

معنیٰ.

وقد يكون قبيحا موجداً لتنفر النّاس وإعراض المخاطب وجهه عنه.

فحين نریٰ بعض الأشعار، نقطع بأن قائله لا يدری بالقواعد العربية أو كانت نفسه مريضة ويريد ان يأتی بكلامٍ لكی يستهزئ به كالملامتية وهي طائفة من المتصوفة تفعل افعالًا قباحاً وتقول اقوالًا سخيفة ويجعلون أنفسهم في معرض الاستهزاء ويزعمون انّ هذا طريق من طرق سلوكهم.

نعم يمكن ان يقال ان التكرار قبيح لعلة أُخرى وهي ارادة المتكلم شيئاً آخر غير ما قاله بالألفاظ، فهو لايتبيّن ما في ضميره بردائة ألفاظه وسوء اسلوبه وصناعته.

من التكرار القبيح في الأشعار العربية:

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

ونحو:

كم وكم كم كم وكم كم كم وكم   قال لی انجز حرما وعد

وامّاالتكرار في الفاظ القرآن

التكرار في القرآن كاللغة العربية جاء لأغراض متعدة ووجوه مختلفة وهي:

الاوّل:للتأكيد

وهو من أهم الوجوه التي ذكرها المحققون القائلون بالتكرار والمراد منه عندی تحكيم المعانی المختلفة و تثبيتها عند المخاطب.

ثم أن التأكيد على قسمين وهما التأكيد الصناعي والمعنوي، والتأكيد الصناعي أمّا لفظیّ كما في اسم النكره نحو «دكّاً دكّاً» أو في اسم الفعل نحو «هيهات هيهات» أو معنوي

وهو بيان معنى بلفظ اتمّ وأوفىٰ باستعمال الفاظ التأكيد.

يجب في التأكيد وجود ضمير عائد الى المؤكد مطابق له في التذكير والتأنيث والجمع والمثنى والمفرد، نحو ذهب زيد نفسه وذهب زيد وعمرٌ انفسهما.

التأكيد المعنوي يستعمل بألفاظ التأكيد نحو كل وأجمع والغرض منه شمول الحكم لجميع الأفراد.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ (١).

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٢).

التأكيد اللفظي والمراد منه تكرار اللفظ السابق كما كان أو مترادفاً معه والغرض منه تنبيه السامع لأهمية الموضوع نحو:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٣).

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (٤).

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥).

الغرض الأساسى من التأكيد هو أهمية الشئ المؤكد وشدّة الاهتمام به ولزوم الاعتقاد أو العمل عليه والإجتناب عن مخالفته لترسيخ ما يؤكّد في الأذهان رسوخاً تنتهي بقبوله لا محالة فله تأثير مهّم في عقول الجماعات ونفوس المخاطبين.

١ـ سورة البقرة، آية ٣١.

٢ـ سورة ص، آية ٧٣.

٣ـ سورة الحمد، آية ٥.

٤ـ سورة الانفطار، آيات ١٧ الى ١٩.

٥ـ سورة الانشراح، آيتى ٥ و ٦.

فقد تكررت كلمة التوحيد «لاٰ اله الاّ الله» لأهميتها وانّها أساس كلّ شريعة ومنهاج كلّ رشد، وتكرر لزوم اقامة الصلوة والأمر بها في آيات عديدة وبألفاظ مختلفة كما تكررت لفظة الزكاة أيضاً لهذا الاساس.

فالقرآن استخدم هذا الأُسلوب لتثبيت المعاني المختلفة في قلوب النّاس حتّى يلهجوا بها بالسنتهم ويجدوه بجوارحهم وسلوكهم.

قال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان:

«وتكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجرى على بعض، كتكراره في قل يا ايُّها الكافرون وسورة المرسلات والرحمن، فالوجه فيه، ان القرآن نزل بلسان القوم، ومذهبهم في التكرار (اراده التؤكيد وزيادة الأفهام) معروف كما انّ مذهبهم الإيجاز والإختصار ارادة التخفيف. وذلك ان افتنان المتكلم والخطيب في الفنون وخروجه من شى الى شى، أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد، وقد يقول القائل: والله لافعله ثمّ والله لأفعله، اذا اراد التؤكيد، كما يقول: افعله بحذف اللام إذا أراد الإيجاز.

قال الله تعالى: «كَلّاٰ سَوفَ تَعْلَمُون * ثُمَّ كَلّاٰ سَوفَ تَعْلَمُون» وقال: «فَاِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرىٰ * اِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرىٰ» وقال الله تعالى: «أُولىٰ لك فَأُولىٰ * ثُمَّ أُولىٰ لَكَ فَأُولىٰ» وقال «مٰا اَدْرٰيكَ مٰا يَوم الدِّين * ثُمَّ مٰا اَدْرٰيكَ مٰا يَومُالدِّين» كل هذا يراد به التؤكيد وقد يقول القائل لغيره اعجل اعجل، وللرامى ارم ارم» [(١)].

الثاني:للتقرير

و ذلک لتثبيت المفاهيم المختفلة لدى المخاطبين والقارئين في آيات المبدأ والمعاد

١ـ تفسير التبيان، ج ١، ص ١٤.

وما جاء من ذنوب وآثام للأُمم السالفة وهلاكهم بهذا، نحو ما جاء في خلقة السماوات والأرض.

﴿لِلّهِ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾[1] ﴿... وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[2] ﴿... فَاطِرُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[3] ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[4] ﴿رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[5] ﴿وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[6]؛ وغيرها من الآيات.

فهذه الآيات المباركة تدل على ان السموات والأرض مطويات بيمينه وأنّهما خاضعان لقدرته وفيها وعد للمطيع ووعيد للعاصي وان الله محيط بهما احاطة تامة.

ونحو ما جاء في الجزاء من العذاب والثواب في يوم اللقاء نحو،

﴿... وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[7].

﴿... وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[8].

١ـ سورة البقرة، آية ٢٨٤.

٢ـ سورة المائدة، آية ١٧.

٣ـ سورة يوسف، آية ١٠١.

٤ـ سورة البقرة، آية ١١٧.

٥ـ سورة مريم، آية ٦٥.

٦ـ سورة هود، آية ١٢٣.

٧ـ سورة آل عمران، آية ١٤٥.

٨ـ سورة الأنعام، آية ٨٤.

﴿... وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [1].

﴿... سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ... ﴾ [2].

﴿... مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ...﴾ [3].

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا...﴾ [4].

فهذه الآيات الشريفة تدل على ان الثواب والعقاب يدوران مدار عمل الانسان، ان عمل عملا حسنا يثاب عليه وان ارتكب السيئات يعاقب عليها بيد انّ الاحسان الالهى يتضاعف في حقّ المحسن فيجزى كل حسنة بعشر أمثالها.

الثالث:للموعظة

الإنسان مجبول على الطبايع المتعددة وكلّها داعية الى الشهوات المختلفة، ولا يكبح جموح شهواته الا بالواعظ والتكرار، حيث يقال: الكلام اذا تكرر تقرّر، والمكرر ينطبع في العالم اللاشعورى للانسان التي يختزن فيها أسباب أفعال الإنسان، ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس.

فالتكرار له أثر نفسى بوقوعه في القلب وتثبيته في النفس، وأنّه تدبير حكيم في مقام اصلاح النفوس واحياء القلوب وترغيب الأفكار.

فمتى تكرر شيئاً تولّد تيّار فكرى وعاطفى يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات وحصول الانفعال، حتّىٰ قيل ان تكرار الأقوال كان أقوى تأثيراً من الأعمال

١ـ سورة الأعراف، آية ٤٠.

٢ـ سورة الأنعام، آية ١٥٧.

٣ـ سورة النّساء، آية ١٢٣.

٤ـ سورة الشورىٰ، آية ٤٠.

وأثبت تأثيراً في الأذهان.

قال رشيدرضا في تفسير الآية الشريفه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [1].

«وقد تقدم هذا النص بعينه في سياق آخر من هذه السورة ولم يمنع ذلك من اعادته هنا، لأنّ القرآن ليس قانونا ولا كتاباً فنيا فيذكر المسئلة مرّة واحدة يرجع اليها حافظها عند ارادة العمل بها، وانّما هو كتاب هداية ومثاني يتلى لأجلّ الاعتبار والاستبصار تارة في الصلاة وتارة في غير الصلاة، وانّما ترجى الهداية والعبرة بايراد المعاني الّتي يراد ايداعها في النفوس في كلّ سياق يوجه النفوس إليها أو يعدّها أو يهيؤها لقبولها. وانّما يتمّ ذلك بتكرار المقاصد الأساسية من تلك المعاني، ولا يمكن ان تتمكن دعوة عامة في النفوس الاّ بالتكرار، ولذلك نرى أهل المذاهب الدينية والسياسية الّذين عرفوا سنن الاجتماع وطبايع البشر واخلاقهم يكررون مقاصدهم في خطبهم ومقالاتهم التي ينشرونها في صحفهم وكتبهم، بل قال بعض علماء الاجتماع انّ نشر التجار للاعلانات التي يمدحون بها سلعهم وبضائعهم ويدلون النّاس على الأماكن التي تباع فيها، هو عمل بهذه القاعدة، فانّ الذهن اذا تكرر عليه مدح الشئ ولو من المتهم في مدحه لابدّ ان يؤثر فيه» [2].

ونحو ما جاء في التقوىٰ،

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ...﴾ [3] ﴿لَيْسَ عَلَى

١ـ سورة النساء، آية ١١٦.

٢ـ تفسير المنار، ج ٥، ص ٤١٨.

٣ـ سورة المائدة، آية ٦٥.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ...﴾ (1) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ...﴾ (2) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (3) ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ (4) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (5).

فالله تعالىٰ لا يختص ببيان التقوىٰ بطائفة خاصة من المؤمنين لعمل كذا أو لترك كذا، وذلك لأنّ التقوى هي أعلى درجة من درجات الايمان بل وأعلى مرتبة من مراتب الايمان بل مستجمع لجميع مراتبه، فتكرر في مواضع مختلفة حتّى يقرّ في نفوس النّاس وداعيا مستمرّاً لهدايتهم.

ومثل ما جاء في سورة الرحمن من تكرار آية: ﴿فَبِأَيِّ الآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فانّما هُو لحس التقرير بالنعم المعدّة فكلما ذكر نعمة انعم بها، قررّ عليها.

ونحو ما جاء في تكرير الايمان والعمل الصالح والأمر بها في مرّات كثيرة.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ...﴾ (6).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ...﴾ (7).

١ـ سورة المائدة، آية ٩٣.

٢ـ سورة الأعراف، آية ٢٠١.

٣ـ سورة النحل، آية ١٢٨.

٤ـ سورة الزمر، آية ٧٣.

٥ـ سورة الحشر، آية ١٨.

٦ـ سورة البقرة، آية ٢٥.

٧ـ سورة البقرة، آية ٨٢.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [1].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ...﴾ [2].

وذلك لتقرير ان الفلاح في رهان شيئين وهي الايمان والعمل الصالح.

ومثل ما جاء في المعاد وما فيه من المباحث الكثيرة وليس هذا الّا لأن يردع النّاس عن ذبونهم وغيّهم وفسادهم في الأرض، حتّىٰ يتركوا الذنوب ويؤمنوا بالله ويتوجّهوا الى الأعمال الصالحة فيرغبهم بتوصيف الجنّة ويحذّرهم ببيان النقمة في جهنم ويوعظهم لانّ القرآن كلّه كتاب الوعظ والارشاد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [3].

الرابع: لدأب العرب

التكرار هو أُسلوب عربى فانّ ذلك دأب العرب وديدنهم في خطاباتهم ومحاوراتهم، فالتكرار في محله وعندما كانت الحال تقتضيه، يزيد الكلام بلاغة ويعطيه رونقا وبهجة وسروراً في نفوس المخاطبين.

وقد وجد التكرار في كثير من أشعارهم البليغة، مثلاً «مهلهل بن ربيعة»، يرثي أخاه كليباً وقال: ليس «جساس بن مرة» وهو الّذي قتل كليباً غدراً، عدلًا لكليب فقال:

على ان ليس عدلًا من كليب   اذا طرد اليتيم من الجزور

على ان ليس عدلًا من كليب   اذا ماضيتم جيران المجير

١ـ سورة المائدة، آية ٩.

٢ـ سورة العنكبوت، آية ٧.

٣ـ سورة يونس، آية ٥٧.

على ان ليس عدلًا من كليب　　اذا رجف العضاة مـن الدبـور

على ان ليس عدلًا من كليب　　اذا خـرجت مـخبأة الخـدور

على ان ليس عدلًا من كليب　　اذا ما اعلنت نـجوى الأمُـور

على ان ليس عدلًا من كليب　　اذا خيف المخوف من الثـغور

وقد أُنشد:

كـم نـعمة كـانت لكـم　　كم، كم، كم، كم، كم، كم

وانشد الآخر:

نعق الغراب بِـبَين ليـلى غـدوة　　كم كم، وكم بفراق ليـلى يـنعق

وقال «ابوالطيب» خطابا «لسيفالدوله» مادحا والده «ابا الهيجاء»:

وانت ابوالهـيجاء بـن حـمدان يـا ابـنه　　تشـــابه مـــولود كـــريم ووالد

وحمدان حـمدون، وحـمدون حـارث　　وحـــارث لقـــمان، ولقـــمان راشـــد

وقال: ابن الزّيات:

اتـعرف ام تـقيم عـلى التـصابئ　　فـقد كـثرت مـناقلة العـتاب

اذا ذكـــر الســـلو عـلى التـصابى　　نـفرت مـن اسـمه نـفر الصـعاب

كـيف يـلام مـثلك فـي التـصابى　　وانت فـتى المـجانة والشـباب

ساعزف ان عـزفت عـن التـصابى　　اذا مـــالاح شـــيب بـــالغراب

الم تـــرنى عـدلت عـن التـصابى　　فـــاعزتنى المـلامة بـالتصابى

هذا وقد كثر التكرار في الشعر الجاهلي وفي الشعر الإسلامي لما في تكـرار جـملة واحدة عدة مرّات خلال الكلام من تأثير خطابى في القلوب وإيجاد الانـفعال فكـيف بالقرآن الكريم الذي نزل بلغةالعرب وجاء في المحيط العربي وعلى العرب اوّلا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ

لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [1].

فلو لم يكن في الفاظ القرآن تكرار، لاحتجوا بانّه ليس بلغتنا و خارج عن عرفنا.

الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان بعد ان قسم التكرار الى قسمين وهما: تكرار الكلام من جنس واحد وتكرار معنى واحد بلفظين مختلفين، قال في القسم الثاني منهما:

«فاما تكرار معنى واحد بلفظين مختلفين، كقوله «الرحمن الرحيم» وقوله «يسمع سرّهم ونجواهم» والنجوى هو السرّ. فالوجه فيه ما ذكرنا من عادة القوم تكرير المعنى بلفظين مختلفين اتساعاً في اللغة» [2].

الخامس: ميزة الخطابات القرآنية

انّ لكلّ كلام أُسلوب في البيان فلا يعرف هذا الكلام الاّ باسلُوبة وهذا أي تكرار الألفاظ وأعطاء المعاني الكثيرة هو أُسلُوب القرآن ومن علاماته.

فانظر الى هذه الآية الشريفة التالية:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۞ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۞ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [3].

فكرر تكذيب الاقوام كلّ منهما في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثمّ جاء بالجملة الاستثنائية بالإيضاح فانّهم يكذّبون الرّسل.

فهذا التكرار والإيضاح بعد الابهام والتنوع فيهما بالجملة الخبرية والاستثنائية وغيرها ميزة الخطابات القرآنية ويعرف القرآن بهذا من بين جملات عديدة.

١ـ سورة الشورى، آية ٧.

٢ـ تفسير التبيان، ج ١، ص ١٥.

٣ـ سورة ص، آيات ١٢ الى ١٤.

قال سيد قطب في تفسيره:

«إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري... إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري؛ حتّى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً... وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول ـ وإن لم تكن هي القاعدة ـ ولكن وقوعها يحتاج إلى تفسير وتعليل... ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري؛ ولكني أذكر حادثاً وقع لي وكان عليه معي شهود ستة، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً... كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك؛ من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم... وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة! والله يعلم ـ أنّه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة؛ وحاول أن يزاول تبشيره معنا!... وقد يسر لنا قائد السفينة ـ وكان إنجليزياً ـ أن نقيم صلاتنا؛ وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها ـ وكلهم نوبيون مسلمون ـ أن يصلي منهم معنا من لا يكون في «الخدمة» وقت الصلاة! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاةالجمعة على ظهر السفينة... وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة؛ والركاب الأجانب ـ معظمهم ـ متحلقون يرقبون صلاتنا!... وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح «القدّاس»!!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا! ولكن سيدة من هذا الحشد ـ عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم «تيتو» وشيوعيته! ـ كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها. جاءت تشد على أيدينا بحرارة؛ وتقول: ـ في إنجليزية ضعيفة ـ إنّها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح!... وليس هذا موضع الشاهد في القصة... ولكن ذلك كان في قولها: أي لغة هذه التي كان

يتحدث بها «قسيسكم»! فالمسكينة لا تتصور أن يقيم «الصلاة» إلا قسيس ـ أو رجل دين ـ كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة! وقد صححنا لها هذا الفهم!... وأجبناها: فقالت: إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً... ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ولكن هذا ليس الموضوع الذي أريد أن اُسأل عنه... إنّ الموضوع الذي لفت حسي، هو أن «الإمام» كانت ترد في أثناء كلامه ـ بهذه اللغة الموسيقية ـ فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً... هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعشة وقشعريرة! إنها شئ آخر! كما لو كان ـ الإمام ـ مملوءاً من الروح القدس! ـ حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها! ـ وتفكرنا قليلًا. ثمّ أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة! وكانت ـ مع ذلك ـ مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما تقول شيئاً!

وليست هذه قاعدة كما قلت. ولكن وقوع هذه الحادثة ـ ووقوع أمثالها مما ذكره لي غير واحد ـ ذو دلالة على أن في هذا القرآن سرّاً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته، وقد يكون إيمان هذه السيدة بدينها، وفرارها من الجحيم الشيوعي في بلادها، قد أرهف حسها بكلمات الله على هذا النحو العجيب... ولكن ما بالنا نعجب وعشرات الوف ممن يستمعون الى القرآن من عوامنا لا يطرق عقولهم منه شئ، ولكن يطرق قلوبهم ايقاعه ـ وسره هذا ـ وهم لا يفترقون كثيراً من ناحية فهم لغة القرآن عن هذه السيدة اليوغسلافيه!!! (١)

١ـ تفسير في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٧٨٦.

السادس: أنّه وجه من وجوه الاعجاز

التكرار نفسه وجه من وجوه الاعجاز، فبيان كلام واحد في اساليب مختلفة ومناهج كثيرة، فيه مالاٰ يخفى من الفصاحة، لأنّ ظهور الفصاحة لمفهوم واحد اذا اعيدت وتكررت في مواضع متعددة كان ابلغ واظهر، وهذا وان لم يكن ظاهر بالنسبة الى كلّ كلام؛ لأنّ الكلام اذا تكرر يثقل ويسمج غالباً ولكن في القرآن يعطى حلاوة خاصة بالقائه المعانى المختلفة.

الفخرالرازي في بيان القصص الواردة في النبوة وجهتها قال:

«الثاني: انّ يذكر القصة الواحدة مراراً مختلفة بألفاظ مختلفة وكلّ ذلك متشابهة في الفصاحة مع انّ الفصيح إذا ذكر القصة الواحدة مرّة واحدة بألفاظ فصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرّة أُخرى بألفاظ فصيحة، فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عندالله لا من عند البشر» [(١)].

وقال الباقلاني في بيان وجوه الاعجاز:

«منها أنّه لا يتفاوت في تكرار القصة الواحدة ولا يتباين، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، بينما يتفاوت كلام النّاس عند اعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بيّناً، ولهذا كان القرآن ممّا لايقدر عليه البشر لأنّ الذي يقدرون عليه لابدّ ان يقع فيه التفاوت في ذلك» [(٢)].

فبيان كلام واحد في اساليب مختلفة ومناهج كثيرة فيه مالا يخفى من الفصاحة، لأنّ كلام واحد اذا اعيدت وتكررت في مواضع متعددة بلا اى اختلاف وتباين كان هذا

١ـ عجائب القرآن لفخرالرازى، ص ١٨ .

٢ـ اعجاز القرآن لعبد الغني محمّد سعد بركة، ص ١٤٢ .

التكرار ابلغ و أظهر لظهور الفصاحة فيه، فالقرآن وان سلك مسلك التكرار ولكن لا يوجد فيه ايّ اضطراب وثقل على اللسان الذي يخرج الكلام عن اللطافة، ولا يوجد فيه تعارض وتباين بحيث يخرج الكلام عن الاطمينان به.

قال محمّد رشيد رضا في تفسيره المنار في بيان علة تكرار القصص القرآنية:

ثمّ انّك تجد لكل لون من هذه الالوان من التعبير نغما خاصا به في الترتيل ولكل منهما نوعاً جديداً من التأثير، فاستمع لمرتل قصة موسى في سورة طـه ساعة (زمانية لافلكية) وفي سورة الشعراء ساعة ثانية وفي سورة القصص ساعة ثالثة وتأمل ما تجد من الفرق بينهن في سمعك متدبراً ما تشعر به من الخشوع والعبرة في قلبك والقصة واحدة، ثمّ جرب هذه المقارنة في القصص الاخرىٰ من السور المختلفة في النظم والاسلوب، كهود والنحل ومريم والأنبياء والصافات و ص والقمر، تجد العجب العجائب، ولا تنس انّها جائت على لسان رجل لم يكن من رجال البيان في يوم من الأيام» [١].

السابع: كمال التحدى

العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم وافتخارهم بهما لا يمكن لهم على ان يأتوا بسورة من مثله بشكل واحد على نسقٍ واحد. وبيان بعض من الآيات والقصص بألفاظ متعددة وفي مناسبات مختلفة، بلغ عجزهم الى حد النهاية للاتيان بسورة على نمط القرآن، لانّه كيف يمكن للذي عجز عن اتيان اسلوب انّ يأتي باسلُوبين مختلفين أو أساليب متعددة كلّ منهما غير الآخر.

ويمكن انّ يقال: الله تعالى لقد تحداهم بالنظم السهل وبسورة واحدة على الاقل فعجز

١ـ تفسير المنار، ج ١١، ص ٤٠.

العرب كلهم والنّاس اجمعون عن مطاولته استيئسوا واستسلموا ثمّ تـحدّاهـم بـالجزل الضخم وهو بيان موضوع بألفاظ وأساليب مختلفة لكى يظهر لهم كـمال عـجزهم عـن الإتيان بمثله بأىّ نظم كان.

وأيضاً يمكن ان يقال: ان للسائل الّذي هو مخاطب للتحدى ان يسئل: هل الله تعالى يستطيع ان يأتي بمثل ما اتى؟ وهل يمكن هذا؟

فأنزل الله تعالى الآيات والقصص متكررة بألفاظ متعددة بما فيها من المعانى المختلفة دفعاً لهذه الشبهة وجواباً لهذا السؤال.

الثامن: دليل لعدم التحريف

التكرار في القرآن يدل على ان رسول الله ﷺ لم ينقص من القرآن شئ كما انّه لم يزد عليه، فهو ﷺ قد تكلم بكل ما نزل عليه وامر باثباته في المصحف ويحفظه الصحابه من غير نقص وزيادة.

وذلك لأنّ رسول الله ﷺ لو كان بهذا الصدد للزم عليه انّ يحذف الآيات والقـصص التكرارية.

كما انّ التكرار يدلّ على انّ القرآن لم يحرّف بعد رسول الله ﷺ فلو كان القرآن دوّن بعد رسول الله ﷺ لحذف بعض ما فيها من التكرار حسب ما يفعله مـقوموا النـصوص مـن الحذف والتقديم والتأخير والتبديل و غيرها.

فالقرآن ليس مثل الأناجيل الأربعة الّتي دوّنت بعد ثلاثين سنة من عروج عيسىٰ عليه السلام كما قيل أو قتله على زعم المسيحيين الباطل.

التاسع: للدعوة للاسلام

التكرار هو أحد الوجوه لتبليغ الاسلام ولدعوة النّاس إليه.

فكما ان الطفل الصغير يتعلّم من امّه كلّ شئ بتكراره له، فالنّاس أيضاً بعضهم كالأطفال لا يمكن تعليمهم الاّ بتكرار القضايا لهم.

فالتكرار له دور قوّى في تربية النفوس وترغيبهم الى الحقائق.

قال صاحب المنار في تفسيره:

«لا يمكن ان تتمكن دعوة عامة في النفوس الاّ بالتكرار، ولذلك نرى أهل المذاهب الدينية والسياسيه، الذين عرفوا سنن الاجتماع وطبائع البشر واخلاقهم يكررون مقاصدهم في خطبهم ومقالاتهم الّتي ينشرونها في صحفهم وكتبهم». (١)

العاشر: لبيان اتحاد دعوة الأنبياء

الأنبياء كلهم جائوا من قبل واحد وتكلموا عن شئ واحد ويدعون النّاس الىٰ واحد فهم متفقون في الدعوة الى وحدانية الله تعالىٰ والأمر بعبادته وطاعته.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢).

والمشركون والكافرون قد تمسكوا بدلائل واحدة وتشبثوا بشئ واحد ايضاً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٣).

١ـ التفسير المنار، ج ٥، ص ٤١٨.

٢ـ سورة الأنبياء، آية ٢٥.

٣ـ سورة المائدة، آية ١٠٤.

الحادي عشر: لأنّه غذاء الروح

الكلام للروح كالطعام للبدن، ففي طعام الانسان ما هو قوت للبدن وبه يقوى البدن ويحيى وكلّما تكرر في طعامه كان انفع، حتى لو لم يتكرر يتألم الانسان من فقده، كالخبز اوالارز ونحوها، بخلاف ما ليس مثل هذا من الآدام بحيث يسأم الانسان اذا تكرر.

والكلام منه كضوء الشمس وجمال القمر وزينة الكواكب، كلما تكرر حسن ومنه من قبل الزينة، فلابدّ ان يتجدد والافيملّ.

والقرآن بمنزلة القوت للروح، لأنّه ليس كتاباً موضوعيا حتّى يبحث عن مسئلة مرّة واحدة فحسب بل هو على نحو ان لم يتكرر في موضوعه لا يستحسن.

الثاني عشر: لرعاية الموسيقا

ان في التكرار انغام موسيقية، يتلذذ منها السمع وتهزّ القلب وتنتعش الروح وتجرى بسهولة على اللسان. هذه الموسيقية الهادئة الشيّقة التي تتكّون من تنسيق الحروف في الكلمة الواحدة والكلمات في الجملة بنظم تام في مخارج الحروف وصفاتها وايضاً يحصل التكرار في بعض الكلمات أو الآيات فيها.

فأقرأ القرآن ورتله ترتيلا واملاء فمك بكلماته واذنيك بسماعه، ترى انّك تنطق بلحن منظم ذوجمال، يعطيك جلالًا وجمالًا ويرغبك في ما أمر به ينهاك عمّا نهي عنه.

قال الاستاذ معرفت في كتابه التمهيد نقلاً عن مصطفى محمود:

«والموسيقي الباطنة سرٌّ من أسرار المعمار القرآني لا يشاركه فيه أيّ تركيب ادبّى» [1].

١ـ التمهيد، ج ٥، ص ١٧٠.

وفي موضع آخر قال:

«وهذا سرّ من اعمق الأسرار في التركيب القرآني، انّه ليس بالشعر ولا بالنثر ولا بالكلام المسجوع، وانّما هو معمار خاصّ من الألفاظ صُفّت بطريقة تكشف عن الموسيقى الباطنة فيها، وفرق كبير بين الموسيقي الباطنة وموسيقي الظاهرة»[1].

عندما يتلو الانسان القرآن يحسّ بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه ويبرز بروزاً واضحاً فحينما نتلو سورة الرحمن وهي عروس القرآن نلمس التمهيد الرائع والنسق الرفيع والأثر البليغ واليك بعض الآيات التي تعطى هذا المعنى أيضاً.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[2].

وانظر الى سورة التكوير:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ...﴾[3].

ثم انظر الى آيات من سورة الفجر:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[4].

وغيرها من الآيات والسور.

الثالث عشر: للخوف من النسيان

من وجوه الفصاحة اعادة ما يستفيد بعد اطالة الكلام بفاصلة طويلة بين مبتدأ وخبر، أو جملة ومتعلقاتها، خوفاً من نسيان ما هو مهم وتجديداً للعهد. نحو تكرار «لا تحسبن»

١ـ التمهيد، ج ٥، ص ١٦٩.

٢ـ سورة البلد، آيات ٨ الى ١٠.

٣ـ سورة التكوير، آيتى ١ و ٢.

٤ـ سورة الفجر، آيتى ٢١ و ٢٢.

في الآية التالية.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

الرابع عشر: لاستعمال الألفاظ المختلفة

فنرى في الآيات التكرارية في القرآن ألفاظ مختلفة نحو:

﴿... تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا...﴾ (٢).

﴿... تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا...﴾ (٣).

ونحو: ﴿... وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ (٤).

﴿... وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ...﴾ (٥).

ونحو: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (٦).

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧).

١ـ سورة آل عمران، آية ١٨٨.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٨٧.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٢٩.

٤ـ سورة البقرة، آية ١٩١.

٥ـ سورة البقرة، آية ٢١٧.

٦ـ سورة البقرة، آية ١٤.

٧ـ سورة البقرة، آية ٧٦.

فاستعمل القرآن الألفاظ المختلفة لأغراض شتى ومنها تبيين كلّ كلمة بالاستفادة من كلمة أُخرى مع بيان ما فيها من معنى، وهذا اسلوب يستفيد منه المفسرون الذين يتبعون منهج تفسير القرآن بالقرآن.

الخامس عشر: لتعدد الوقايع

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (١).

﴿وَمَاجَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

نزلت الآية الاولى في غزوة احد، فالكفار ندموا بعد انصرافهم من احد وهمّوا بالرجوع الى المدينة، فامرالله نبيّه بالتهئ للرجوع اليهم، وامده بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، فاخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار، ونزلت الثانية في غزوة بدر، والمراد من الآية انّ الامداد بالملائكة هو بشرى من الله للمؤمنين بالنصر لهم وتسكين قلوبهم فحسب، والا فملك واحد لو امرالله به كاف لتدمير العالم كله كما فعل الملائكة بالأمم الماضية.

السادس عشر: لاظهار الشفقة

قديأتى التكرير لاظهارالشفقة علىالمسترشد حتى يميل الىاستماع الكلام والتوجه اليه.

١ـ سورة آل عمران، آية ١٢٦.

٢ـ سورة الانفال، آية ١٠.

نحو ما جاء فی تکرار «یا ایها الذین آمنوا» فی هاتین الآیتین:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢).

السابع عشر: لحصول الرجاء

فقد تكررت صفة «الرحمة» لله تعالىٰ بمشتقاتها ثلاث مئة وثمان وعشرين مرّة، وتكرر مرّتين في البسملة، وهي قريبة من اسم الله الأعظم من سوادالعين الى بياضها، ونزلت أكثر من سبعين مرّة بادوات التأكيد نحو انّ الله غفورٌ رحيم و....

وهذا لبعث الرجاء والأمل في نفوس المؤمنين، ولرفع اليأس عن قلوبهم الذين عملوا الأعمال الطالحة وندموا ورجعوا من اعمالهم السيئة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

الثامن عشر: لإيجاد الرعب واليأس

فقد تكررت بعض الآيات لإيجاد الرعب واليأس في نفوس المكذبين بيومالقيمة أو مكذبی رسولالله والآلاء الله تعالی و....

١ـ سورة الحجرات، آية ١.

٢ـ سورة الحجرات، آية ٢.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢١٨.

كما تكرر في سورة الرحمن أكثر من ثلاثين مرّة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، عقيب كلّ نعمة ووعدٍ وعيد، ومعناه ان مع وجود هذه النعمة في الدنيا والجزاء الثابت في العقبى، هل يمكن ان يكذب أحد بآلائه ونعمائه.

وتكرر في سورة المرسلات «ويل يومئذٍ للكمذبين» عقيب كلّ وصف ليوم القيمة او شئ مما يناسبه.

وتكرر في سورة الشعراء عقيب قصّة إبراهيم، نوح، هود، صالح، لوط، شعيب عليهم السلام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [١] للوقوف عندها والتأمّل فيها على ما تحتوى من الدروس والعبر التي تستفاد ممّا مضى من حوادث التاريخ.

وكرر في سورة الكافرون ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، لكى ييئس الكفار من امكانية اغواء المسلمين واضلالهم ولا يتفاعل المؤمنون مع الاقتراحات التي يقدّمها الكفار لصلابة عقيدتهم وشدّة بأسهم في ذات الله تعالى.

وتكررت مادة «نذر» في سورة «القمر» اثنا عشرة مرّة وتكرر «فكيف كان عذابى ونذر» أربع مرّات لا يجاد الوحشة في قلوب الكفار بهذه التعابير.

التاسع عشر: للمبالغة في الذّمّ

قد تكررت بعض الآيات لشدة التنكير واغلاظ العقاب على مخاطبيهم لاعتقاداتهم الفاسدة وافعالهم الخبيثة كما جاء في «الوليد بن المغيرة» حيث كان يريد توحيد الأقوال فيما يقذف به رسول الله صلى الله عليه وآله، فعندما سمّوه المشركون بالشاعر والكاهن والمجنون، لم

---

١ ـ سورة الشعراء، آية ١٢١.

يقبل كل هذا وعندما قالوا هو ساحرٌ، فبعد تأمله قال: بلى، لزعمه بأنّه ﷺ يفرق بين المرء وأهله ويجمع الواحد والآخر كما يفعل هذه الأفعال السحرة.

فقد عبر القرآن عن هذه المجادلة بين الوليد وقومه، تعبيراً يوضّح فيه التفكير الشيطاني ودهاء الوليد لقبول هذه الاقتراحات المذمومة.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ (١).

وكما جاء في سورة تبّت، فأبولهب هوالّذي قال للرسول‌الله ﷺ بعد دعوته وانذار عشيرته الأقربين «تبّا لك لهذا دعوتنا جميعاً» وامرئته انشدت اشعارا في ذمّ النبيّ ودينه الإسلام وحملت حجراً وقالت: سمعت ان محمداً هجاني، قسماً لوجدته لا لقمنّ فمه هذا الحجر» (٢).

هذا مع ان اباالهب كان من أقرب أقرباء الرسول ﷺ وصدور هذه‌الاعمال من عنده كان عاملًا مهمّاً لإنحراف ساير أهل مكّة، فذمه الله تعالى وأمرئته شديد الذّم وقال:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾. (٣)

قال الرازى في سبب تكرار «الذين كذبوا شعيباً» في الآية التالية:

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾. (٤)

١ـ سورة المدثر، آيات ١٨ الى ٢٥.

٢ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١، ص ٤٧٥.

٣ـ سورة المسد.

٤ـ سورة الأعراف، آية ٩٢.

«انّما كرر قوله «الذين كذبوا شعيبا» لتعظيم المذلة لهم وتفظيع ما يستحقون من الجزاء على جهلهم، والعرب تكرر مثل هذا في التفخيم والتعظيم، فيقول الرجل لغيره: أخوك الذي ظلمنا، أخوك الذي اخذ اموالنا، أخوك لذي هتك أعراضنا» (١).

العشرون: للتحسين

انّما كرر من الآيات للزيادة في تحسين شئ بما فيه من صلاح ليرغب النّاس فيه، فقد تكررت الآية التالية خمس مرّات بعد دعوة الأنبياء من ابراهيم، هود، صالح، لوط و شعيب.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٢).

وهذا التكرار لاغراض ومنها انّه على الداعية ان يتعالى عن سؤال أحد على عمله الرسالى، كما كان الأنبياء عليهم السلام يبتغون الأجر الالهى على اداء الرسالة على الأجر الدنيوى الوضيع.

الواحد والعشرون: حتى لا ينسى الشكر

فقد كررت بعض النعم حتّى يشكر الإنسان صاحب النعمة ولا ينساه أبداً، ومن أعظم هذه النعم، نعمة الحياة وقد كرر في القرآن انتساب هذه الصفة لله تعالىٰ:

﴿...وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣).

١ـ تفسير الكبير، ج ١٤، ص ١٩٠.

٢ـ سورة الشعراء، آيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

٣ـ سورة آل عمران، آية ١٥٦.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

والعلم نعمة ثانية في جنب الحياة ولا ريب في اهميّتها وقد تكرر في القرآن كثيراً.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢).

ونعمة «الماء» الذى جعل الله منه كلّ شئ حيّاً قد ورد في القرآن أكثر من ستين مرّة.

﴿...وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

الثاني والعشرون:للتنبيه

ارسل الله سبحانه وتعالى جميع انبيائه في فترات التاريخ الى الأُمم لهدايتهم وإرشادهم ودعوتهم للتوحيد تحذيراً مما انذروا ورغبة بما بشرّوا به، وقد ذكر قصصهم للامم السالفة بذكر العذاب الذي سيلقاه الكافرون لتنبيههم وتحذيرهم من لقاء هذا المصير المهلك كما جاء تكرار النداء في هذه الآية:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ * يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ (٤).

فهذا الكلام، كلام مؤمن آل فرعون فكرر فيه النداء لايقاظ قومه من نومة الغفلة والتنبيه لبطلان ما قاله فرعون وما يدعوهم الى اتباع سبيله.

ولانتباه ان سبيله سبيل الغيّ والضلالة، وسبيل الرشد والصلاح غيره، ويحذّرهم من

١ـ سورة الحج، آية ٦.

٢ـ سورة علق، آيتى ٤ و ٥.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٢.

٤ـ سورة غافر، آيتى ٣٨ و ٣٩.

الاغتراء بمتاع الدّنيا لأنّها ستزول حتماً وانّ الآخرة لهى دارالخلو والقرار النهائى.

وأيضاً ما جاء في ما وقع بين إبراهيمعليه السلام وأبيه أو عمّه:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَايَسْمَعُ وَلَايُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَـٰٓأَبَتِ لَاتَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا * يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾ [1].

فهذه الآيات الشريفة تبين محاورة إبراهيم النبيعليه السلام مع آزر، فهو يريد انذاره وخلاصه وسعادته، بأيقاظه من سكرة الغفلة حتّى لا يقع في الضلالة وسبيل الغى لأنّ السبيل سبيلان سبيل الهداية وسبيل الغواية وليس من ورائهما صراط مستقيم فصدر كلّ نصيحة من النصايح الأربع، بالنداء «يا ابت» حتّى يعلن ما في نفسه من شوقه الى هداية أبيه والرحمة له.

الثالث والعشرون: للتفسير والتوضيح

في مواضع التكرار نرى ما هو تفسير وتوضيح لما قبلها، فالآية أو الكلمة التي تحتاج اى مزيد بيان تأتى مرّة أُخرىٰ ليتضح ما هوا المقصود منها.

فجاء في سورة الأنفطار تفسير يوم‌الدين، لاحظ الآيات التالية:

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا

١ـ سورة مريم، آيات ٤١ الى ٤٥.

﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [1].

وجاء في سورة الواقعة تقسيم الإنسان الى ثلاثة بحسب الاعمال التي كسبوها وما هو جزائهم في القيامة:

﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ * وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [2].

وقد فسر هذه الاقسام في الآيات الأُخرى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ... وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ... وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [3].

وجاء تكرار عليين في هاتين الآيتين:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ * يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [4].

الرابع والعشرون: لذكر مالم يذكر

القرآن لا يعجز عن تناول لفظ بدل آخر، وانّما يجئ بألفاظ وكلمات متماثلة ليخدم المعاني المتعددة وليفهم انّ الألفاظ هي آلة والأصل فيها المعاني، فهو قادر على ان يأتي بمعنى جديد لم يذكره من قبل بنفس الألفاظ المتماثلة التي ذكرها سابقاً.

فكلما كرر لفظ جاء بمعنى آخر غير ما أراد من هذه اللفظة من قبل بل أحسن منه وهذا

١ـ سورة الانفطار، آيات ١٤ الى ١٩.

٢ـ سورة الواقعة، آيات ٨ الى ١٠.

٣ـ سورة الواقعة، آيات ١١، ٢٧ و ٤١.

٤ـ سورة المطففين، آيات ١٨ الى ٢١.

يحصل عند ملاحظة اللفظة الثانية وما جاء من قبلها وبعدها.

ففي الآية التالية:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

فالأمر بالمعروف هو دعوة الى الخير ولكن الآية جائت لبيان فريضة مهمّة بها تقام

الفرائض وبها يبقى كل خير، وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانّه لابدّ له من مراتب متعددة، فيجب انّ يكون بين الموظفين من يقوم بهذه الوظيفة، يأمرون ساير المؤمنين وينهونهم، ولابدّ ان يكون لهولاء القوم المعينين أيضاً طائفة خاصة و... حتّى ينتهى الى الامام المنصوب من قبل رسول‌الله الأعظم صلى الله عليه وآله.

وهذا هو دأب القرآن في ذكر القصص أيضاً، فعند ما جاء بقصة تأتى حلقة منها في مكان آخر، ليأتي بشيئ لم يذكره من قبل اوتاتي بنفس القصة بتقديم الفاظها وتأخيرها ليحصل ما ذكرنا.

الخامس والعشرون: لانتشالهم من الكفر والعصيان

نعرف انّ التكرار لكلّ شئ يعطي للنفس الانسانية ملكة يعتاد الإنسان عليها وانّه يعتقد بما ملك في نفسه ويعمل عليه.

فتكرار عقائد المشركين الباطلة واعمالهم غيرالصحيحة وانكاراتهم القديمة الثابتة التي تعلموها من آبائهم قد استقرّت هذه المحرمات في نفوسهم وانغمست في قلوبهم،

١ـ سورة آل عمران، آية ١٠٤.

بحيث حصلت لهم ملكة في سلوكهم والتخلص منها ليس امراً سهلًا لأنّ ردع المعتاد عن عادته كالمعجز، وهذا استدراج لهم بعد اعراضهم عن الحقّ ورفضهم الحقائق.

قال رسول‌الله ﷺ: **انّ المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فان تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه منه وان ازداد زادت»** [1].

وقال الباقر عليه السلام: **ما من شئ افسد للقلب من الخطيئة، ان القلب لتواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اسفله اعلاه واعلاه اسفله»** [2].

فالعقائد الباطلة عندما لا يتخلص الإنسان منها، يكون تكرارها موجبا لنفوذها في عمق النفس وتجعل النفس في شقاوة ابدية.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [3].

هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يعالج هذا المرض المهم العميق في النفس الا ببيان الحق وتكراره قدر ما تكرر الذنب بل أكثر منه فأكثر.

فقال رسول‌الله ﷺ: **تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا، فانّ الحديث جلاء للقلوب، انّ القلوب لترين كما يرين السيف وجلائه الحديث.** [4]

السادس والعشرون: للحث على المواظبة

قد عرفت ما في القرآن من تكرار مفهوم المبدء والمعاد وكل من المفاهيم العقايدية والاخلاقية والاغراض التي فيها وهنا نقول ان من العلل والاسباب التي كررت هذه

١ـ تفسير نورالثقلين، ج ٥، ص ٥٣٢.

٢ـ تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٥٣١.

٣ـ سورة المطففين، آية ١٤.

٤ـ تفسير نورالثقلين، ج ٥، ص ٥٣١.

المفاهيم في القرآن هو الحث على المواظبة عليها في كلّ الأُمور من اوّلها الى آخرها.

فجعل‌الله تعالى كلمة التوحيد في الآية التالية في اولها وآخرها:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [1].

حتّى يفيد هذا المعنى وهو:

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. [2]

السابع والعشرون: لتجسيد المعاني

قد اتخذ القرآن الصوت المكرر والكلمات المكررة سبباً لتجسيد معانيها وتصويرها في الذهن حتّى تحدث أثر أقويا في النفس.

فعند ما تكرر كلمة دكاً دكاً أو صفاً صفاً في الآية الشريفة:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [3].

يصور للانسان تصويراً حسيّاً لدك اجزاء الأرض الوسيعة جزءً جزءً وقطعةً قطعةً، فيهزّ القلب وتخشع له الجوانح عندما يصور له هذا المشهد المهول الفضيع.

الثامن والعشرون: لسهولة الحفظ

نجد في القرآن أُسلُوب منظم للتكرار يحدث لذة عند السامع وهو يستمع من دون ملل وبهذا يسهل الحفظ والتذكير له.

١ـ سورة آل عمران، آية ١٨ .

٢ـ سورة الحديد، آية ٣ .

٣ـ سورة الفجر، آيتى ٢١ و ٢٢ .

أنظر الى هذه الآيات:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلْهَـٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [1].

نرى في هذه الآيات نظاماً وقالباً صوتيا يتكرر يبعث في النفوس ميلًا بالاستماع لها وهو يساعد على الحفظ وتذكّرها أكثر من غيرها.

التاسع والعشرون: للتفكر والتدبر

التكرار في الفاظ القرآن هو نفسه دعوة للتفكر والتدبر حول علة التكرار والأسرار التي كانت فيها، لأنّ القارئ المتدبر يعلم انّ هذا الكتاب ليس كتاباً كسائر الكتب بل هو كتاب الله تعالىٰ وقد نزل منه وهو معجزة رسوله الخاتم ﷺ فلا يمكن أن لا يكون للحروف التي استعملها القرآن فائدة فضلا عن كلماتها وآياتها.

فالذي يتفكّر و يتدبّر في القرآن يرى معاني كثيرة تحت ألفاظ قصيرة بسيطة لها في كل موضع استعملت فيه معنى غير الذي افادته في جملة اخرىٰ وهذا هو أحدى وجوه الأعجاز في القرآن الكريم وكان من اهمّها.

مضافاً إلى ذلك نكتشف منه مواضيع عديدة تنفع عندالمناقشات التي تقع وتتجدد على مرّ الزّمن لأنّ القرآن في كلّ زمن وعند كلّ تلاوة وقرائة غضّ طريّ.

قال صاحب مجمع البيان في تفسير الآية الشريفة:

١ــ سورة التكاثر، آيات ١ الى ٨.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [1]

«اي ولقد كررنا الدلائل وفصّلنا المعاني والأمثال وغير ذلك ممّا يوجب الاعتبار به «فيْ هذا القرآن ليذكروا أي يتفكروا فيها فيعلموا الحقّ» [2].

وقال الرازي في تفسيره نقلاً عن الجبائي:

قوله: «ولقد صرفنا...» يدل على انّه تعالى انّما أنزل هذا القرآن وانّما أكثر فيه من ذكر الدلائل لأنّه تعالىٰ أراد منهم فهمها والايمان بها، وهذا يدل على انّه تعالىٰ يفعل افعاله لاغراض حكمية» [3].

وقال المراغى في تفسير الآية الشريفه:

«اي ولقد بينا في هذا القرآن الآيات والحجج وضربنا لهم الامثال وحذرناهم ليتذكروا ويتعظوا فيقفوا على بطلان ما يقولون، فان التكرار يقتضى الاذعان واطمئنان النفس» [4].

الثلاثون: للوعد بعد الوعيد

جائت بعض الآيات وعيدا للنّاس أو لعدة منهم كالمنافقين أو شخص معين كما جاء في أبي جهل، ثم كرر الله تعالى الوعيد عليه مرّة أُخرى، فهذا وعيد على وعيد ويدل على عذاب على اثر عذاب.

قال الطبرسي نقلًا عن الحسن ومقاتل في تفسير هاتين الآيتين:

١ـ سورة الأسراء، آية ٤١.

٢ـ تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٢٥٤.

٣ـ تفسير الكبير، ج ٢٠، ص ٢١٨.

٤ـ تفسير المراغى، الجزء ١٥، ص ٥٠.

﴿كَلَّا سَوفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوفَ تَعْلَمُونَ﴾ [1].

«هو وعيد بعد وعيد ومعناه سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم اذا نـزل بكـم الموت» [2].

وقال في علة تكرار هاتين الآيتين نقلًا عن قتادة:

﴿أَوْلَى لَكَ فَأَولىٰ * ثُمَّ أَولىٰ لَكَ فَأَولىٰ﴾ [3]

«وقيل هو وعيد على وعيد، عن قتاده، ومعناه وليك الشر في الدنيا وليك، ثمّ وليك الشر في الآخرة وليك» [4].

١ـ سورة التكاثر، آيتى ٣ و ٤.

٢ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٢.

٣ـ سورة القيمة، آيتى ٣٤ و ٣٥.

٤ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٠٤.



الفصل الثالث

البحث هنا عن الآيات التي تكررت. وباستقرائنا تبيّن انّ هناك آيات قد تكررت فنذكرها ونتعرض لآراء بعض المفسرين بشأنها ونبدى رأينا فيها فنقول انّ لكل آية معنى يغاير معنى الآية الأُخرىٰ اذا لاحظنا سياقها العام أو سبب نزولها أو الدّقة في المعنى اللغوي أو أُمور أُخرىٰ نذكرها في محالها انشاءالله.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قد تكررت هذه الآية مئة واربعة عشرة مرّة كما انّ صفة الرحمة لله تعالى قد تكررت مرّتين في نفس هذه الآية.

عندما نلاحظ الفرق بين صفتي «الرحمن» و «الرحيم» نلتزم بعدم التكرار فيهما.

قال الطبرسي في بيان الفرق بين هذين الصفتين:

«لأنّ الرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به الّا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنّه يطلق عليه وعلى غيره، وروى أبوسعيد الخدري عن النبيﷺ انّ عيسى بن مريم قال: الرحمن، رحمن الدنيا والرحيم، رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال: الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصه... والى هذا المعنى يؤل ما روى عن الصادقؑ انّه قال: الرحمن اسم خاص بصفة عامّة والرحيم اسم عام بصفة خاصة.

وعن عكرمه قال: الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمئة الرحمة، وهذا المعنى قد اقتبسه من قول الرسول: ان الله عزّوجل مئة رحمة وانّه انزل منها واحدة إلى الأرض

فقسمها بين خلقه يتعاطفون ويتزاحمون واخرّ تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة»[1].

وامّا علة تكرار الآية في اوّل كل سورة الّا في سورة التوبة فقد اختلف علماء الاسلام فذهب بعض على انّها آية مستقلة من كل سورة والدليل على هذا اثباتها في المصحف قبل كلّ سورة وعند شروعها وهذا جيد بعد ان نسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله امره بتجريد القرآن عن كلّ ما ليس منه، وللروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام والسيرة المستمرة على قرائتها وقرائة النبي صلى الله عليه وآله.

وذهب بعض على انّها آية من الفاتحة دون غيرها وهناك أقوال آخر شاذة لايعبأبها.

فعلى فرض انّها آية مستقلة كما هو رأينا كذلك نقول في سبب تكرارها:

الرحمن هي صفة تشير الى الرحمة الالهية الشاملة للمؤمن والكافر والرحيم هي صفة الهية تختص بعبده المؤمن دون الكافر والدليل على ذلك ذكر صفة الرحمن في القرآن بصورة مطلقة بينما ذكر صفة الرحيم مقيدة في بعض الآيات.

ولما روى عن الإمام الصادق عليه السلام: «**والله اله كلّ شيٍ الرّحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصّة**»[2].

فتعم صفتا «الرحمن والرحيم» جميع الكون وتشمل جميع الموجودات فكلّ ما خلق الله تعالى فبرحمته خلق، ورحمته وسعت كلّ شئ، فهما من اهمّ الأوصاف بل هما أصل كلّ صفة لله تعالى في الحيوة الدنيوية والأُخروية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٥٤.

٢ـ بحارالأنوار، ج ٨٥، ص ٥١.

«انّ لله عزّوجل مئة رحمةٍ وانّه انزل منها واحدة بين الجن والإنس والبهائم واخرّ تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده»[1].

هذا، مع انّ كلّ سورة قد وردت فيها «البسملة» انصبغت بصبغة السورة المباركة.

وامّا تكرارها في سورة النمل في كتاب سليمان النبيّ عليه السلام الىٰ بلقيس.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2].

فلبيان تمام الهدف من ارسال الكتابة الى ملكة سبأ فهذه الآية رغم قصرها تضمنت الإشارة الى الصانع الحكيم الحيّ القادر فلفظة «الله» وحدها جامعة لجميع صفاته تعالىٰ كما انّ رحمته العامة تدل على حياته وقدرته و....

﴿الرَّحْمٰن الرَّحِيم﴾[3]

بعد اجماع المسلمين واتفاق المفسرين على انّ «البسملة» جزء من سورة الحمد، فهذه الآية «الرحمن الرحيم» هي الآية الثانية من الآيات المكررة في للقرآن.

فهي جائت لبيان أوصاف الله تعالىٰ في ضمن بعض الأوصاف الأُخرى نحو «ربّ العالمين» و «مالك يوم‌الدين» بخلاف ما في البسملة كما قلت في سبب تكرارها.

ثمّ لا يبعد ان نقول بأنّ الله تعالىٰ قد اشار الى رحمته الواسعة قبل التكلم عن يوم‌القيمة، فهو تعالى «رحمن ورحيم» قبل ان يكون «مالك يوم‌الدين».

﴿الـم﴾

الحروف المقطعة من فواتح السور في القرآن من المتشابهات القرآنية، فهي وان كان المفسرون قد اتعبوا انفسهم في تفسيرها وصنفوا كتبا في هذا الموضوع ولكنّها من الأسرار

١ـ بحارالأنوار، ج ٦، ص ٢١٩.

٢ـ سورة النمل، آية ٣٠.

٣ـ سورة الحمد، آية ٢.

التي لا يعلمها الّا الله تعالى ورسوله ﷺ فهي من الرموز التي كانت بينهما.

ومع هذا قضية التكرار في هذه الحروف أيضاً من العلوم التي لا يعلم تفسيرها ولا تأويلها الّا الله ورسوله ولا ينبغي الخوض في موضوع لا يمكن أن نقول فيه شيئاً الّا على سبيل الاحتمال.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [1].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [2].

الآية الأُولىٰ اشارت الى المتقين ﴿ذلك الكتاب لاريب فيه هدىً للمتقين﴾ والثانية اشارت الى المحسنين «هدى ورحمة للمحسنين».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [3].

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [4].

فانّ الحكم شامل لجميع الكفار في آية البقرة، وذلك بملاحظة الاطلاق في ﴿انّ الذين كفروا﴾ في الأُولىٰ.

ولكن الحكم يختص ببعض الكفار في آية يس بملاحظة قوله تعالى في ما قبلها ﴿لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لايؤمنون﴾ فبعض منهم يتبعون الذكر و يخشون الرحمن بالغيب.

فقال الطبرسي في شأن نزول آية البقرة:

«قيل نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته قتلوا يوم بدر... وقيل نزلت في قوم

١ـ سورة البقرة، آية ٥.

٢ـ سورة لقمان، آية ٥.

٣ـ سورة البقرة، آية ٦.

٤ـ سورة يس، آية ١٠.

باعيانهم من احبار اليهود ممن كفر بالنبيّ عناداً وكتم امره حسدا عن ابن‌عباس، وقيل نزلت في أهل الختم والطبع الذين علم‌الله انهم لا يؤمنون عن أبي‌على الجبائي، وقيل نزلت في مشركى العرب عن الأصم، وقيل هي عامة في جميع الكفار... وأختار الشّيخ أبوجعفر قدس‌الله روحه ان يكون على الاختصاص وتجويز كلّ واحد من الأقوال الآخر وهذا أظهر وأسبق الى الفهم» [1].

وقال صاحب الميزان في تفسير الآية الأُولى:

«وأيضاً هذا التعبير انّما وقع في سورة يس وهي مكية، وفي هذه السورة وهي سورة البقرة اوّل سورة نزلت في المدينة، نزلت ولم تقع غزوة بدربعد، فالاشبه ان يكون المراد من الذين كفروا ههنا وفي سائر الموارد من كلامه تعالى: كفار مكّة في اوّل البعثة الّا ان تقوم قرينة على خلافه» [2].

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [3].

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [4].

قال الطبرسي في تفسير الآية الأُولى:

«اذا لقوا الذين آمنوا يعني المنافقين اذا رأوا المؤمنين قالوا آمنّا... وقيل هم اليهود» [5]

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٩٣.

٢ـ تفسير الميزان، ج ١، ص ٥٥.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٤.

٤ـ سورة البقرة، آية ٧٦.

٥ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١، ص ١٠٧.

ولكن الأوّل مطابق لسياق الآية كما ترىٰ.

وقال في تفسير الآية الثانية:

«روى عن أبي جعفر الباقرعليه السلام انّه قال: كانوا قوماً من اليهود وليسوا من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمّدصلى الله عليه وآله فنها هم كبرائهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمّدصلى الله عليه وآله فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت هذه الآية. قال مجاهد نزلت في بنى قريضة لما قال لهم النبيصلى الله عليه وآله: يا اخوة القردة والخنازير، قالوا من أخبر محمّدصلى الله عليه وآله بهذا؟ ما خرج الّا منكم، وقال السّدى: هؤلاء ناس من اليهود، آمنوا ثمّ نافقوا فكانوا يحدّثون المؤمنين من العرب بما عذب به اسلافهم، فقال بعضهم لبعض:

اتحدّثونهم بما فتح‌الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن أكرم على الله منكم» [1].

فقد نقلنا هذا بتفصيله حتّى يعلم كم من فرق بين الآيتين وما يقول المفسرون في سبب نزولهما.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [2].

﴿... صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [3].

الآية الأُولى وصف للمنافقين فذهب‌الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايُبصرون.

والآية الثانية قد وصفت الكفار فهم كمثل الذي ينفق بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً.

﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم

١ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١، ص ٢٧٢.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٨.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٧١.

مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (١)

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (٢).

انّ الضمير في «مثله» يرجع الى القرآن كلّه ولا يمكن ان يرجع الى السورة التي جائت في ضمنها الآية، لأنّه سيكون التحدى حينئذ لغواً، بل مستهجناً وذلك مثل انّ نـقول: انّ كنتم في ريب من سورة الحمد، فأتوا بسورة من مثل البقرة.

«من» في «من مثله» للتبعيض ولما كانت البقرة سورة مهمّة في القرآن وهي اوّل سورة نزلت بالمدينة وسورة ثانية على الترتيب الفعلى التي رتبها رسـول‌الله ﷺ فـي حـياته المباركة، جائت الآية بـ«فأتوا بسورة من مثله» حتّى يعلم انّ التحدى لم يكن منحصراً في البقرة بل يعم جميع السور القرآنية.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (٣).

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ (٤).

الآية الأُولى تصف الفاسقين المضلّين، وانّهم الخاسرون في يوم‌القيامة، والآية الثانية بعد ان ذكرت فيها السعداء وأحوالهم والأوصاف التي بها يستحقون الجنة، تبعها الله تعالى بذكر الاشقياء وأحوالهم الدنيئة واستحقاقهم النّار.

١ـ سورة البقرة، آية ٢٣.

٢ـ سورة يونس، آية ٣٨.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٧.

٤ـ سورة رعد، آية ٢٥.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ (٢).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٣).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ (٤).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ (٥).

﴿... فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٦).

هذه الآيات كلّها قد جاءت في سياق بيان قصة رفض سجود الشيطان لآدم عليه السلام وكلّما تكرر هذا المقطع من القصة يأتى بأُمور جديدة لم تذكر من قبل.

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

١ـ سورة البقرة، آية ٣٤.

٢ـ سورة الأعراف، آية ١١.

٣ـ سورة الاسراء، آية ٦١.

٤ـ سورة كهف، آية ٥٠.

٥ـ سورة طه، آية ١١٦.

٦ـ سورة ص، آيات ٧٢ الى ٧٤.

هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [1].

﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَاتَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [2].

لفظة «اسكن» في البقرة بمعنى الاقامة وهي تستدعي زماناً ممتداً فيلزم عطف «كلا» هنا بالواو، أي أجمع بين الإقامة والأكل، فلو جاءت الآية بالفاء، لوجب تأخير الأكل الى الفراغ من الإقامة لأنّ الفاء للترتيب والتعقيب.

امّا الّذي في الأعراف فهو بمعنى «السكنى» أي اتخذ موضعاً للسكنى لأنّ الله تعالى قد أخرج ابليس من الجنة ثمّ أمر آدم وحوا بان يتخذها مسكنا لهما، فكان العطف بالفاء أُولىٰ وأنصب، لأنّ الاتخاذ لا يستدعى زماناً ولا يمكن ان يجمع مع الأكل، بل لابدّ ان يـقع الأكل بعد اتخاذها مسكناً لهما.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَـدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [3].

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [4].

قال الطبرسي في تفسيره مجمع‌البيان:

«اختلف في تكرار الهبوط فقيل: الهبوط الأوّل من الجنة الى السماء، وهذا الهـبوط (الثاني) من السماء الى الأرض عن أبي على، وقيل انّما كرر للتأكيد، وقـيل انـما كـرر

١ـ سورة البقرة، آية ٣٥.

٢ـ سورة الأعراف، آية ١٩.

٣ـ سورة البقرة، آية ٣٦.

٤ـ سورة البقرة، آية ٣٨.

لإختلاف الحالين فقد بيّن بقوله «وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ» انّ الاهباط انّما كان في حال عداوة بعضهم لبعض، وبين قوله «قلنا اهبطو منها جميعاً، فـأما يـأ تينّكم مـنّى هدى» انّ الأهباط انما كان للابتلاء والتكليف كما يـقال: اذهب سـالماً مـعافى، اذهب مصاحبا، وان كان الذهاب واحدًا لأختلاف الحالين [1].

وقد ضعّف الرازي في تفسيره الوجه الأوّل من هذه الوجوه وقال:

«قال الجبائي الهبوط الأوّل غيرالثاني، فالأوّل من الجنّة الى سماءالدنيا، والثاني من سماء الدنيا الى الأرض، وهذا ضعيفٌ من وجهين، أحدهما: انّه قال فـي الهـبوط الأوّل «ولكم في الأرض مستقرٌ» فلو كان الاستقرار في الأرض انّما حصل بالهبوط الثاني، لكان ذكر قوله «ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاع» عقيب الهبوط الثاني اولىٰ. «وثانيهما: انّه قال في الهبوط الثاني «اهبطوا منها» والضمير في «منها» عائد الى الجنّة وذلك يقتضى كـون الهبوط الثاني من الجنّة» [2].

الوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها الطبرسي وهي التأ كيد، فهو يستلزم التكرار في القرآن مع انّ السياق لاٰ يساعده فلا نقول به.

وامّا الوجه الثالث من هذه الوجوه وهو اختلاف الحالين، ضعيف أيضاً، لأنّ عـداوة بعض لبعض لا تتصور الّا في ضمن التكاليف والابتلأات بها فهما حال واحدٌ.

والفخر الرازي بعد تضعيفه للوجه الأوّل وبيان وجه الثاني قال:

«وعندى فيه وجه ثالث أقوىٰ من هذين الوجهين وهو انّ آدم وحوا لما اتيا بالزلة، امرا بالهبوط، فتابا بعدالأمر بالهبوط ووقع في قلبهما انّ الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة فبعد

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٧٩.

٢ـ تفسير الكبير، ج ٣، ص ٢٩.

التوبة وجب انّ لا يبقى الأمر بالهبوط. فاعادالله تعالى الأمر بالهبوط مرّة ثانية ليعلما انّ الأمر بالهبوط ما كان جزاءً على ارتكاب الزلة حتّى يزول بزوالها، بل الأمر بالهبوط باق بعد التوبة لأنّ الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدّم في قوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفه﴾»[1].

وقال الطباطبائي في تفسيره الميزان:

«وانت اذا تدبرت هذه القصة (قصة الجنّة) وخاصة ماوقع في سورة طـه، وجدت انّ المستفاد منها انّ جريان القصة أوجب قضائين منه تعالى في آدم وذريته، فأكل الشجرة أوجب حكمه تعالى وقضائه بالهبوط والاستقرار في الأرض والحياة فيها، تلك الحياة الشقية التي حذرا منها حين نهيا عن اقتراب الشجرة هذه.

وانّ التوبة ثانياً: تعقب قضاءً وحكماً ثانياً منه تعالىٰ باكرام آدم وذريته بالهداية الى العبودية، فالمقضى أوّلًا كان نفس الحياة الأرضية، ثمّ بالتوبة طيبالله تلك الحياة بأن ركب عليها الهداية الى العبودية، فتألف الحياة من حياة أرضية وحياة سماوية»[2].

انّ الّذي كنّا بصدده هو إثبات وجود معاني متعددة للآيات القرآنية المتماثلة وقد تبيّن ذلك من آراء المفسرين.

نعم لا يمكننا أن نقبل كلام العلامة الطباطبائي لأنّ الله تعالىٰ خلق آدم ابتدءً للحياة الأرضية نفسها، ليهديه ويبتليه وليس ذلك من نتائج توبة آدمعليه السلام ويؤيد هذا قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

١ـ تفسير الكبير، ج ٣، ص ٢٩.

٢ـ تفسير الميزان، ج ١، ص ١٣٦.

٣ـ سورة البقرة، آية ٣٠.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (٢).

الآيتان جائتا لبيان قضايا جديدة لم تذكر فيما مضىٰ.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (٣).

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٤).

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٥).

نقل المفسرون في سبب تكرار هذه الآيات وجوه.

فقال الرازي في تفسيره للآية الأُولىٰ:

«أعلم انّه تعالىٰ أعاد هذاالكلام مرّة أُخرىٰ توكيداً للحجّة عليهم وتحذيراً من ترك اتباع محمّد صلى الله عليه [وآله] وسلم ثمّ قرنه بالوعيد» (٦).

١ـ سورة البقرة، آية ٣٨.

٢ـ سورة طـه، آية ١٢٣.

٣ـ سورة البقرة، آية ٤٠.

٤ـ سورة البقرة، آية ٤٧.

٥ـ سورة البقرة، آية ١٢٢.

٦ـ تفسير الكبير، ج ١، ص ٥٦.

وقال الطبرسي:

«فان قيل فما الفائدة في تكرار قوله:«يا بَنِي اسْرائِيل اذْكُروا نِعْمَتِي الّتِي انْعَمْتُ عَلَيكُمْ»؟ قلنا: لأنّه لما كانت نعم‌الله هي الأصل فيما يجب شكره، احتيج الى تأكيدها، كما يقول القائل، اذهب اذهب، عجّل عجّل، وقيل أيضاً انّ التذكير الاوّل ورد مجملًا والثاني ورد مفصلًا، وقيل انّه في الأوّل ذكّرهم نعمة على أنفسهم وفي الثاني ذكّرهم نعمة على آبائهم» (١).

وقال في تفسير الآية الثالثة:

«قيل في سبب تكرارها ثلاثة أقوال، أحدها: انّ نعم الله سبحانه لما كانت اصول كلّ نعمة كرّر التذكير بها مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم من شكرها، ليقبلوا الى طاعة ربّهم المظاهر نعمه عليهم، وثانيها: انّه لما باعد بين الكلامين حُسن التنبيه والتذكير والإعادة والتكرير ابلاغاً للحجة وتأكيداً للتذكرة.

ثالثها: انّه سبحانه لما ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله في النبوّة والبشارة بهما، ذكرهم نعمة عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدد النعم في سورة الرحمن وكرر قوله «فبأى آلاء ربّكما تكذبان» فكل تفريع جاء بعد تفريع، فإنّما هو موصول بتذكير نعمة غير الاولى، والثالثة غير الثانية الى آخر السورة، وكذلك الوعيد في سورة المرسلات، بقوله «ويل يومئذ للمكذّبين» انّما هو بعد الدلالة على اعمال تعظم التكذيب بما تدعو إليه الأدلة» (٢).

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

١ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١، ص ١٩٩.

٢ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١، ص ٣٧١.

٣ـ سورة البقرة، آية ٤٢.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

الآية في البقرة نهىٰ فيها عن التباس الحقّ بالباطل وكتمان الحق والآية في آل عمران تخبر عن نقض بني‌اسرائيل ميثاقهم وخلطهم الحقّ بالباطل وكتمانهم الحقّ.

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ (٢).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (٣).

للصبر معان عديدة بحسب مورده وله دور فعال في انبعاث النّاس وتحريكهم نحو القوس الصعودي وارتقاء المدارج العالية الاخلاقية والإيصال الى المطلوب، ولهذا السبب فقد تكرر في القرآن الكريم أكثر من ستين مرّة.

امّا الصلاة فهي ركن ركين، وعمل عبادى رفيع لا يدانيه عمل، فهي أوّل فعل يسئل عنه يوم‌القيامة من بين الأفعال، وتكرارها في القرآن الكريم في مواضع متعددة وبعبارات مختلفة له وجه وجيه.

مع انّ الآية الأُولى قد جاءت خلال آيات تتحدّث عن بنى‌اسرائيل والثانية خطاب للمؤمنين ونزلت بعد امره تعالى بالذكر والشكر له.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤).

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ

١ـ سورة آل عمران، آية ٧١.

٢ـ سورة البقرة، آية ٤٥.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٥٣.

٤ـ سورة البقرة، آية ٤٨.

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[1].

قال رشيد رضا في تفسير الآية الثانية:

«وقد تقدّم في تفسير الآيات الأُولى ما يغني عن الإطالة هنا وليس في هذه زيادة في المعنى الّا أن التعبير قد اختلف تفننا، ففي الآية الأُولىٰ تقدّم ذكر الشفاعة منفية القبول، وتأخر ذكر العدل غير مأخوذ، وفي هذه الآية نفي قبول العدل اوّلًا ثمّ نفي نفع الشفاعة ثانياً، وكأنّه يشير بهذا التفنن الى انّه لا فرق بين الفداء والشفاعة في الجواز والمنع فمن منع العوض في الآخر لزمه منع الشفاعة، فان جوزها جوزه»[2].

ولكن قال الرازي في وجه تكرار الآيتين بملاحظة التقدم والتأخر في بعض كلماتها نذكره مفصلًا لما فيه من الفائدة.

«أن الله تعالى قدم في هذه الآية قبول الشفاعة على أخذ الفدية وذكر هذه الآية في هذه السورة بعد العشرين والمائة وقدم قبول الفدية على ذكر الشفاعة فما الحكمة فيه؟ الجواب انّ من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علوّ النفس فإنّه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين: ولنذكر الآن تفسير الألفاظ: أمّا قوله تعالى «لا تجزى نفس عن نفس شيئاً» فقال القفال: الأصل في جزى هذا عند أهل اللغة قضى ومنه الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأبي بردة بن يسار «تجزيك ولا تجزي احداً بعدك» هكذا يرويه أهل العربية «تجزيك» بفتح التاء غير مهموز أي تقضي عن أضحيتك وتنوب، ومعنى الآية ان يوم القيامة لا تنوب نفس عن نفس شيئاً ولا تحمل عنها شيئاً مما اصابها

١ـ سورة البقرة، آية ١٢٣.

٢ـ تفسير المنار، ج ١، ص ٤٥١.

بل يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه ومعنى هذه النيابة أن طاعة المطيع لا تقضي على العاصي ما كان واجباً عليه وقد تقع هذه النيابة في الدنيا كالرجل يقضي عن قريبه وصديقه دينه ويتحمل عنه، فأما يوم‌القيامة فإن قضاء الحقوق إنّما يقع فيه من الحسنات. روى أبوهريرة قال: قال‌ﷺ: «رحم‌الله عبداً كان عنده لأخيه مظلمة في عرض أو مال أو جاء فاستحله قبل أن يؤخذ منه وليس ثمّ دينار ولا درهم فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته وإن لم يكن له حسنات حمل من سيئاته» قال صاحب الكشاف و«شيئاً» مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلًا من الجزاء كقوله تعالى «ولا يظلمون شيئاً» ومن قرا «لايجزى» من أجزأ عنه إذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته إلّا بمعنى شيئاً من الإجزاء تقديره تجزي فيه ومعنى التنكير أن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس غيرها شيئاً من الأشياء وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع، أما قوله تعالى «ولا يقبل منها شفاعة» فالشفاعة أن يستوهب أحد لأحد شيئاً ويطلب له حاجة وأصلها من الشفع الذي هو ضد الوتر، كان صاحب الحاجة كان فرداً فصار الشفيع له شفعاً أي صار ازواجاً. وأعلم ان الضمير في قوله «ولا يقبل منها» راجع إلى النفس الثانية العاصية وهي التي لا يؤخذ منها عدل، ومعنى لا يقبل منها شفاعة إنّها إن جاءت بشفاعة شفيع لا يقبل منها، ويجوز ان يرجع إلى النفس الأولى، على انّها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئاً. امّا قوله تعالى «ولا يؤخذ منها عدل» أي فدية، وأصل الكلمة من معادلة الشيء تقول: ما أعدل بفلان أحداً، أي لا أرى له نظيراً قال تعالى «ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون» ونظيره هذه الآية قوله تعالى «إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم‌القيامة ما تقبل منهم» وقال تعالى «إنّ الذين كفروا وماتواوهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملءالأرض ذهباً ولو افتدى به» وقال «وإن تعدل كلّ عدل لا يؤخذ

منها»[1].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[2].

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[3].

﴿... إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[4].

الذبح نوع من القتل، وبما انّ «يذبحون» في سورة البقرة كان تفسيراً لما قبله «العذاب» فلايحتاج الى «الواو» ولكن هذه اللفظة في سورة إبراهيم هي نوع آخر من العذاب، فالعذاب على شكلين امّا سوء العذاب وامّا الذبح، فيحتاج الى الواو.

وامّا علة تكرار هذه الآيات بعد ما فيها من التغاير، فهي لبيان جزئيات أُخر من قصة موسى عليه السلام.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[5].

﴿... وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ

١ـ تفسير الكبير، ج ٣، ص ٥٩.

٢ـ سورة البقرة، آية ٤٩.

٣ـ سورة الأعراف، آية ١٤١.

٤ـ سورة إبراهيم، آية ٦.

٥ـ سورة البقرة، آية ٥٧.

مَارَزَقْنَـٰكُمْ وَمَاظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١).

الآ يتان جائتا في ضمن بيان وجوه مختلفة من القصة، مع انّ في الآية الثانية أخبار عن نعم جديدة منحها الله تعالى لبني اسرائيل، فالله تعالىٰ فجّرالعيون المتعددة عند كظّهم العطش وأصابهم الظمأ حينما ساروا في طريقهم الى بيت المقدّس.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (٢).

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣).

في هذه الآيات:

١ ـ عطف «كلوا» بالفاء في سورة البقرة و بالواو و في سورة الأعراف، لأنّ الدخول «ادخلوا» سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، بخلاف السكون «اسكنوا» فانّه يستدعى زمانا فيعطف بالواو.

٢ ـ جمعت الخطيئة في البقرة بـ«خطايا» وفي الأعراف بـ«خطيئات» فالخطايا جمع مكسر موضوعة للكثير، بينما خطيئات جمع سالم، فلما اخبرالله تعالى عن نفسه «واذقلنا» ذكر ما يليق بكرمه واتى بلفظ يبين سعة رحمته ومغفرته، ولكن لما لم يذكر الفاعل «واذ قيل» وان كان الفاعل نفسه تعالى أتى بالجمع السالم على الأصل وانسجاماً

١ـ سورة الأعراف، آية ١٦٠.

٢ـ سورة البقرة، آيتى ٥٨ و ٥٩.

٣ـ سورة الأعراف، آيتى ١٦١ و ١٦٢.

مع القواعد النحوية.

٣ ـ ذكر كلمه «رغداً» في البقرة بخلاف الأعراف فانّه لم يذكر فيها وذلك لما اسندالله تعالى الفعل الى نفسه في البقرة وبماانّه منعم كريم،فينبغي ان يمنح نعماً كثيرةً فجاءت لفظة رغداً.

٤ ـ تقديم «حطه» على الدخول «ادخلوا الباب» في الأعراف وتأخيرها عنه في البقرة، لبيان لزوم الاستغفار قبل العمل وبعده، فانّهم مكلفون بأنّ يطهرّوا قلوبهم من الذنوب قبل دخولهم بيت المقدس وبعده... الى غيرذلك من الاختلافات في الحروف والكلمات في هذه الآيات، نعم جاء تكرار هذه المفاهيم والمعاني في هذه الآيات من أجل انارة زوايا جديدة في قصة موسى عليه السلام مع قومه.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١).

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

الآيتان تسلطان الضوء على جوانب أُخرى من القصة.

﴿... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا

١ـ سورة البقرة، آية ٦٠.

٢ـ سورة الأعراف، آية ١٦٠.

عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [2].

﴿... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [3].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [4].

انّما جاء التكرار في هذه الآيات من أجل بيان الأفعال المختلفة لبني اسرائيل في ضمن قصتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [5].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [6].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ

١ـ سورة البقرة، آية ٦١.

٢ـ سورة آل عمران، آية ٢١.

٣ـ سورة البقرة، آية ٦١.

٤ـ سورة النساء، آية ١٥٥.

٥ـ سورة البقرة، آية ٦٢.

٦ـ سورة المائدة، آية ٦٩.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [1].

لاحظنا موضعين للتكرار في هذه الآيات، الاوّل تكرار الإيمان في الآ يتين الاوليين، فالمراد بالذين آمنوا في صدر الآية الذين يؤمنون بالله ايماناً ظاهرياً والمراد به في خلال الآية الإيمان الواقعي.

والموضع الثاني تكرار مفهوم واحد في الآيات، فذكر في آية الحج التمايز والانفصال بين اليهود والصابئين والنصارى والمجوس يوم‌القيمة فهى يوم‌الفصل ويوم افتراق الحق من الباطل فالله تعالى فصل الذين آمنوا من الخمسة الذين لا يؤمنون وهم اليهود والصابئين والنصارىٰ والمجوس والمشركين.

وامّا الآيتان الاوليتان فالآية الثانية منهما نزلت بعد آية:

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [2].

قال ابن عباس في سبب نزولها: انّه جاء جماعة من اليهود الى رسول‌الله ﷺ فقالوا: الست تقرّ بانّ التوراة من عندالله؟ قال بلى. قالوا: فانّا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها، فنزلت الآية.

والآية التالية عليها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟...﴾ تقرر هذه الحقيقة وان الأُمم كلها لا تنجوا الّا اذا آمنت بالله وبيوم‌الحساب وعملت عملا صالحاً.

والآية الاولى قيل نزلت في سلمان الفارسى وقصته، قال الطبرى في تفسيره للآية

١ـ سورة الحج، آية ١٧.

٢ـ سورة المائدة، آية ٦٨.

قصة جميلة نذكرها مفصلاً.

«حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط بن نصر، عن السديّ:«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا» الآية، قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي، وكان سلمان من جُنْديسابور، وكان من أشرافهم، وكان ابن الملك صديقاً له مواخياً، لا يقضي واحد منهم أمراً دون صاحبه، وكانا يركبان إلى‌الصيد جميعاً. فبينما هما في الصيد إذ رفع لهما بيت من عَبَاء، فأتياه فإذا هما فيه برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه وهو يبكي، فسألاه ما هذا، فقال: الذي يريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما، فإن كنتما تريدان أن تعلما ما فيه فانزلا حتى أعلمكما، فنزلا إليه، فقال لهما: هذا كتاب جاء من عندالله، أمر فيه بطاعته، ونهي عن معصيته، فيه: أن لا تزني، ولا تسرق، ولا تأخذ أموال النّاس بالباطل. فقصّ عليهما ما فيه، وهو الإنجيل الذي أنزل‌الله على عيسى. فوقع في قلوبهما وتابعاه فأسلما، وقال لهما: إن ذبيحة قومكما عليكما حرام، فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه، حتّى كان عيد للملك، فجعل طعاماً، ثم جمع النّاس والأشراف، وأرسل إلى ابن الملك فدعاه إلى صنيعه ليأكل مع‌النّاس، فأبى الفتى وقال: إني عنك مشغول، فكل أنت وأصحابك، فلما أكثر عليه من الرسل، أخبرهم أنّه لا يأكل من طعامهم، فبعث الملك إلى ابنه، فدعاه وقال: ما أمرك هذا؟ قال: إنا لا نأكل من ذبائحكم، إنّكم كفار ليس تحلّ ذبائحكم، فقال له الملك: من أمرك بهذا؟ فأخبره أن الراهب أمره بذلك، فدعا الراهب فقال: ماذا يقول ابني؟ قال: صدق ابنك، قال له: لولا أن الدم فينا عظيم لقتلتك، ولكن اخرج من أرضنا! فأجّله أجلًا. فقال سلمان: فقمنا نبكي عليه، فقال لهما: إن كنتما صادقين، فإنا في بيعة بالموصل مع ستين رجلًا نعبدالله فيها، فأتونا فيها. فخرج الراهب، وبقي سلمان وابن الملك؛ فجعل يقول لابن الملك: انطلق بنا، وابن الملك يقول: نعم، وجعل ابن الملك يبيع متاعه يريد الجهاز. فلما أبطأ على سلمان، خرج سلمان حتّى أتاهم، فنزل على صاحبه

وهو ربّ البيعة، وكان أهل تلك البيعة من أفضل الرهبان، فكان سلمان معهم يجتهد في العبادة، ويتعب نفسه، فقال له الشيخ: إنّك غلام حدث تتكلف من العبادة مالا تطيق، وأنا خائف أن تفتر وتعجز، فارفق بنفسك وخفف عليها فقال له سلمان: أرأيت الذي تأمرني به أهو أفضل، أو الذي أصنع؟ قال: بل الذي تصنع؟ قال: فخلّ عني. ثمّ إن صاحب البيعة دعاه فقال: أتعلم أن هذه البيعة لي، وأنا أحقّ النّاس بها، ولو شئت أن أخرج هؤلاء منها لفعلت؟ ولكني رجل أضعف عن عبادة هؤلاء، وأنا أريد أن أتحوّل من هذه البيعة إلى بيعة أخرى هم أهون عبادة من هؤلاء، فإن شئت أن تقيم ههنا فأقم، وإن شئت أن تنطلق معي فانطلق. قال له سلمان: أيّ البيعتين أفضل أهلًا؟ قال: هذه. قال سلمان: فأنا أكون في هذه. فأقام سلمان بها وأوصى صاحب البيعة عالم البيعة بسلمان، فكان سلمان يتعبد معهم، ثمّ إن الشيخ العالم أراد أن يأتي بيت‌المقدس، فقال لسلمان: إن أردت أن تنطلق معي فانطلق، وإن شئت أن تقيم فأقم. فقال له سلمان: أيهما أفضل أنطلق معك أم أقيم؟ قال: لا بل تنطلق معي. فانطلق معه فمرّوا بمقعد على ظهر الطريق ملقى، فلما رآهما نادى: يا سيدالرهبان ارحمني يرحمك‌الله، فلم يكلمه، ولم ينظر إليه، وانطلقا حتّى أتيا بيت‌المقدس، فقال الشيخ لسلمان: أخرج فاطلب العلم فإنّه يحضر هذا المسجد علماء أهل الأرض. فخرج سلمان يسمع منهم، فرجع يوماً حزيناً، فقال له الشيخ: مالك يا سلمان؟ قال: أرى الخير كلّه قد ذهب به من كان قبلنا من الأنبياء وأتباعهم، فقال له الشيخ: ياسلمان لا تحزن، فإنّه قد بقي نبيّ ليس من نبيّ بأفضل تبعاً منه وهذا زمانه الذي يخرج فيه، ولا أراني أدركه، وأما أنت فشاب لعلك أن تدركه، وهو يخرج في أرض‌العرب، فإن أدركته فآمن به واتبعه! فقال له سلمان: فأخبرني عن علامته بشيء. قال: نعم، هو مختوم في ظهره بخاتم النبوّة، وهو يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. ثمّ رجعا حتّى بلغا مكان المقعد، فناداهما فقال: يا سيدالرهبان ارحمني يرحمك‌الله، فعطف إليه حماره، فأخذ بيده فرفعه، فضرب به الأرض

ودعا له، وقال: قم بإذن الله، فقام صحيحاً يشتدّ، فجعل سلمان يتعجب وهو ينظر إليه يشتدّ. وسار الراهب فتغيب عن سلمان ولا يعلم سلمان. ثمّ إن سلمان فزع فطلب الراهب، فلقيه رجلان من العرب من كلب فسألهما: هل رأيتما الراهب؟ فأناخ أحدهما راحلته، قال: نعم راعي الصِّرْمة هذا، فحمله فانطلق به إلى المدينة. قال سلمان: فأصابني من الحزن شيء لم يصبني مثله قط. فاشترته امرأة من جهينة فكان يرعى عليها هو وغلام لها يتراوحان الغنم هذا يوماً وهذا يوماً، فكان سلمان يجمع الدراهم ينتظر خروج محمّد ﷺ فبينا هو يوماً يرعى، إذ أتاه صاحبه الذي يعقبه، فقال: أشعرت أنّه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم أنّه نبيّ؟ فقال له سلمان: أقم في الغنم حتّى آتيك. فهبط سلمان إلى المدينة، فنظر إلى النبي ﷺ ودار حوله، فلما رآه النبي ﷺ عرف ما يريد، فأرسل ثوبه، حتّى خرج خاتمه، فلما رآه أتاه وكلمه، ثمّ انطلق، فاشترى بدينار ببعضه شاة وببعضه خبزاً، ثمّ أتاه به، فقال: «ما هذا؟» قال سلمان: هذه صدقة قال: «لاحاجة لي بها فأخْرِجْها فليأْكُلْها المسلمون». ثمّ انطلق فاشترى بدينار آخر خبزاً ولحماً، فأتى به النبيّ ﷺ، فقال: «ما هذا؟» قال: هذه هدية، قال: «فاقْعُدْ» فقعد فأكلا جميعاً منها. فبينا هو يحدّثه إذ ذكر أصحابه، فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنّك ستبعث نبياً؛ فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبيّ الله ﷺ: «يا سَلْمانُ هُمْ مِنْ أهْلِ النّارِ». فاشتدّ ذلك على سلمان، وقد كان قال له سلمان: لو أدركوك صدّقوك واتبعوك، فأنزل الله هذه الآية: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ».

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَافِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)(٢).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٣).

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ (٤).

مضافاً الى وجود التغاير في الفاظ الآيات فما كُرّر منها انما هو لاجل بـيان بـعض جوانب قصتهم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (٥).

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (٦).

تكرار مفهوم واحد فيها لبيان جوانب مختلفة للقصة الواحدة.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ

١ـ سورة البقرة، آية ٦٣.

٢ـ تفسير جامع البيان، ج ١، ص ٢٥٤.

٣ـ سورة البقرة، آية ٩٣.

٤ـ سورة النساء، آية ١٥٤

٥ـ سورة البقرة، آية ٦٥.

٦ـ سورة الأعراف، آية ١٦٦.

٧ـ سورة البقرة، آية ٨٠.

يَفْتَرُونَ﴾ (١).

ان اليهود سمّوا انفسهم ابناءالله ويعتقدون بأنّهم شعبالله المختار وسائر النّاس خدم لهم، ويزعمون بأنّ لهم حصانة خاصة فلا يعاقبون يومالقيمة الآ أياماً قليلة معدودة ويتمتعوا بعدها بالجنة التي هيأها الله تعالى لهم فحسب دون غيرهم. فالله تعالىٰ في الآية الأُولىٰ قد أشار الى علّة تحريفهم لكلامالله ونفاقهم وانّهم اميّون وانّهم ينسبون كلامهم الى الله تعالىٰ وانّهم المغرورون وكانوا يدعون بانّ لهم فضلًا على سائرالنّاس.

وفي الآية الثانية أشار الله تعالىٰ الى علة اعراضهم عن الحق المتمثل بالحكم الثابت للزناة وأشارالله تعالىٰ الى السبب الذي دعاهم للعصيان وهو الممثل في الطبيعة العنصرية الحاكمة على سلوكهم.

قال الطبرسى في تفسيره:

«قال ابن عباس ومجاهد: قدم رسولالله ﷺ المدينة واليهود تزعم ان مدّة الدنيا سبعة الآف سنة وانّما يعذب بكل الف سنة يوماً واحداً ثمّ ينقطع العذاب فأنزل هذه الآية، وقال أبوالعالية وعكرمة وقتادة: هي أربعون يوماً لأنّها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل» (٢).

وفي علة الأفراد والجمع في لفظة «معدودة» يمكن ان يقال جاءت الآية في سورة البقرة على نحو الإختصار، فالمناسب ان يأتي بهذه اللفظة مفردة، وجائت الآية في سورة آلعمران على نحو التفصيل فالمناسب ان يأتي بهذه اللفظة بصيغة الجمع.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾ (٣).

١ـ سورة آل عمران، آية ٢٤.

٢ـ تفسير مجمعالبيان، ج ١، ص ٢٨٠.

٣ـ سورة البقرة، آيتى ٩٤ و ٩٥.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (١).

ففي سورة البقرة كان ا دعاء اليهود بأنّهم سيدخلون الجنّة قطعاً وانّها لهم لا لغيرهم فاقتضى انّ يكون الرّد بلفظ مؤكّد فجاء بلفظة «لن» وامّا في سورة الجمعة زعم هؤلاء القوم بانّ الجنة تختص بهم من دون اعتقادهم بذلك فجاءت الآية لنفي زعمهم بلفظة «لا».

ووجه آخر، انّ اليهود يدعون دخولهم الجنة في الآخرة فجاء نفي اعتقادهم بلفظة «لن» وهي من الحروف التي تفيد النفي الابدى، ولكن في سورةالجمعة يدعون أنهم اولياءالله من دون النّاس في حياتهم الدنيوية فجاء النفي بلفظة «لا» التي تدلّ على نفي الحال.

وامّا علّة تكرار هذه الآيات فهو لبيان وقاحة زعم اليهود بانّهم امّة فوق الأمم وانّهم خلقوا من عنصر وحيد في نوعه وهم ابناءالله وخاصته فردّاً على هذه المزاعم الفاسدة والاعتقادات الواهية في الأزمنة المتمادية جائت الآيتان في سورة البقرة وهي على حسب النزول سورة ٨٧ من القرآن وسورة الجمعة وهي على الترتيب ١٠٩.

﴿مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٢).

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٣).

الآيتان تكشفان عن حِقد أهل الكتاب لجماعة المؤمنين، وتكشفان عن شمول الرحمة الالهية لهم وان رحمته تختص لمن يشاء من عباده، والنعم الالهية من النبوة تختص من

١ـ سورة الجمعة، آية ٦.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٠٥.

٣ـ سورة آل عمران، آية ٧٤.

عباده من يراه جديراً بها، ولكن نزولهما لسببين وهما:

روى ان بعض الصحابة يطلبون من رسول‌الله ﷺ عند تلاوة الآيات القرآنية أن يتمهّل في حديثه حتّى يستوعبوا ما يقوله وكانوا يستعملون لذلك لفظة «راعنا» اي امهلنا، واليهود قد حَرّفوا هذه العبارة ويستعملونها بمعنى «اجعلنا رعناء» ويجعلونها وسيلة للسخريه، فنزلت الآية الأُولىٰ وكشف‌الله تعالىٰ عن أساس هذاالعمل وهو حقدهم النفسي الدفين.

وامّا الآية الثانية فقد نزلت عند تواطئ اليهود ضدالإسلام، فبعض منهم تعاهدوا انّ يصبحوا عند رسول‌الله ﷺ ويتظاهروا باعتناق الإسلام، ثمّ عندالمساء يرتدّون عن دينهم ويقولون ما رأينا في هذا النبيّ من صفاته وسلوكه ما يتطابق مع ما في كتبنا. فبهذا تتزعزع عقيدة المسلمين فيه. فقد كشفت آية آل‌عمران عن هذه الخطّة الهدامة.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبۡحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ (۱).

قد نزلت مثل هذه الآية مفهوماً آيات في سورة يونس، ٦٦ ؛ يوسف، ٢١ ؛ الاسراء،١١١ ؛ الكهف، ٤ ؛ مريم ٨٨، ٩١ ، ٩٢ ؛ الأنبياء، ٢٦ ؛ الفرقان، ٢ ؛ القصص، ٩ ؛ الزمر، ٤ ؛ الجن، ٣ وفي غير هذا من الآيات القرآنية قد نفي الله سُبحانه عن نفسه ان يكون له ولد وقد مرّ البحث عن اهمية نفي الشرك وان الشرك ليس بمذهب واعتقاد بل هو تجاوز على الفطرة الالهية التي جبلت على الايمان بالله وحده لا شريك له. بالاضافة الى ما بين هذه الآيات من اختلاف في اسباب نزولها والالفاظ المستعملة فيها.

١ـ سورة البقرة، آية ١١٦.

﴿... وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (١).

قد جاء هذا المفهوم في سورة آل عمران، ٤٧؛ مريم، ٣٥؛ يس، ٨٢؛ غافر، ٦٨ والمراد من الأمر «اذا قضىٰ امراً» وان كان مطلقاً ولكن كلّ امرٍ كان مناسبا لما قبله، ففي آية البقرة المراد منه تكوين السموات والأرض وفي آية آل عمران خلق عيسىٰ عليه السلام من ام لم يمسّها بشر، وقس على هذا بعد ملاحظة سياق هذه الآيات كلها.

﴿... وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢).

﴿... وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (٣).

﴿... وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٤).

فقد منع الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله من اتباع اليهود والنصارى بعد العلم الذي حصل له صلى الله عليه وآله والهدف الاساسى من ذلك، ان يتنبّه الناس كلهم الى عدم وجود تمييزٍ بينهم في اطار القوانين الالهية.

المراد من «الاهواء» في الآية الأُولىٰ ملّة أهل الكتاب التي سميتموها الدين الالهى، والمراد منه في الثانية قولهم عند تغيير القبلة تعصبا لقبلتهم التي هي بيت‌المقدّس، والمراد منه في الثالثة اقتراحهم على النبيّ انّ يأتي بغير هذا القرآن وطمعهم لتبعية الرسول عن أحكامهم المنسوخة.

١ـ سورة البقرة، آية ١١٧.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٢٠.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٤٥.

٤ـ سورة الرعد، آية ٣٧.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [2].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [3].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [4].

شهادة الرسول على جميع الأُمم وبشارته للمهتدين والانذار منه للعاصين هي المهام الاساسية للرسول ﷺ فقد نزلت هذه الآيات في كلّ موضع لبيان الموقف المتشدد من طلبات المعاندين، ففي البقرة طلب الجاهلون منه ﷺ ان يكلمهم الله أو تنزل عليهم آية، وفي الأحزاب جاءت الآية بعد قضيه زواج النبيّ ﷺ بمطلقة «زيد بن حارثة» ردًا للعرف الجاهلي، وفي سورة فاطر جاءت الآية بعد قلق النبيّ ﷺ من عدم ايمان المعاندين الذين هم كالموتى في القبور، وفي الفتح جاءت الآية بعد انتقاد بعض عمّا وقع في الحديبية انتقاداً لاذعاً. فالله تعالى عظّم نبيه وايّد رسوله.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [5].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [6].

١ـ سورة البقرة، آية ١١٩.

٢ـ سورة الأحزاب، آية ٤٥.

٣ـ سورة فاطر، آية ٢٤.

٤ـ سورة الفتح، آية ٨.

٥ـ سورة البقرة، آية ١٢٩.

٦ـ سورة البقرة، آية ١٥١.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [1].

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [2].

انّ العبارتين «يتلوا» «يعلمهم» ليس من التكرار لما من الفرق بين التلاوة والتعليم.

قال صاحب مجمع‌البيان:

«هذا لايعد من التكرار لأنّه خصّ الأوّل بالتلاوة ليعلموا بذلك انّه معجز دال على صدقة ونبوته، وخصّ الثاني بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد وادلته وما يشتمل عليه من أحكام شريعته» [3].

امّا تقدّم التزكية على التعليم في ثلاث من الآيات لاهميتها وتقدم التعليم في الآية الواحدة لمطابقة السير الطبيعي فاذا لم يحصل التعليم لا يمكن انّ تحصل التزكية والتزكية متوفقة على التعليم اولًا.

اما قضية تكرار المفهوم الواحد في أربع آيات، فالآية الأُولى، هو دعاء ابراهيم عليه السلام وابنه وتضرعهما الى ربّ العالمين عند ما رفع إبراهيم القواعد من البيت، والآية الثانية هي أخبارالله سبحانه عن النعمة التي حلّت بالمسلمين ببركة وجود النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله، والآية الثالثة نزلت بعد عدّة آيات كانت تتحدث عن واقعة أُحد للاجابة على الذين تسرب اليأس الى نفوسهم بعد ان مُنى المسلمون بهزيمة ساحقة على ايدي المشركين، والآية الرابعة نزلت بعد الحديث عن توحيدالله تعالىٰ، أخذت في الحديث عن بعثة

١ـ سورة آل عمران، آية ١٦٤.

٢ـ سورة الجمعة، آية ٢.

٣ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١، ص ٣٩٤.

الرسول الأكرم والأهداف المتوخاة منها.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ (١).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢).

اشار في سورة البقرة الى «واد غير ذي ذرع» ببينما ان المراد من «البلد» في سورة إبراهيم وهو بلفظ المعرفة بيت الله الحرام بعد بنائه، فعلى هذا قد اختلف زمن الدعاء وذكرهما ليس بتكرار.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣).

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

قال صاحب الميزان:

«وتكرار الآية مرّتين لكونهم يفرطون في هذه المحاجة التي لاتنفع لحالهم شيئاً وخصوصاً مع علمهم بانّ إبراهيم كان قبل اليهودية والنصرانية» (٥).

هذا الكلام من العلامة بمنزلة قبول التكرار وقد عرفت ما فيه من الإشكال.

قال الطبرسي في وجه تكراره:

١ـ سورة البقرة، آية ١٢٦.

٢ـ سورة إبراهيم، آية ٣٥.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٣٤.

٤ـ سورة البقرة، آية ١٤١.

٥ـ تفسير الميزان، ج ١، ص ٣٠٩.

«قيل في وجه تكراره: انّه عنى بالأوّل إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء، وبالثاني اسلاف اليهود، وقيل انّه اذا اختلف الاوقات والمواطن لم يكن التكرير معيباً» (١).

والذي نراه هوالوجه الثاني فقد جاء في تفسير روض‌الجنان لأبي الفتوح:

«انّه ورد في سبب نزول الآية الأُولىٰ انّ جمع من اليهود يعتقدون انّ يعقوب عندما حضرته الوفاة اوصى بنيه ان يعتقدوا بدينهم فانزل‌الله تعالى «تلك امّة...»» (٢).

وما نستفيده من الآية الثانية هو انّ اليهود والنصارىٰ يزعمون انّ الأنبياء الذين سبقوا موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام من إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب، كانوا على دين اليهودية والنصرانية فردّاً على زعمهم قال سبحانه وتعالى: تلك امّة...

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤).

جاء في آية البقرة «انزل الينا» وفي آل عمران «انزل علينا» لأنّ الخطاب في البقرة لجميع المخاطبين بلفظة «قولوا» وجاءت كلمة «الينا» وهي لانتهاء الغاية لجميع الجهات الست، فالقرآن نزل على النبيّ اوّلاً لكى يبلغه الى النّاس كافّة، والخطاب في آل‌عمران

١ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١، ص ٤١٢.

٢ـ تفسير روض‌الجنان وروح الجنان، ج ٢، ص ١٨٠.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٣٦.

٤ـ سورة آل عمران، آية ٨٤.

للنبي ﷺ وهو المنزل عليه حقيقة فأمرالله انّ يقول من جانب نفسه وانّ يقول عن امّته «آمنا بالله...».

وأمّا الآية الاولى نزلت عقيب الجدال الذي دار بين اليهود والنصارىٰ فزعمت كلّ من اليهود والنصارىٰ ان انبيائهم افضل الأنبياء وكتبهم افضل الكتب.

والآية الثانية امرالله تعالى رسوله والمؤمنين بأن يؤمنوا بالأنبياء السابقين وشرايعهم فضلًا عن ايمانهم بالنبيّ الخاتم والقرآن العزيز.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ (1)

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (2)

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ...﴾ (3).

﴿... وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾ (4).

قد اختلف تفسير هذه الآيات باختلاف عباراتها، فقيل كلّ نبي مادام موجوداً في امّته كان شاهداً على اعمالهم، فالنبي الخاتم ﷺ كان شاهداً على المسلمين فحسب، وقيل ان رسولالله كان شهيداً على شهداء الأمم السابقة، فكل نبي شاهد على اعمال امّته ورسول الله ﷺ يكون شاهدا على امته وعلى جميع الأمم السالفة، وقيل ان المقصود بـ«هؤلاء» المسلمون الذين يعيشون في عصر نزول الآية، وقيل هذه الآيات تدلّ على وجود امام

١ـ سورة البقرة، آية ١٤٣.

٢ـ سورة النساء، آية ٤١.

٣ـ سورة النحل، آية ٨٩.

٤ـ سورة الحج، آية ٧٨.

معصوم في كلّ زمن حتّى يكون شاهداً على جميع النّاس أو شاهداً لاعمال المسلمين فحسب.

﴿... فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣).

قال صاحب مجمع البيان:

«وقيل في تكراره وجوه، احدها: انّه لما كان فرضاً نسخ ما قبله، كان من موضع التأكيد والتبيين ينصرف الخلق الى الحال الثانية من الحال الأُولى على يقين، وثانيها: انّه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به، فأشبه الإسم الذي تكرر ليخبر عنه بأخبار كثيرة كما يقال: زيد كريم، زيد عالم، زيد فاضل، وما اشبه ذلك مما يذكر لتعليق الفائدة به، وثالثها: انّه في الأوّل بيان لحال الحضر وفي الثاني بيان لحال السفر» (٤).

وقد قال بعد تكرار الآية الثالثة:

«وقيل في تكراره وجوه، احدها: انّه لاختلاف المعنىٰ وان اتفق اللفظ، لأنّ المراد

١ـ سورة البقرة، آية ١٤٤.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٤٩.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٥٠.

٤ـ تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤٢٩.

بالأوّل «ومن حيث خرجت» منصرفاً عن التوجه الى بيت‌المقدس «فولّ وجهك شـطر المسجدالحرام» والمراد بالثاني أين ما كنت من البلاد، فتوجه نحوه من كلّ جهات الكعبه وسائرالاقطار، وثانيها: انّه من مواضع التأكيد لماجرى من النسخ ليـثبت فـي القـلوب، وثالثها: انّه لاختلاف المواطن والاوقات التي تحتاج الى هذا المعنى فيها» [۱].

وقال الطباطبائي في سبب تكرار الآية الثالثه:

«تكرار الجملة الأُولى بلفظها لعلّة للدلالة على ثبوت حكمها على اي حال، فهو كقول القائل: اتقّ الله اذا قمت، واتقّ‌الله اذا قعدت، واتق‌الله اذا نطقت، واتق‌الله اذا سكتت، يريد التزام التقوىٰ عند كلّ واحدة من هذه الأحوال ولتكن معك» [۲].

وذكر الرازي في تفسيره بياناً جامعاً ووجوهاً مختلفة لا تخلو من لطف نقلها وقد كان ثانيها احسنها.

«أعلم أن أول ما في هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات «قدنرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطرالمسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنّه الحقّ من ربّهم وما الله بغافل عما تعملون» وذكر ههنا ثانياً قوله تعالى «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجدالحرام وإنّه للحقّ من ربّك وما الله بغافل عما تعملون» ثم ذكر ثالثاً قوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجدالحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة» فهل في هذا التكرار فائدة أم لا؟ وللعلماء فيه أقوال «أحدها» أن الأحوال ثلاثة «اولها» أن يكون الإنسان في المسجدالحرام «وثانيها» أن يخرج عـن

۱ـ تفسير مجمع البيان، ج ۱، ص ۴۳۱.

۲ـ تفسير الميزان، ج ۱، ص ۳۲۳.

المسجدالحرام ويكون في البلد «وثالثها» أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض، فالآية الأُولى محمولة على الحالة الأُولى، والثانية على الثانية، والثالثة على الثالثة، لأنّـه قـد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للعبد، فلأجل إزالة هذا الوهـم كـرر الله تـعالى هذه الآيات.

(والجواب الثاني) أنّه سبحانه إنّما أعاد ذلك ثلاث مرأت لأنّه علق بها كلّ مرّة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمّدﷺ وأمر هذه القبلة حقّ، لأنّهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل، وأما في المرة الثانية فبين أنّه تعالى يشهد أن ذلك حقّ، وشهادة الله بكونه حقاً مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً، وأما في المرة الثالثة فبين أنّه إنّما فعل ذلك لئلا يكون للنّاس عليكم حجة، فلما اخـتلفت هـذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كلّ واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد، ونظيره قوله تعالى «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هـذا مـن عـندالله ليشتروا به ثمناً قليلًا فويل لهم ممّا كتبت أيديهم وويل لهم ممّا يكسبون».

(والجواب الثالث) أنّه تعالى قال في الآية الأُولى (فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجدالحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فكان ربما يخطر ببال جاهل أنّه تعالى إنّما فعل ذلك طلباً لرضا محمّدﷺ لأنّه قال «فلنولينك قبلة ترضاها» فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجدالحرام وإنّه للحقّ من ربّك» أي نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك، بـل لأجـل أن هـذا التحويل هو الحقّ الذي لا محيد عنه فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنّما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل، ثمّ أنّه تعالى قال ثالثاً «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجدالحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سـبباً

للطعن في دينكم، والحاصل أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخاً البتة.

(والجواب الرابع) أن الأمر الأوّل مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام والثاني مقرون بقوله تعالى «ولكل وجهة هو موليها» أي لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله تعالى أنها حقّ وذلك هو قوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وأنّه للحقّ من ربّك» والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة فكانت هذه عللا ثلاثاً قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة نظيره أن يقال: ألزم هذه القبلة فإنّها القبلة التي كنت تهواها، ثمّ يقال الزم هذه القبلة فانّها قبلة الحقّ لا قبلة الهوىٰ وهو قوله «وانّه للحقّ من ربّك» ثمّ يقال الزم هذه القبلة فانّ في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك، وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى (فبايّ آلاء ربّكما تكذبان) وكذلك ما كرر في قوله تعالى «انّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين».

(والجواب الخامس) انّ هذه الواقعة اوّل الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا، فدعت الحاجة الى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وإيضاح البينات» [1].

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [2].

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [3].

الآية الأُولىٰ نزلت عقب الآيات التي تتحدث عن القبلة، فأراد الله تعالىٰ تثبيت قلب

١ـ تفسير الكبير، ج ٤، ص ١٥٢.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٤٧.

٣ـ سورة آل عمران، آية ٦٠.

نبيّه ﷺ امام الهجمة الاعلامية المضادّة التي تقودها الدوائر المعادية له ﷺ فأكد القرآن بأنّه ﷺ على ارتباط وثيق بالسماء، والآية الثانية نزلت عقيب خلقة عيسىٰ عليه السلام وتؤكد ما جاء في القرآن بشأنه وانّه خلق كما خلق جدّه آدم عليه السلام، وهذه اي ولادته من غير أب أمر حقيقي لا يتطرق اليه الشك.

﴿... فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي...﴾ [1].

﴿... فَلَاتَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ...﴾ [2].

﴿... فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ...﴾ [3].

كلّ آية جائت بعد ان سبقتها قضايا متمايزة كقضية تغيير القبله وماوقع في غدير خم وانكار اليهود وعلمائهم الحقّ.

﴿وَلَاتَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّاتَشْعُرُونَ﴾ [4].

﴿وَلَاتَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [5].

نزلت آية البقرة في بدر عندما قتل من المسلمين اربعة عشر رجلًا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وقد اختلف في سبب نزول الثانية فقيل نزلت في شهداء بدر أو أُحد أو كلاهما، وقيل نزلت في شهداء بئر معونة.

قال الرازي في تفسيره الكبير بشأن آية آل عمران انّها واردة في شهداء بدر وأُحد، لأنّ في وقت نزول هذه الآية لم يكن أحدٌ من الشهداء الّا من قتل في هذين اليومين

١ـ سورة البقرة، آية ١٥٠.

٢ـ سورة المائدة، آية ٣.

٣ـ سورة المائدة، آية ٤٤.

٤ـ سورة البقرة، آية ١٥٤.

٥ـ سورة آل عمران، آية ١٦٩.

المشهورين[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾[2]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

قيل في شأن نزول الآية الاولى: انّ جماعة من الأنصار سألوا نفراً من اليهود عمّا في التوراة من صفات النبيّ ﷺ فكتموا ما في التوراة فنزلت هذه الآية.

وقيل في سبب نزول الثانية: انّها نزلت في رؤساء اليهود من كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وحيّي بن اخطب وأبي ياسر بن اخطب، فهم يأخذون الهدايا من اتباعهم، فلمّا بعث النبيّ ﷺ خافوا انقطاع تلك الهدايا، فكتموا أمر محمّد ﷺ وشريعته في التوراة.

وقيل في سبب نزول الثالثة: ما قيل في الثانية أو انّها نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له في الأرض، اختصما الى رسول الله ﷺ فلما لم يكن للرجل بيّنة، همّ الأشعث باليمين، فأنزل الآية، فنكل الأشعث واعترف بالحقّ وردّ الأرض الى الخصم.

١ـ أنظر الى تفسير الكبير، ج ٩، ص ٩١.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٥٩.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٧٤.

٤ـ سورة آل عمران، آية ٧٧.

وقيل غير هذا.

وبعد الدّقة في الآيات التي جائت قبل هذه الآيات وبعدها، نعرف وجوهاً واسراراً لسبب تكرارها، ففي بِدأ النظر نعرف انّ الآية الأُولى كلام مستأنف يتناول كلّ من كتم شيئاً من الدين، اذ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوصية السبب، ولأنّ ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعليّة، وهنا ترتب اللعن على الكتمان، يشعر بأن الوصف علّة لهذا الحكم.

والآية الثانية نزلت في ضمن آيات عديدة في وصف أهل الكتاب وأنّهم من جهة يحرمون ما احل الله لهم ومن جهة يكتمون ما أنزل سبحانه عليهم.

والآية الثالثة كانت بعد خيانة بعض أهل الكتاب لأموال النّاس «ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يودّه إليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده إليك...» فالله تعالى بيّن في هذه الآية نقضهم بعهدالله.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (١).

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٢).

الآية الأُولى في الكفار الذين كفروا و ماتوا و هم كفار، والثانية في قوم ارتدوا وكفروا بعد ايمانهم.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣).

١ـ سورة البقرة، آية ١٦٢ .

٢ـ سورة آل عمران، آية ٨٨ .

٣ـ سورة البقرة، آية ١٦٤ .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (١).

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (٢).

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣).

هذه الآيات نزلت لبيان مظاهر النظم والانسجام في المنظومة الكونية الرائعة الموجود فيها رغم مرور الآف السنين. ودليل تام لإثبات الصانع، وانّ السموات والأرض آية بل كلّ ما فيهما آية بحدّ ذاته.

هذا مضافاً الىٰ انّ في كلّ واحد من هذه الآيات، اشارة لأمور لا نجدها في الآية الأُخرى.

مع انّ السبب لنزول هذه الآيات مختلف، فكل آية نزلت لمناسبة خاصة، تنسجم مع ما سبقها وما لحق بها فقد قال «عطاء بن رباح» في شأن آية آل عمران:

قلت لعائشة: أخبرينى باعجب ما رأيت من رسوالله ﷺ. قالت: وأى شأن لم يكن عجباً، انّه أتانى ليلة فدخل معى في لحافى ثمّ قال: ذرينى أتعبد لربّي، فقام فتوضأ ثمّ قام يصلّى فبكى، حتّى سألت دموعه على صدره، فركع فبكى، ثمّ سجد فبكى، ثمّ رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتّى جاء بلال، فأذنه بصلاة، فقلت يا رسول‌الله ما يبكيك وقد غفرالله لك ما تقدّم من ذنبك وَما تأخّر؟ قال: افلا اكون عَبداً شكوراً، ولم لا أفعل وقد أنزل

١ـ سورة آل عمران، آية ١٩٠.

٢ـ سورة يونس، آية ٦.

٣ـ سورة العنكبوت، آية ٦٣.

عليّ هذه الليلة «انّ في خلق...»[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَاتَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[4].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5].

نهى الله تعالى عن اتباع الخطوات الشيطانية والمراد من الخطوة في كلّ آية غير ما في الأُخرىٰ بملاحظة السياق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[6].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

١ـ تفسير الأمثل، ج ٣، ص ٤٥.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٦٨.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٠٨.

٤ـ سورة الأنعام، آية ١٤٢.

٥ـ سورة النور، آية ٢١.

٦ـ سورة البقرة، آية ١٧٠.

ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَايَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَايَهْتَدُونَ﴾ (١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (٢).

بعد ما كان في كلّ آية من الاختلاف في الالفاظ والمعاني نقول، الآية الأُولى تشير الى مقولة المشركين الواهية في تحريم ما احلّ الله، فهم الذين اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تحرّموا ما احلّ الله لعباده، «قالوا بل نتبع...».

والآية الثانية تشير الى أعراف خرافية سائدة في الجاهلية وانّهم يضعون على بعض الحيوانات علامات لأسباب معينة ويحرمون لحومها ولبنها وجز صوفها والركوب عليها أو يحللون لحومها بعد موتها للتيمن والتبرك، فاذا قيل لهم تعالوا ولا تفعلوا هذه الأعمال الخرافية، «قالوا حسبنا ما وجد نا عليه آبائنا...» وتفاخروا باجدادهم وقدّسوا أفكارهم.

والآية الثالثة تشير الى ان المشركين لا يتدبرون في التسخير الالهي للموجودات السماوية والأرضية للإنسان ولا يتفكرون في نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة ولكن يجادلون في الله بغير علم ذاتي وبلا اتباع لمرشد هادي وبلا كتاب منير، فهم يصروّن على تقليد آبائهم في اعمالهم الباطلة.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَاذَكَّيْتُمْ وَمَاذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن

١ـ سورة المائدة، آية ١٠٤.

٢ـ سورة لقمان، آية ٢١.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٧٣.

تَسْتَقْسِمُواْ بِالْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ...﴾ (١).

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

تقديم «به» على «لغيرالله» في سورة البقرة على الأصل، لأنّ الباء التي يتعدي بها الفعل كالهمزة المزيدة في بناء الفعل فيلزم تقديم هذه الباء، ولكن بما انّ الاهلال بالمذبوح لا يستنكر الا إذا كان لغيرالله، فتأخّر في الثلاثة الأخيرة لان تقديم المستنكر كان اولى، وامّا وجه تكرار الآية في أربع مواضع من القرآن فقال صاحب الميزان فيه:

«والآيه بمعناها على اختلاف ما في لفظها واقعة في أربع مواضع من القرآن في سورتى الأنعام والنحل وهما مكيتان من أوائل ما نزل بمكة وأواخرها، وفي سورتى البقرة والمائدة وهما من أوائل ما نزل بالمدينة واواخرها. وهي تدلّ على حصر محرّمات الأكل في الأربع المذكورة، الميتة والدّم ولحم الخنزير وما اهّل لغيرالله به، كما نبّه عليه بعضهم، لكن بالرجوع الى السنة يظهر انّ هذه هي المحرمات الأصلية التي عنى بها في الكتاب وما سوىٰ هذه الأربع من المحرمات ممّا حرّمه النبيﷺ بأمر من ربّه» (٤).

وقال الرازي في تفسيره:

١ـ سورة المائدة، آية ٣.

٢ـ سورة الأنعام، آية ١٤٥.

٣ـ سورة النحل، آية ١١٥.

٤ـ تفسير الميزان، ج ١٢، ص ٣٦٥.

فثبت انّ هذه السور الأربعة دالة على حصر المحرمات في هـذه الأربع، سـورتان مكيتان وسورتان مدنيتان، فإن سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر مـا أنـزل‌الله تعالى بالمدينة، فمن أنكر حصر التحريم في هذه الأربع الّا ما خصه الاجماع والدلائل القاطعة كان في محل انّ يخشى عليه، لأنّ هذه السورة دلّت على انّ حصر المحرمات في هذه الأربع كان شرعاً ثابتاً في أوّل أمر مكّة وآخرها وأوّل المدينة وآخرها وانّه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الأربع، قطعاً للاعذار وازالة للشبهة والله اعلم» [1].

هذا مع انّ آية البقرة والأنعام والنحل نزلن في ضمن محاجة أهل الكتاب ببيان مواضيع مختلفة للمحاجة وآية المائدة نزلت لبيان حكم تشريعى فحسب.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [2].

﴿... وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [3].

قال الرازي في سبب تكرار حكم المسافر والمريض:

«انّ في الابتداء كان صوم شهر رمضان ليس بواجب معين، بل كان التخيير ثابتاً بينه وبين الفدية، فلما كان كذلك ورخص للمسافر الفطر كان من الجائز انّ يظن انّ الواجب عليه الفدية دون القضاء، ويجوز أيضاً انّه لا فدية عليه ولا قضاء لمكان المشـقة التـي

١ـ تفسير الكبير، ج ٢٠، ص ١٣٣.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٨٤.

٣ـ سورة البقرة، آية ١٨٥.

يفارق بها المقيم، فلما لم يكن ذلك بعيداً بيّن تعالىٰ انّ افطار المسافر والمريض في الحكم خلاف التخيير في حكم المقيم، فانّه يجب عليهما القضاء في عدة من أيام آخر، فلما نسخ الله تعالى ذلك عن المقيم الصحيح والزمه بالصوم حتماً كان من الجائز ان يظن انّ حكم الصوم لما انتقل عن التخيير الى التضييق حكم يعم الكل حتّى يكون المريض والمسافر فيه بمنزلة المقيم الصحيح من حيث تغير حكمالله في الصوم، فبين تعالى ان حال المريض والمسافر ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضاء كما لها أولًا، فهذا هو الفائدة في أعادة ذكر حكم المسافر والمريض» (١).

وقيل انّ سبب تكرار حكم المسافر والمريض في هذه الآية كراهية المؤمنين المسافرين والمرضىٰ انّ لا يصوموا ايام شهر رمضان، فالله تعالى أراد بتكرار الحكم حتّى يقول: كما انالصوم في الحضر وفي حال السلامة كان واجباً فالافطار في حال السفر والمرض كانحكماً شرعيا.

﴿... تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢).

﴿... تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٣).

﴿... وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

١ـ تفسير الكبير، ج ٥، ص ٧٩.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٨٧ .

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٢٩ .

٤ـ سورة البقرة، آية ٢٣٠ .

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (١).

﴿... وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ (٢).

هذا المقاطع في الآيات هي الجزء الأخير لبعض الآيات القرآنية وفي كل آية اشارة الى بعض الحدود، فالأُولى تشير الى حرمة الأكل والشرب من الفجر الى الليل في شهر رمضان ومباشرة النساء فيها وفي حال الاعتكاف، والثانية والثالثة والخامسة، تشير الى بعض الحدود المتعلقة بالطلاق، والرابعة تشير الى بعض الحدود المتعلقة بالإرث.

وامّا ما في الاختلاف في الآيتين الاوليين «فلا تقربوها» «فلا تعتدوها» فيمكن ان يقال: انّ المراد من الحدّ في الآية الأُولى النهي عن مباشرة النساء ويناسبها النهي عن المقاربة والمراد من الحدّ في الثانية عدد الطلاق ولزوم الأمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان، ويناسبها النهي عن التجاوز والاعتداء.

قال الخطيب الاسكافي في كتابه درة التنزيل:

«الأوّل خرج على اغلظ الوعيد كما قال:«ولا تقربا هذه الشجرة» وانّما كان نهى عن أكلها لأ الدّنوّ منها، فخرج مخرج قول القائل: إذا نهى عن شئ وشدّد الأمر فيه، لا تقرب هذا الشئ... فلما كانت حاله هذه الموضع الأوّل نهياً عن مواقعة النساء في حالة الإعتكاف في المساجد، صار فيه تحذير من دواعي المواقعة، فافتضى من المبالغة مالم يقتضة قوله «فلا جناح عليها فيما افتدت به تلك حدودالله فلا تعتدوها» فكانه قال: لا تتجاوزوها، يعني المرئة إذا افتدت لمهرها وخالعت زوجها لم يكن عليها اثم، وهذه

١ـ سورة النساء، آية ١٣ .

٢ـ سورة الطلاق، آية ١ .

حدود نهي عن تعديتها... والحدود ضربان حدّ هو منع من ارتكاب المحظور وحدّ هو فاصل بين الحلال والحرام، فالأوّل ينهي عن مقاربته والثاني ينهي عن مجاوزته، وهما المذكوران في هذه السورة وحدّ النهي عنهما»[1].

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[2].

﴿... فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[3].

﴿... وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾[4].

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

الآية الأُولىٰ اجازت للمسلمين بانّ يقاتلوا كفّار مكّة الذين اخرجوا المؤمنين من ديارهم، والثانية نزلت في المنافقين وهم اسوء حالا من الكفار لشدّة انحرافهم ولاِتخاذهم الإسلام غِطاءً يستترون به بغية هدم الاسلام، والآية الثالثة نزلت في نفر من

١ـ درّة التنزيل وغرّة التأويل، ص ٤٥.

٢ـ سورة البقرة، آية ١٩١.

٣ـ سورة النساء، آية ٨٩.

٤ـ سورة النساء، آية ٩١.

٥ـ سورة التوبة، آية ٥.

قريش كانوا يتظاهرون بالإسلام في محضر رسول الله ﷺ ولكنهم يعبدون الأصنام عند ما يرجعون الى قريش، والآية الرابعة نزلت في المشركين بعد انّ امهلهم الله أربعة أشهر.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (١).

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢).

الآية الأُولى قد بيّنت هدف الجهاد في الإسلام وانّها نزلت بعد اقدام مشركى قريش على تشهير السلاح بوجه المسلمين كما انّهم اخرجوا المسلمين من بلادهم وهم الذين يقعون في الفتنة والفتنة اشدّ من ا لقتل.

والآية الثانية نزلت بعد آية في دعوة الكفار والمشركين الى الحقّ لكى يغفرالله ما قد سلف من ذنوبهم فانّ الإسلام يجبّ ما قبله.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (٣).

فيمكن انّ يتوهم البعض انّ الجهاد والقتال قد مضى وقته وحان وقت السّلم والمغفرة فنزلت الآية التالية لكى ينذر اعداء الدّين بعد ان بشرهم بغفران ذنوبهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ (٤).

١ـ سورة البقرة، آية ١٩٣ .

٢ـ سورة الأنفال، آية ٣٩ .

٣ـ سورة الأنفال، آية ٣٨ .

٤ـ سورة البقرة، آية ٢١٠ .

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (١).

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

هذه الآيات تتكلم عن بعض المشركين ولجاجتهم، فهم اعلنوا عن اذعانهم بالإسلام إذا لبّى رسول الله ﷺ طلباتهم المتعددة والمستحيلة وغير المعقولة، ولعل هذه الآيات تكررت بعد انّ تكرر هذا الموقف الجدلي منهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٣).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (٤).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥).

١ـ سورة الأنعام، آية ١٥٨ .

٢ـ سورة النحل، آية ٣٣ .

٣ـ سورة البقرة، آية ٢١٤ .

٤ـ سورة آل عمران، آية ١٤٢ .

٥ـ سورة البرائة، آية ١٦ .

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١).

فالآية الأُولىٰ خطاب للمؤمنين يوم الخندق لما اشتدّ بهم الخوف وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله تعالى الى الصبر ووعدهم بالنصر وقيل نزلت في حرب أحد، والثانية نزلت في غزوة أحد وهي تخاطب الذين حلّ بهم البلاء واثخنوا بالجراح، والثالثة نزلت في المجاهدين الّذين شاهدوا فتح مكّة، وما قال بعض بأن الخطاب في هذه الآية للمخاطبين جميعاً ليس في محلّه بعد ملاحظة السياق، والرّابعة لبيان سنةالله الجارية في ا فتتان عباده جميعاً وانّه لا يختص بالامم الماضية وغيرها ولا يختصّ بالمسلمين.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِاللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣).

الآية الأُولىٰ جائت قبل آيات الايلاء وحكمه والثانية نزلت مطلقة وفيها كفارة حنثالقسم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُواْ

١ـ سورة العنكبوت، آية ٢.

٢ـ سورة البقرة، آية ٢٢٥.

٣ـ سورة المائدة، آية ٨٩.

ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (٢).

انّ الأمر في الآ يتين يتعلق بتسريحهنّ وامساكهنّ بمعروف، الّا انّ الأمر بهما يشتدّ أكثر في سورة البقرة، حيث اعتبر انّ هذين العملين (التسريح أو الأمساك بغير معروف) بمثابة ظلم على النفس واستهزاءٍ بآ ياتالله تعالى.

وجاء في سورة الطلاق بيان أحكام الطلاق والقضايا المرتبطة به فحسب.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣).

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَافَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤).

المراد من الآية الأُولىٰ في قوله تعالىٰ «فلا جناح عليكم...» هو جواز التزويج بعد اتمام العدة فالمرئة بعد انتهاء عدتها وهي أربعة أشهر وعشراً يمكنها ان تتزوّج مَن تشاء.

والآية الثانية تدلّ على شئ آخر، مغاير وهو اختيار المرئة المتوفى زوجها بين بقائها

١ـ سورة البقرة، آية ٢٣١.

٢ـ سورة الطلاق، آية ٢.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٣٤.

٤ـ سورة البقرة، آية ٢٤٠.

في بيته وأخذ نفقتها مدة حول او خروجها وتزوجها في هذه المدّة بعد اتمام عـدتهاان ارادت.

والعجيب من الكرماني حينما قال: النكرة إذا تكررت صارت معرفة» ثمّ اشكل على نفسه وقال «كيف يصحّ ما قلت والاوّل معرفة والثاني نكرة، وما ذهبت إليه يقتضي ضد هذه، بدليل قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ [1] ثمّ أجاب بانّ هذه الآية باجماع من المفسرين مقدمة على تلك الآية فـي النزول وان وقعت متأخرة في التلاوة... واجمعوا أيضاً على انّ هذه الآية منسوخة بتلك الآية، والمنسوخ سابق عن الناسخ ضرورة، فصح ما ذكرت انّ قوله بالمعروف، هو ما ذكر في قوله: من معروف، ثمّ أمر بتأمل في كلامه وقال بانّه من أحد وجوه الاعجاز في القرآن الكريم [2].

فهذا الكلام فيه وجوه للمناقشة، اوّلاً: انّ مسألة النسخ ليست إجماعية بشكل تام كما تصور بل وقع فيها الخلاف بين المفسرين من السنة بعد ان عُرفَ من مذهب أهل البيت انّ عدم النسخ هو القول المحكم.

ثانياً: انّ النسخ خلاف الأصل والاختلاف بين الحكم والتلاوة في ترتيب الآيات لا يناسب شأن القرآن العظيم وان كان جائزاً. فلو كان نسخاً، فالأحسن انّ يتقدم المنسوخ على الناسخ في التلاوة أيضاً.

ثالثاً: انّ النسخ مبنى على ان نقول: انّ خروج المرئة مدّة سنة بعد وفات زوجها كان حقّاً على المرئة وهو واجب ولكن الآية ليس بصدد هذا الشئ، بل ما نستفيده من الآية هو

١ـ سورة المزمل، آية ١٥.

٢ـ البرهان في توجيه متشابه القرآن، الرقم ٤٧.

جواز بقاء المرئة في بيت زوجها مدّة حول بعد وفاته واذا كان كذلك فتجب لها النفقة من مال زوجها.

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَشْكُرُونَ﴾ (١).

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢).

﴿... ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَشْكُرُونَ﴾ (٣).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٤).

﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٥).

كلّ عبارة وقعت بعد شئ تفيدنا معنىٰ غير ما تفيده في الاخرىٰ فالمراد من الفضل في كلّ آية نعمة تغاير الأُخرىٰ وكذا الشكر.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّـهُ يَـقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٦).

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (٧).

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُـمْ وَلَهُـمْ أَجْرٌ

١ـ سورة البقرة، آية ٢٤٣.

٢ـ سورة يونس، آية ٦٠.

٣ـ سورة يوسف، آية ٣٨.

٤ـ سورة النمل، آية ٧٣.

٥ـ سورة الغافر، آية ٦١.

٦ـ سورة البقرة، آية ٢٤٥.

٧ـ سورة الحديد، آية ١١.

كَرِيمٌ﴾ (1).

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (2).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (3).

ليس المراد من «القرض الحسن» منح العباد قرضا حسنا فحسب، بل المراد في كلّ آية من الآيات الخمسة الانفاق في سبيل‌الله تعالى.

قال جمال‌الدين المقداد:

هذه أربع آيات استدلّ المعاصر بها على ارجحيّة القرض للمؤمن وانّ فيه اجراً عظيماً وانّ الله هو المكافئ عليه، إذ الحقيقة ممنوعة لاستحالة الحاجة عليه تعالىٰ، فيحمل على اقراض عبيده، وعندي في ذلك نظر، فان اطلاق القرض الذي هو اعطاء شئ ليستعيد عوضه وقتا آخر استعارة للأعمال الصالحة، فانّ الأعمال الصالحة يفعلها العبد ويحصل له العوض في الدار الآخرة وحينئذ لا دلالة في الآية على مشروعية القرض، وقوله «انّ الحقيقة ليست مرادة» مسلّم لكن حمله على اقراض المؤمنين من غير دلالة حملٌ من غير دليل، ولا ضرورة اليه مع إمكان المجاز الذي ذكرناه.

1ـ سورة الحديد، آية 18.

2ـ سورة التغابن، آية 17.

3ـ سورة المزمل، آية 20.

نعم وان كان في كلامه مجال للنقاش الّا ان تفسير القرض الحسن بكلّ الأعمال الصالحة جيدٌ، وعليه فلا تتمحور الآيات حول شئ واحد بل تشمل كلّ الأعمال الصالحة فلا مبرر للقول بتكرار الآيات، هذا. ويويد ما قلنا: ما قال الطبرسي والرازي في تفسيرهما في سبب نزول آية البقرة، فقال الطبرسي في مجمع البيان:

«قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية: انّ النبيّ ﷺ قال: من تصدّق بصدقة فله مثلها في الجنة، فقال أبوالدّحداح الأنصارى واسمه عمر بن الدحداح: يا رسول‌الله انّ لى حديقتين، انّ تصدقت بإحداهما، فانّ لى مثليهما في الجنّة؟ قال: نعم. قال: وام الدحداح معى؟ قال: نعم، قال: والصّبية معى؟ قال: نعم، فتصدق بأفضل حديقتيه فدفعها الى رسول‌الله فنزلت الآية فضاعف الله له صدقته الفى الف» (١).

وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

«اختلف المفسرون فيه على قولين، الاوّل انّ الآية متعلقة بما قبلها والمراد منها القرض في الجهاد خاصة، والقول الثاني: انّ هذا الكلام مبتدء لا تعلق له بما قبله، ثمّ القائلون بهذا القول اختلفوا، فمنهم من قال: المراد من هذا القرض، انفاق المال (غيرالواجب) ومنهم من قال انّه غيره، والقائلون بانّه انفاق المال، لهم ثلاثة أقوال، الاوّل انّ المراد من الآية ما ليس بواجب من الصدقة.

ثمّ ذكر الفخر قولان آخران وهما، انّ المراد من هذا القرض الانفاق الواجب في سبيل‌الله والآخر وقال هو الأقرب انّ يدخل فيه كلا القسمين (٢).

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (٣).

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ١٣٧.

٢ـ تفسير الكبير، ج ٦، ص ١٨٠.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٥٢.

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (١).

﴿تِـلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّـهِ نَـتْلُوهَا عَـلَيْكَ بِـالْحَقِّ فَـبِأَيِّ حَـدِيثٍ بَـعْدَ ٱللَّـهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

تشير كلّ هذه الآيات لآية من آيات الله تعالىٰ.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَاٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَاجَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَاٱقْتَتَلُواْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَايُرِيدُ﴾ (٣).

قال الواحدي في وجه تكرار «ولو شاء الله ما اقتتلـ»

«انّما كرره تأكيداً للكلام وتكذيباً لمن زعم انّهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولم يجربه قضاءٌ ولا قدر من الله تعالى» (٤).

ولكن عندي ان الثانية ليست لبيان المشيئة فحسب بل هي اشبه بـالامر للـمؤمنين بالكفّ عن قتالهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَايُتْبِعُونَ مَآأَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٥).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَـارِ سِرًّا وَعَـلَانِيَةً فَـلَهُمْ أَجْـرُهُمْ عِـندَ رَبِّهِـمْ

١ـ سورة آل عمران، آية ١٠٨.

٢ـ سورة الجاثية، آية ٦.

٣ـ سورة البقرة، آية ٢٥٣.

٤ـ تفسير الكبير، ج ٦، ص ٢٢٢.

٥ـ سورة البقرة، آية ٢٦٢.

﴿وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (۱).

اختلففي سببالنزول لهاتينالآ يتين،ففي التـفسيرالكـبيرللرازي فـي ذيـل الآيـة الاولى:

«نزلت الآية في عثمان وعبدالرحمن بن عوف، امّا عثمان فجهز جيش العسرة فـي غزوةتبوك بألف بعير باقتابها وألف دينار، فرفع رسولالله يديه يـقول: يـا ربّ عـثمان رضيت عنه فارض عنه، وامّا عبدالرحمن بن عوف فانه تصدّق بنصف ماله أربعة الآف دينار فنزلت الآية» (۲).

قد نقل العلامة الامينى‏ﷺ هذا الحديث باسناده المختلفة وضعّفها، وايضا نـقل عـن ابن‌حجر في فتح‌الباری ضعف سند بعضها بوجود سيف بن عمر وغيره من المجاهيل (۳).

ثمّ قال في موضع من كتابه:

«وانّا لم نجد في اعمال عثمان عملا بارّاً يسـتدعی هـذه المـغالاة الخـارجـة عـن اصول‌الاسلام، غير ما انفقه على جيش العسرة ان صح من ذلك شئٌ... وقد عـلمت ان جيش العسرة انفق عليه غيره ما هو اكثر مما انفقه هو» (۴).

وقال الرازی في سبب نزول الآية الثانية:

«في سبب النزول وجوه، الأوّل: لما نزل قوله تعالى:«للـفقراء الذيـن احـصروا فـی سبيل‌الله» بعث عبدالرحمن بن عوف الى أصحاب الصّفة بدنانير، وبعث على رضي‌الله‌عنه بسويق من تمر ليلًا، فكان احبّ الصدقتين الى الله تعالى صدقته، فنزلت هذه الآية فصدقة

۱ـ سورة البقرة، آية ۲۷٤.

۲ـ تفسير الكبير، ج ۷، ص ٥۱.

۳ـ الغدير، ج ۹، ص ۳۳٤.

٤ـ المصدر، ص ۳۳۷.

الليل كانت اكمل.

والثاني: قال ابن عباس: انّ علياًعليه السلام ما كان يملك غير أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلًا وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية، فقال صلى الله عليه [وآله] وسلم ما حملك على هذا؟ فقال: انّ استوجب ما وعدني ربّي، فقال: لك ذلك، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية، والثالث: قال صاحب الكشاف: نزلت في أبي‌بكر...» [1].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [2].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [3].

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [4].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [5].

وكذا في آيات أُخرىٰ

انّ القرآن بعد بيان الأحكام الفرعية والحدود الأخلاقية، يطرح تذكيراً عاما لبيان اهمية الحكم والبشارة لمن وافقها والانذار لمن خالفها وما في هذه الآيات من هذا القبيل.

١ـ تفسير الكبير، ج ٧، ص ٩١.

٢ـ سورة البقرة، آية ٢٨١.

٣ـ سورة آل عمران، آية ٢٥.

٤ـ سورة آل عمران، آية ١٦١.

٥ـ سورة النحل، آية ١١١.

فالآية الأُولى نزلت بعد بيان حرمة الربا، والثانية بعد بيان تحريفات أهل الكتاب، والثالثة بعد بيان انّه ليس للنبي ﷺ انّ يغلّ ويخون، والرابعة بعد بحثه عن المرتد وحكمه وهكذا...

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1).

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (2).

الآية الاولى هي بيان كلّي بأن الله تعالىٰ يحاسب على الذنوب الباطنية كما يحاسب على الذنوب الظاهرية، والآية الثانية جائت عقيب النهي عن مودّة الكفار الّا في حالة التقية، فيمكن ان يتظاهر البعض في مودة الكفار تقيّةً فالآية تنهىٰ عن مثل هذه التقية غير الصحيحة.

هذا مع انّ الابداء يقدّم على الاخفاء في الآية الأُولىٰ وذلك لأنّ الأصل في الأشياء ابدائها والاخفاء كان لعلة، كما انّ تقدم الاخفاء في الآية الثانية لمناسبته بالعلم.

فقال صاحب الميزان:

«لما كان الانسب بحال العلم انّ يتعلق بالمخفي بخلاف الحساب، فانّ الانسب له انّ يتعلق بالبادى الظاهر، قدم ذكر الاخفاء في هذه الآية على ذكر الابداء وجرى العكس منه في آية البقرة كما قيل» (3).

١ـ سورة البقرة، آية ٢٨٤.

٢ـ سورة آل عمران، آية ٢٩.

٣ـ تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٧٩.

﴿... فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1].

﴿... يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [2].

﴿... يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [3].

﴿... وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [4].

﴿... يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [5].

انّ كلّ آية تزكز على موضوعات مختلفة، فانّ التكرار في المغفرة والعذاب وتعليقهما على «من يشاء» فهو لدفع ذنبين كبيرين وهما اليأس من روح‌الله والأمن من مكرالله تعالىٰ.

نعم يمكن ان يقال في وجه تقدّم العذاب على المغفرة في الآية ٤٠ من سورة المائدة، انّها جائت بعد التحدث عن المغفرة، فقدّم العذاب على المغفرة حتّى يكون العذاب بين المغفرتين، وهذا بخلاف الآيات الأُخرىٰ.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَـٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ

١ـ سورة البقرة، آية ٢٨٤.

٢ـ سورة آل عمران، آية ١٢٩.

٣ـ سورة المائدة، آية ١٨.

٤ـ سورة المائدة، آية ٤٠.

٥ـ سورة الفتح، آية ١٤.

ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [1].

﴿... لَانُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [2].

﴿... لَانُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّاوُسْعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [3]

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [4].

﴿... لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَـٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [5].

انّ هذه الآيات تؤكد على التكاليف الالهية التي تُراعىٰ فيها طاقة الانسان ووسعه، نعم المراد من التكليف في كلّ آية غير ما يراد منه في الآيات الأُخرىٰ ويتجلى معنى كلّ تكليف من خلال سياق الآية.

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَـٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [6].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَايَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [7].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ

١ـ سورة البقرة، آية ٢٨٦.

٢ـ سورة الأنعام، آية ١٥٢.

٣ـ سورة الأعراف، آية ٤٢.

٤ـ سورة المؤمنون، آية ٦٢.

٥ـ سورة الطلاق، آية ٧.

٦ـ سورة آل عمران، آية ٢٨.

٧ـ سورة مائدة، آية ٥١.

كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَاْ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [١].

قال صاحب الميزان في وجه تكرار النهي عن تولى الكفار:

«وقد تكرر ورود النهي في الآيات الكريمة عن تولى الكافرين واليهود والنصارىٰ واتخاذهم اولياء لكن موارد النهي مشتملة على ما يفسر معنى التولى المنهي عنه.

ويعرف كيفية الولاية المنهي عنها كاشتمال هذه الآية على قوله «من دون المؤمنين» بعد قوله «لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء» واشتمال قوله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء» على قوله «بعضهم اولياء بعض» وتعقب قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء» بقوله «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين» الى آخر الآيات.

وعلى هذا فأخذ هذه الأوصاف في قوله «لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين» للدلالة على سبب الحكم وعلته، وهو انّ صفتى الكفر والايمان مع ما فيهما من البعد والبينونة ولا محالة يسرى ذلك الى من اتصف بهما، فيفرق بينهما في المعارف والأخلاق وطريق السلوك الى الله تعالىٰ وساير شئون الحياة لا يلائم حالهما مع الولاية، فان الولاية توجب الاتحاد والامتزاج وهاتان الصفتان توجبان التفرق والبينونة، واذا قويت الولاية، كما اذا كان من دون المؤمنين أوجب ذلك فساد خواص الايمان وآثاره ثمّ فساد أصله، ولذلك عقبه بقوله «ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ» ثمّ عقبه أيضاً بقوله «الّا ان تتقوا منهم تقية» فاستثنى التقيّة، فانّ التقية انّما توجب صورة الولاية في الظاهر

١ـ سورة ممتحنة، آية ١.

دون حقيقتها [1].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [2].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [3].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ﴾ [4].

المراد من «فأخذهم الله بذنوبهم» هو هلاكهم وغرقهم كما جاء في الآية الأخيرة.

والمراد من التكذيب في سورة آل عمران هو كفرهم ويدل عليه ما في الآية الاولى من سورة الأنفال.

في سورة آل عمران جائت الآية بعد آيات نزول الكتب السماوية بخلاف غيرها، فينبغي الإشارة الى تكذيب الرسل.

ويمكن انّ يقال انّ آية آل عمران تشبه الكفار في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمعاندين في زمن موسى عليه السلام والامم السالفة بأنّهم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً وفي الآية الأُولى من سورة الأنفال انّهم مثلهم في عذابهم يوم القيمة، وفي الآية الثانية منها، انّهم مثلهم في طغيانهم وكفران نعمهم.

وقيل في وجه تكرار الآيتين الأخيرتين، انّ الكلام الثاني يجرى مجرى التفصيل، لأنّ

١ـ تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٧٥ .

٢ـ سورة آل عمران، آية ١١ .

٣ـ سورة الأنفال، آية ٥٢ .

٤ـ سورة الأنفال، آية ٥٤ .

الكلام الاوّل قد ذكرالله تعالى فيه أخذهم وفي الثاني ذكر اغراقهم.

وقيل انّ المقصود من الأوّل، العقوبات النازلة بهم حين موتهم والمقصود من الثـاني العقوبات النازلة بهم في البرزخ والقيمة.

وقيل انّ في الكلام الأوّل من سورة الأنفال، انّهم كفروا بآيات الله فانّهم انكروا الدلائل الالهية، وفي الكلام الثاني انّهم كذبوا بآيات ربهم فانّهم انكروا دلائل التربية والاحسان وكفران النعمة فيؤاخذهم الله تعالىٰ للأوّل ويهلكهم ويغرقهم للثاني [١].

قال الطبرسي في تفسيره مجمع‌البيان في وجه تكرر الأخيرتين:

«انّما كرّر قوله «كدأب آل فرعون» لأنّه أراد بالأوّل بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا.

وقيل: انّ في الأوّل تشبيه حالهم بحال اولئك في التكذيب، وفي الثاني تشبيه حالهم بحال اولئك في الاستئصال.

وقيل: انّ الأوّل في أخذهم بالعذاب، والثاني في كيفية العذاب، وقيل: انّ آل فرعون كانوا على أحوال مختلفة في المعصية، فبيّن مشاركة هؤلاء ايّاهم في تلك الأحوال» [٢].

وقال صاحب الميزان:

«كرر التنظير السابق لمشابهة الغرض مع ما تقدم فقوله «كدأب آل فرعون» الخ السابق تنظير لقوله «ذلك بما قدّمت ايديكم وانّ الله ليس بظلّام للعبيد» كما انّ قوله «كدأب آل فرعون» الى قوله «وكلّ كانوا ظالمين» ثانياً تنظيرٌ لقوله: ذلك بانّ الله لم‌يك مغيراً نعمة» [٣].

١ـ انظر الى تفسير الكبير، ج ١٥، ص ١٨٨.

٢ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ٤، ص ٤٨٢.

٣ـ تفسير الميزان، ج ٩، ص ١٠٤.

قد نقل الكرماني عن الخطيب كلاماً في سبب تكرار هذا المفهوم لا يوجد في نسخة الخطيب التي عندى، وهو:

«قد أجاب فيها بعض أهل النظر بأن قال: ذكر في الآية الأولى عقوبته ايايهم عندالموت كما فعله بآل فرعون ومن قبلهم من الكفار، وذكر في الثانية ما يفعل بهم بعدالموت كما فعله بآل فرعون وما قبلهم، فلم يكن تكراراً».

ثمّ أضاف الكرماني:«قال الخطيب والجواب عندي: انّ الأوّل أخبارٌ عن عذاب لم يمكن الله أحداً من فعله، وهو ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم.

والثاني، أخبار عن عذاب مكّن النّاس من فعل مثله وهو الإهلاك والاغراق.

وقال الكرماني: «قلت وله وجهان آخران محتملان: احدهما، كدأب آل فرعون فيما فعلوا، والثاني، كدأب آل فرعون فيما فعل بهم، فهم فاعلون على الأوّل ومفعولون في الثاني.

والوجه الآخر: انّ المراد بالأوّل كفرهم بالله، وبالثاني تكذيبهم بالأنبياء، لأنّ تقدير الآية: كذبوا الرسل بردهم آيات الله [1].

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [3].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ

١ـ البرهان في توجيه متشابهات القرآن، الرقم ١٦٣ .

٢ـ سورة آل عمران، آية ٢٧ .

٣ـ سورة الأنعام، آية ٩٥ .

مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١).

ونحوها مثل آية ٦١ من سورة الحج، و ١٩ من سورة الروم و ٢٩ من سورة اللقمان، و ١٣ من سورة فاطر، و ٦ من سورة الحديد.

ذكر المفسرون في خروج الحيّ من الميت وخروج الميت من الحيّ وجوهاً منها:

يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، يخرج الطيب من الخبيث ويخرج الخبيث من الطيب، يخرج الحيوان من النطفة والبيضة ويخرجهما من الحيوان، يخرج السنبلة من الحبة والحبة من السنبلة. فهذه الآيات جائت لبيان اقسام مختلفة من تدبيرالله تعالىٰ في العالم العلوى والسفلى وتظهر اهمية كلّ آية والمعاني المحتملة للميت فيها بعد ملاحظة سياقها.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۞ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ (٢).

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۞ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (٣).

هذه الآيات جائت لبيان بشارة زكريا وأمرائة بيحيىٰ في كبر سنّها، نعم مع انّ هذه القصة قد تكررت في موضعين من القرآن ولكن لا يخفى ما فيها من الاختلاف في التقدم

١ـ سورة يونس، آية ٣١.

٢ـ سورة آل عمران، آيتى ٤٠ و ٤١.

٣ـ سورة مريم، آيات ٨ الى ١٠.

والتأخر وغيرهما، حتّى تفيد كلّ مجموعة المعنى المختص بها.

فقد تقدم «بلغنى الكبر» على «أمرتى عاقر» في سورة آل عمران والعكس في سورة مريم، بما انّ الكبر وصف لزكريا والعقر وصف لأمرئة فيعرف ما في هذا التقديم والتأخير من اللطافة.

وأيضاً جاء في موضع «الأيام» وفي سورة مريم «ليال» حتّى يعرف انّه عليه السلام مأمور بعدم التكلم في ثلاثة أيام بلياليها لا أحدهما دون آخر.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (١).

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (٢).

هذه الآيات في بيان قصّة الولادة لنبي الله عيسى عليه السلام وقد تكررت لبيان اسرار لم تذكر وتفصيل لم يبيّن كما نرى في ظاهر الآيات فضلًا عن تفسيرها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

١ـ سورة آل عمران، آية ٤٧.

٢ـ سورة مريم، آيتى ٢٠ و ٢١.

وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَاتَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١)

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢).

هذه الآيات قد جائت لبيان قصّة النبي عيسىٰعليه‌السلام وأعجازه لإثبات نبوّته من ولادته وتكلمه في المهد الى... فقد جائت قصتهعليه‌السلام في كلا السورتين لكشف وجوه مختلفة فيها كما نرىٰ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٣).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٤).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٥).

قد تكررت الآية في قصة النبي عيسىٰعليه‌السلام لبيان جزئيات مختلفة من القصة وانّما جاء التأكيد في سورة الزخرف بضمير الفصل، لانّ في هذه السورة تكلم عن الآلهة، فينبغي التأكيد على انّ عيسى هو عبد من عبادالله تعالىٰ ولكن في السورتين الأخريين قد بيّن

١ـ سورة آل عمران، آيات ٤٥ الى ٤٩.

٢ـ سورة المائدة، آية ١١٠.

٣ـ سورة آل عمران، آية ٥١.

٤ـ سورة مريم، آية ٣٦.

٥ـ سورة زخرف، آية ٦٤.

قضية ولادته فيكفى اتيانه بلاتأكيد.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (١).

﴿وَمَاجَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

الاولى نزلت في واقعة أحد والثانية في بدر الكبرىٰ فليس بتكرار.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣).

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (٤).

المراد من الآيتين واحد وهو الترغيب لاعمال الخير ببيان ثوابها، ولكن اختلفت العبارة فيها فالسرعة تكون قبل السبقة والمسابقة كانت بعد المسارعة، فالمسارع قد يسابق وقد لا يسابق.

وحذف المضاف في آل عمران لبيان انّ عرض الجنّة نفس السموات لامثلها، وجمع السموات في الأُولىٰ لشدّة الترغيب فيها لانّها وقعت قبل آية الانفاق، والترغيب فيه ترغيب للانفاق، فكان المثل الاعلىٰ لكسب المغفرة وسبب مهم لدخول الجنّة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

١ـ سورة آل عمران، آية ١٢٦.

٢ـ سورة الانفال، آية ١٠.

٣ـ سورة آل عمران، آية ١٣٣.

٤ـ سورة الحديد، آية ٢١.

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [1].

قد جاء توصيف الجنة بأنّها تجرى من تحتها الأنهار أكثر من أربعين موضعاً في القرآن وذلك لأنّ كلّ نعمة مادية ليس بنعمة حقيقة لأنّها تكون مثارًا للحزن والأسف ولكن الخلود في الجنة ليس له امد ولا غاية فانّها نعمة حقيقية، هذا مع انّا عندما ننظر في سياق الآيات نرىٰ مناسبات خاصة لسبب بيان هذه النعمة العظيمة.

﴿... قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [2].

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [3].

﴿... فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [4].

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [5].

قد تكرر الأمر بالتعقل في القرآن بطرق مختلفة واساليب متنوعة في هذه الآيات ونحوها كـ«العنكبوت، ٢٠؛ الروم، ٩ و ٤٤؛ فاطر، ٤٤؛ المؤمن، ٢١؛ محمد ﷺ ١٠ ترويجا للفكر الصحيح ورداً على الايمان بلا درك وشعور، هذا مع اختلاف العبارات في هذه الآيات واختلاف السياق فيها.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ

١ـ سورة آل عمران، آية ١٣٦.

٢ـ سورة آل عمران، آية ١٣٧.

٣ـ سورة الانعام، آية ١١.

٤ـ سورة النحل، آية ٣٦.

٥ـ سورة النمل، آية ٦٩.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [1].

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [2].

الآيتان تتحدثان عن النعمة الالهية العظيمة وهي بعثة الرسول الخاتم ﷺ وبرنامجه التعليمي والتربوي، فآية آل عمران نزلت بعد يأس المؤمنين فيما وقع عليهم من غـزوة أحد، فالله تعالى بيّن أكبر نعمه على المؤمنين، وآية الجمعة اشارة الى بعثة الرسول والهدف الأساسي من رسالته.

﴿... يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [3].

﴿... يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [4].

المقصود من العبارتين واحد وهو توصيف المنافقين الذين يتخلفون عن الجهاد، امّا الآية الاولى نزلت في «عبدالله بن ابي سلول» وأصحابه حينما انفصلوا عن جيش الاسلام في غزوة أحد، والآية الثانية نزلت بعد واقعة الحديبية، فانّ بعض النّاس اعرضوا عن السفر مع رسول الله ﷺ للعمرة خوفاً من القتل في مكة.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [5].

١ـ سورة آل عمران، آية ١٦٤ .

٢ـ سورة الجمعة، آية ٢ .

٣ـ سورة آل عمران، آية ١٦٧ .

٤ـ سورة الفتح، آية ١١ .

٥ـ سورة آل عمران، آية ١٨٤ .

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [1].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [2].

هذه الآيات نزلت تسلية للنبيﷺ حتّى يصبر ويقف امام المشاكل والمصائب، فلا تغتم بتكذيبهم لأنّه من دأبهم المستمر في الأُمم السالفة. فيمكن ان يقال لما تكرر تكذيب الرسول من قبل المشركين، تكررت التسلية في القرآن.

﴿... وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [3].

﴿... فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ...﴾ [4].

﴿... وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [5].

الآية الاولى وصف للنساء الأحرار والثانية للجوارى، والثالثة لأهل الكتاب فليس بتكرار.

١ـ سورة فاطر، آية ٤.

٢ـ سورة فاطر، آية ٢٥.

٣ـ سورة النساء، آية ٢٤.

٤ـ سورة النساء، آية ٢٥.

٥ـ سورة المائدة، آية ٥.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ (٢).

نزلت الأُولى في اليهود فهم الذين يحرفون كتاب‌الله وكلامه عن مواضعه، فختم الآية بـ«فقد افترىٰ اثماً عظيماً» ونزلت الثانية في الكفار بعد بيان آيات عن قصة «بشير بن الابيرق» الذي سرق من أحد المسلمين واتّهم برئيا وأراد ان يبرئ نفسه امام النبي ﷺ فارتدّ وكفر وضلّ، وكفره هو سبب لضلالته ولهذا ختم الآية الشريفة بـ«فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» فهو لو لم يرتد لم يصر محروما من رحمة‌الله التي وسعت رحمته كلّ شئ ويغفر كلّ ذنب الا الشرك به.

قال صاحب الميزان في وجه التناسب للآيتين فقال في الآية الاولى:

«ظاهره السياق ان الآية في مقام التعليل للحكم المذكور في الآية السابقة، اعنى قوله: «آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل ان نطمس...» فيعود المعنى الى مثل قولنا، فانكم ان لم تؤمنوا به كنتم بذلك مشركين، والله لا يغفر ان يشرك به فيحل عليكم غضبه وعقوبته فيطمس وجوهكم بردها الى ادبارها، أو يلعنكم، فنتيجة عدم المغفرة هذه ترتب آثار الشرك الدنيوية من طمس أو لعن عليه» (٣).

وقال في الآية الثانية:

«الظاهر الآية انّها في مقام التعليل لقوله في الآية السابقة «نولّه ما تولىٰ ونصله جهنم»

١ـ سورة النساء، آية ٤٨.

٢ـ سورة النساء، آية ١١٦.

٣ـ تفسير الميزان، ج ٤، ص ٣٧٩.

بناءً على اتصال الآيات، فالآية تدل على انّ مشاقة الرسول شرك بالله العظيم وانّ الله لا يغفر انّ يشرك به»[1].

وقال فخر الرازي في تفسيره:

«أعلم انّ هذه الآية مكررة في هذه السورة وفي تكرارها فائدتان، الأولى: انّ عمومات الوعيد وعمومات الوعد متعارضة في القرآن، وانّه تعالى ما اعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرّتين، وقد أعاد هذه الآية الدالة على العفو والمغفرة بلفظ واحد في سورة واحدة، وقد اتفقوا على انّه لافائدة في التكرير الّا التأكيد وهذا يدل على انّه تعالى خصّ جانب الوعد والرحمة بمزيد التأكيد وذلك يقتضى ترجيح الوعد على الوعيد. والفائدة الثانية: انّ الآيات المتقدمة (على الآية الثانية) انما نزلت في سارق الدرع، وقوله «من يشاقق الرسول» الى آخر الآيات انّما نزلت في ارتداده، فهذه الآية انّما يحسن اتصالها بما قبلها لوكان المراد انّ ذلك السارق لو لم يرتدّ لم يصر محروماً عن رحمتى ولكنه لما ارتد واشرك بالله صار محروماً قطعاً من رحمةالله»[2].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَاتَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[3].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[4].

١ـ تفسير الميزان، ج ٥، ص ٨٤.

٢ـ تفسير الكبير، ج ١١، ص ٤٦.

٣ـ سورة النساء، آية ١١٥.

٤ـ سورة الأنفال، آية ١٣.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (١).

الآية الاولى، نزلت في «بشير بن الابيرق» السارق المرتد والثانية نزلت بعد غزوة بدر وانكسار شوكة المشركين مع كثرتهم امام جيش المسلمين وهم قليلون.

والثالثة، نزلت بعد واقعة احد أو بدر بستة أشهر وفي اليهود من بني النظير، فهم نقضوا عهدهم على عدم التعرض ثمّ عاهدوا المشركين وارادوا اغتيال رسول الله ﷺ وهجوه بشعر، فهم يتركوا ديارهم واراضيهم ويرحلوا من المدينة مع ذلّة وذلك باقتراح النبي ﷺ منعاً لسفك دمائهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣).

امر الله تعالى في الآية الاولىٰ انّ من عنده شهادة لابدّ ان يقوم بالحقّ فيها ويشهد لله على كلّ ظالم حتّى يصل الحقّ الى المظلوم، وامّا الآية الثانية فهي أمر للولاة ويدل عليه قوله تعالى «ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا...» فهي تدل على الأمر بالعدالة للولي والعدو والله أعلم.

قال صاحب الميزان في وجه تكرار الآيتين كلاماً مفصلًا نقلناه بطوله للفوائد التي كانت في ضمنه:

١ـ سورة الحشر، آية ٤.

٢ـ سورة النساء، آية ١٣٥.

٣ـ سورة المائدة، آية ٨.

«انّما الفرق بين الآيتين، انّ آية النساء في مقام النهي عن الانحراف عن العدل في الشهادة لاتباع الهوىٰ بان يهوى الشاهد المشهود له لقرابة ونحوها، فيشهد له بما ينتفع به على خلاف الحقّ وهذه الآية اعنى آية المائدة، في مقام الردع عن الانحراف عن العدل في الشهادة لشنآن وبغض من الشاهد للمشهود عليه، فيقيم الشهادة عليه يريد بها نوع انتقام منه ودحض لحقه وهذا الاختلاف في غرض البيان هوالذي أوجب اختلاف القيود في الآيتين، فقال في آية النساء «كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله» وفي آية المائدة «كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط»، وذلك انّ الغرض في آية المائدة لما كان هو الردع عن الظلم في الشهادة لسابق عداوة من الشاهد للمشهود عليه، قيدّ الشهادة بالقسط، فأمر بالعدل في الشهادة وان لا يشتمل على ظلم حتّى على العدو، بخلاف الشهادة لأحد بغير الحقّ لسابق حبّ وهوى، فانّها لا تعدّ ظلما في الشهادة وانحرافا عن العدل وان كانت في الحقيقة لا تخلو عن ظلم وحيف، ولذلك أمر في آية المائدة بالشهادة بالقسط، وفرّعه علىالأمر بالقيام لله وأمر في آية النساء بالشهادة لله أي ان لا يتبع فيها الهوى وفرّعه علىالأمر بالقيام بالقسط. ولذلك أيضاً فرّع في آية المائدة على الأمر بالشهادة بالقسط قوله «اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله» فدعا الى العدل وعدّه ذريعة الى حصول التقوىٰ، وعكس الأمر في آية النساء ففرّع على الأمر بالشهادة لله قوله «فلا تتبعوا الهوىٰ ان تعدلوا» فنهى عن اتباع الهوى وترك التقوىٰ وعدّه وسيلة سيئة الى ترك العدل» [١].

﴿إِنْ تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [٢].

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [٣].

١ـ تفسير الميزان، ج ٥، ص ٢٤١.

٢ـ سورة النساء، آية ١٤٩.

٣ـ سورة الأحزاب، آية ٥٤.

نزلت الاولى بعد آية:

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١).

فتشير الآية الى اباحة التحدث عن محاسن الافراد او كتمانها خلافاً للمساوى التي لابد ان تكتم الّا للمظلوم في مقام الدفاع عن نفسه.

ونزلت الثانية بعد آية:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٢).

فتشير الآية الى انّ الله يعلم ما خططتم له في سبيل ايذاء النّبيّ ﷺ تبدوه على السنتكم أو تخفوه.

وقد بيّن الخطيب الاسكافي ما في الآيتين من الاختلاف في الألفاظ وما ختما بـه، فراجع.

﴿... أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (٣).

﴿... وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟

١ـ سورة النساء، آية ١٤٨.

٢ـ سورة الأحزاب، آية ٥٣.

٣ـ سورة المائدة، آية ١.

﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [1].

الآية الثانية جائت في ضمن بيان أحكام الحجّ بخلاف الآية الأُولىٰ.

﴿...يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا...﴾ [2].

﴿... يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا...﴾ [3].

﴿... يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا...﴾ [4].

يختلف معنى الفضل بمقتضى سياق الآيات، ففي الأُولى بمعنى المال والتجارة والكسب الحلال، والثانية بمعنى العطية والثواب لاعمالهم من الركوع والسجود. والثالثة وان كانت بهذا المعنى ولكن ترتب على عمل آخر وهو اخراج المهاجرين من ديارهم واموالهم، فهم يهاجرون الىالله تعالى ابتغاءً لثوابه، لا للدنيا أو شئ منها.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [5]

﴿... وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [6].

وعدالله تعالى في الآية الأُولى الذين كانوا قوامون لله تعالىٰ وهم المتقون وفي الثانية الذين كانوا مع النبي الخاتم ﷺ الراكعون الساجدون الذين تراى في سيماهم أثر السجود.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ

١ـ سورة الحج، آية ٣٠.

٢ـ سورة المائدة، آية ٢.

٣ـ سورة الفتح، آية ٢٩.

٤ـ سورة الحشر، آية ٨.

٥ـ سورة المائدة، آية ٩.

٦ـ سورة الفتح، آية ٢٩.

وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ...﴾ (١).

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ...﴾ (٢).

الاولى في نقض عهد اليهود الذي اخذهالله عليهم من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة، والثانية في نقض عهد النصارىٰ الذي نسوا حقيقة التوحيد وعلائم النبي الخاتم والبشارة به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (٤).

جواب الشرط في آية الرعد جملة «لافتدوا به» وفي آية المائدة «ما تقبل منهم» والمقصود من هذا التمثيل هو انّ العذاب سيثبت لهم ولا سبيل الى الخلاص منه، نعم التمثيل كان على وجهالحقيقة، لأنّ الانسان ذاتاً يحبّ نفسه بالنسبة الى كلّ شئ فإذا وقع في الم وتعب لافتدىٰ بكل ماله وحتى لو كان مالكا لكلّ شئ لافتدىٰ به.

﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (٥).

١ـ سورة المائدة، آية ١٣.

٢ـ سورة المائدة، آية ١٤.

٣ـ سورة المائدة، آية ٣٦.

٤ـ سورة الرعد، آية ١٨.

٥ـ سورة المائدة، آية ٤٤.

﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (١)

﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (٢).

ختم كلّ آية بما يناسبها، لأنّ من يخشى من النّاس ويشترى بآيات‌الله ثمناً قليلًا فهو كافرٌ، ومن لم يحكم بالقصاص فهو ظالم، ومن استكبر ولم يحكم بما اقرّ به المسيح عليه السلام من أهل الكتاب فهو فاسق والفسق أعظم من الكفر لآيات كثيرة نحو:

﴿...إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ...﴾ (٣).

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ (٥).

قد تقدّم على آية المائدة حكم بني‌اسرائيل من افعالهم وتحريف كتبهم ونقض ميثاقهم وقتلهم الأنبياء وحكمهم بغير ما انزل‌الله، ثمّ جاء «وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم...» وامّا آية الحديد لم يكن قبلها شئ من ذلك، بل هي سورة مشتملة على‌الوعظ والوعد

١ـ سورة المائدة، آية ٤٥.

٢ـ سورة المائدة، آية ٤٧.

٣ـ سورة الكهف، آية ٥٠.

٤ـ سورة المائدة، آية ٤٦.

٥ـ سورة الحديد، آية ٢٧.

والوعيد، والآية نزلت في هذا المجال.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [1].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [2].

التكرار في اطيعوا بدل ان يقال «اطيعوالله والرسول» لاختلاف الطاعة. فالاطاعة لله تعالىٰ على وجه والاطاعة للرسول على وجه آخر.

الاطاعة لله تعالى كان بمنزلة الانقياد له بشرايع دينه وقوانينه في كتبه بـأنّـه مـعبود ويستحقّ الطاعة.

والاطاعة لرسول الله ﷺ هي بمنزلة اتباع امره بحسب ولايته، فلما كان هذا الاتباع بامرالله تعالىٰ فاطاعة رسوله اطاعة لله نفسه، فالطاعتان طوليتان وليستا بعرضيتين.

والسّر تكرار الآيتين، انّ المراد بالطاعة في المائدة، الطاعة في الفروع نحوالاجتناب من الخمر والميسر واللغو في الايمان وغيرذلك مما سبق على الآية في نفس السورة.

والمراد بالطاعة في التغابن هو ايقاظ النّاس بالتدبر في آيات‌الله، حيث كانت تبحث السورة من البداية في التوحيد وصفات الله تعالىٰ والمعاد.

﴿... رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [3].

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [4].

١ـ سورة المائدة، آية ٩٢.

٢ـ سورة التغابن، آية ١٢.

٣ـ سورة المائدة، آية ١١٩.

٤ـ سورة التوبه، آية ١٠٠.

﴿... رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (١).

﴿... رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ (٢).

الضمير في كلّ آية يرجع الى بعض النّاس، فالمرضيون في الأُولى، الذين انجزوا ما كلّفوا به من مسئولية ورسالة ولم يسيروا الاّ في طريق الصدق، مثل المسيح عليه السلام واتباعه واتباع سائرالأنبياء الصادقين، وفي الثانية السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين تبعوهم باحسان، وفي الثالثة الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يوادّون من حادّالله ورسوله، وفي الرابعة الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم علي عليه السلام واتباعه، فعندما نزلت هذه الآية قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: هو انت وشيعتك، تاتى انت وشيعتك يوم‌القيمة راضيين مرضيين، ويأتي عدوّك غضباناً مقمحين» (٣).

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ * فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (٤).

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ * فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (٥).

هذه الآيات تشير الى انحراف الإنسان خطوة خطوة، فعندما كذّب آيات‌الله عندالمواجهة اليها اعرض عنها، ثمّ استهزء بها.

١ـ سورة المجادلة، آية ٢٢.

٢ـ سورة البينة، آية ٨.

٣ـ شواهد التنزيل، حديث ١١٢٦.

٤ـ سورة الأنعام، آيتى ٤ و ٥.

٥ـ سورة الشعراء، آيتى ٥ و ٦.

فالآيتين في الانعام كانتا موجهتان الى المشركين وبيان عنادهم تجاه الحق.

واما الآيتين في الشعراء بملاحظة نزولها بعد: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [1] تشير الى ان الله تعالى يمكن له ان يجعل المشركين مؤمنين كلّهم ولكنهم يعرضون عن الحق ويكذبونه ويستهزئون به.

﴿... ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [2].

﴿... ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [3].

الآية الأولىٰ نزلت في الكفار والمشركين الذين يكذبون آيات‌الله ويستهزئون بالأنبياء، والثانية نزلت في أهل الكتاب الذين يعرفون النبي الخاتمﷺ معرفة تامة كما يعرفون ابنائهم بعلاماتهم الدقيقة وخصائص التفصيلية.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [4].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [5].

الآية الثانية كانت اعم بالنسبة الاولىٰ، فهي تشمل جميع النّاس.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

١ـ سورة الشعراء، آيتى ٣ و ٤.

٢ـ سورة الأنعام، آية ١٢.

٣ـ سورة الأنعام، آية ٢٠.

٤ـ سورة الأنعام، آية ١٧.

٥ـ سورة يونس، آية ١٠٧.

ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.[1]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ...﴾ [2].

﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [3].

تكررت العبارة في هذه الآيات ونحوها مثل سورة الأعراف، آية ٣٧؛ سورة يونس، آية ١٧؛ سورة الكهف، آية ١٥؛ سورة العنكبوت، آية ٦٨؛ سورة الزمر، آية ٣٢؛ سورة الصف، آية ٧ وهذا لأنّ للظلم في كلّ آية من هذه الآيات وغيرها معنى قد يختلف عما في الآيات الأُخرىٰ، ويعرف ذلك بملاحظة السياق، لأن كلّ آية نزلت تفريعاً على ما قبلها.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [4].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [5].

نزلت الآية الأُولى في نفر من مشركى مكّة منهم «النضر بن الحارث» و«أبوسفيان بن حرب» و«الوليد بن مغيرة» و «عتبة بن ربيعة» واخوه «شيبة» وغيرهم، فهم استمعوا الى رسول‌الله ﷺ وهو يقرأ القرآن، فقالوا للنضر: ما يقول؟ فقال: اساطير الأولين مثل ما

١ـ سورة الأنعام، آية ٢١.

٢ـ سورة الأنعام، آية ٩٣.

٣ـ سورة الأنعام، آية ١٤٤.

٤ـ سورة الأنعام، آية ٢٥.

٥ـ سورة يونس، آية ٤٢.

احدثكم عن القرون الماضية فانزل الآية، ونزلت الثانية في جمع الكفار بلاسبب خاص على كلامه ومن هذا جائت بلفظ الجمع «يستعمون»

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَانَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [1].

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [2].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [3].

في الآية الأُولى احتمالان وهما:

١ ـ انما الكفار والمشركين طلبوا ارجاعهم الى الدنيا لإصلاح امورهم وترك ذنوبهم «فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بايات ربّنا» [4]، ولكن القرآن يعتقد بانّهم اذا رجعوا الى الدنيا، يعاودوا ما كانوا عليه وقالوا:انّ هي الّا حياتنا الدنيا....

٢ ـ انّ الآية تبحث عن بعض المشركين الذين ينكرون المعاد من رأس خلافاً لبعضهم المعتقدون بنوع منه.

والآية الثانية من جملة محاجة وقعت بين من هو في الجنة وقرينه في جهنم، فهو يراه في سواء الجحيم، ثمّ يقول له: الم تكن انت قائل لى في الدنيا باننا لا نموت ولا نحيىٰ، وتقول: افما أنت بميّتين؟

والآية الثالثة حكاية قول المشركين في انكار المعاد.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَانَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [5].

١ـ سورة الأنعام، آية ٢٩.

٢ـ سورة الصافات، آيتى ٥٨ و ٥٩.

٣ـ سورة الدخان، آيتى ٣٤ و ٣٥.

٤ـ سورة الأنعام، آية ٢٧.

٥ـ سورة الأنعام، آية ٢٩.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (١).

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢).

اخبرت هذه الآيات عن اعتقاد المنكرين والدهريين في إنكار البعث والمعاد، وقد تكررت لتكرار عقيدتهم الفاسدة وذكر البراهين الساطعة والمختلفة على ردّها.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣).

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ (٥).

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (٦).

١ـ سورة المؤمنون، آية ٣٧.

٢ـ سورة الجاثية، آية ٢٤.

٣ـ سورة الأنعام، آية ٣٢.

٤ـ سورة العنكبوت، آية ٦٤.

٥ـ سورة محمّد ﷺ، آية ٣٦.

٦ـ سورة الحديد، آية ٢٠.

تقدم اللعب في غير العنكبوت لأنّه هو مقتضى طبيعة الإنسان فانّه يلعب قبل ان يلهو بسنين، وما في العنكبوت، فان السائل يسألهم عند بلوغهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١) ويلزم في هذا السن ان يقدّم اللهو لأنّه قد تجاوز عن زمن اللعب.

وامّا علة التكرار في هذه الآيات فهي لاختلاف مقتضاها ولبيان اشياء آخر لم تذكر في آية واحدة.

﴿... وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

﴿... وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣).

﴿... وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤).

فقد تكرر ثلاث مرات، فالدار في الآية الأُولىٰ جائت باللام الموطئة للقسم وفي الآيتين الأوليين كانت الآخرة وصفاتها، رعاية لنظم الكلام وحتّى ان تتطابق مع ما تقدم عليهما، فحينما تقدّم على آية الأنعام «حياتنا الدنيا» وفي الأعراف «هذه الأدنى» فقوبل كليهما بانّ الدار الآخرة خيرٌ، وهذا بخلاف الثالثة فجائت مضافة الى الآخرة، والسر في تكرارها قد مرّ بيانه.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

١ـ سورة العنكبوت، آية ٦٣.

٢ـ سورة الأنعام، آية ٣٢.

٣ـ سورة الأعراف، آية ١٦٩.

٤ـ سورة يوسف، آية ١٠٩.

٥ـ سورة الأنعام، آية ٣٧.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَـذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [1].

تشير الآية الاولىٰ الى اعتذار المشركين فهم عند عجزهم عن تحدى القرآن واتيان سورة مثله على الأقل، قالوا: لا يفيدنا هذا فاين اعجازك ان كنت من الصادقين؟!! فات بمعجزات مثل ما اتى به موسىٰ وصالح وغيرهما من الأنبياء. ويمكن ان نقول في الآية الثانية ان هذه الاقتراحات كانت من قبل أهل‌الكتاب وذلك بشهادة السياق مع انّه يمكن ان نقول بتعدد هذه الاقتراحات الباطلة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [2].

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَـذَابُ ٱللَّـهِ بَـغْتَةً أَوْ جَـهْرَةً هَـلْ يُهْـلَكُ إِلَّا ٱلْـقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [3].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَـٰكُمْ عَذَابُهُ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [4].

هذا من أحسن وجوه البيان الذي مرّ بحثه سابقاً وهو بيان سؤال واحدة بألفاظٍ مختلفةٍ، فيها ذكر الدليل بلطافة خاصة مع مالها من الأهمية.

﴿وَلَـقَدْ أَرْسَـلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَـمٍ مِّـن قَـبْلِكَ فَأَخَـذْنَـٰهُم بِـالْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَـعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [5].

١ـ سورة العنكبوت، آية ٥٠ .

٢ـ سورة الأنعام، آية ٤٠ .

٣ـ سورة الأنعام، آية ٤٧ .

٤ـ سورة يونس، آية ٥٠ .

٥ـ سورة الأنعام، آية ٤٢ .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [1].

تشير الآية الأُولىٰ الى احوال الامم الماضية ووجود عوامل التربية والوعى لهم، بينما تقدّم علىالآية الثانية قصة بعض الأنبياء من آدم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب، فالآية تنظر الى هلاك أقوام هؤلاء الأنبياء.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [2].

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [3].

الآية الأُولى خطاب رسول‌الله ﷺ في قبال اقتراحات المشركين الباطلة بمشاهدة معجزات عينية، والثانية خطاب لنوح عليه السلام ردًا لادعائات كاذبة في حقّه بانّ له خزائن‌الله وله علم الغيب وانّه ملك.

﴿... قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [4].

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [5].

١ـ سورة الأعراف، آية ٩٤.

٢ـ سورة الأنعام، آية ٥٠.

٣ـ سورة هود، آية ٣١.

٤ـ سورة الأنعام، آية ٩٠.

٥ـ سورة هود، آية ٢٩.

﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١)

وكذا آية ١٠٤ في سورة يوسف، و ٥٧ في سورة الفرقان، و ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠ في سورة الشعراء، و ٨٦ في سورة ص . و ٢٣ في سورة الشورىٰ، فالآية الأُولىٰ من هود في حقّ نوح والثانية منها في حقّ هود، وآيات الشعراء في حقّ نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وآية الأنعام ويوسف والفرقان و ص والشورىٰ، في حقّ نبينّا محمّد صلى الله عليه وآله ولكن قد عرفت ما فيها من الاختلاف في الألفاظ لبيان مفاهيم جديدة مضافا الى سياقها المختلف.

﴿... وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٢).

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣).

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٤).

اداء الفريضة والمحافظة عليها وصف مهم للمؤمن وبها يعرف المؤمن من الكافر وقد تكرر اقامة هذه الفريضة في ضمن أوصاف أُخرىٰ للمؤمن في كلّ سورة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (٥).

﴿... إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ (٦).

١ـ سورة هود، آية ٥١.

٢ـ سورة الأنعام، آية ٩٢.

٣ـ سورة المؤمنون، آية ٩.

٤ـ سورة المعارج، آية ٣٤.

٥ـ سورة الأنعام، آية ١١٧.

٦ـ سورة النجم، آية ٣٠.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [1].

يعرف مصداق الهداية والضلالة من الآيات السابقة على كلّ واحدة من هذه الآيات، فالمصداق في الآية الأُولىٰ التابعين للعلم أو الظن، وفي الآية الثانية الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والذين يسمون الملائكة اناثاً، وفي الثالثة الذين لا يؤمنون بالنبي الخاتمﷺ والذين يقولون انّه المفتون، على أنّه ورد في تفسير الآية الثالثة لعبدالله الحسكاني رواية هكذا نصها:

«أخبرنا السيد أبوالحمد مهدي بن نزار الحسيني القائني ، قال: حدثنا الحاكم أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني، قال: حدّثنا أبوعبدالله الشيرازي، قال حدثنا أبوبكر الجرجاني، قال: حدثنا أبوأحمد البصرى، قال: حدّثني عمرو بن محمد بن تركى، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن شعيب، عن عمرو بن شمر، عن دلهم بن صالح، عن الضحاك بن مزاحم، قال: لما رأت قريش تقديم النبيﷺ علياًعليه السلام واعظامه له، نالوا من على، وقالوا: قد افتتن به محمد. فانزل‌الله تعالى «ن والقلم وما يسطرون» قسمٌ اقسم‌الله به «ما انت» يا محمد «بنعمة ربّك بمجنون، وانّك لعلىٰ خلق عظيم» يعنى القرآن الى قوله «بمن ضله عن سبيله» وهم النفر الذين قالوا ما قالوا، «وهو اعلم بالمهتدين» علي بن ابيطالبعليه السلام [2].

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ﴾ [3].

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [4].

١ـ سورة القلم، آية ٧.

٢ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١٠، ص ٨٧.

٣ـ سورة الأنعام، آية ١٣١.

٤ـ سورة هود، آية ١١٧.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾ (١).

ان هذه الآيات تشير الى سنةالله الجارية في كلّ زمن وهو عقاب المنكرين والمكذبين بعد ارسال الرسول ومع هذا كلّ آية يحتوى على لطائف ففي الاولى انّ العقوبة على الغافلين يعتبر ظلماً والثانية تشير الى ان المجتمع ان كان ظالماً ولكنه فيه من يقوم باصلاحه فهلاك هذا المجتمع يعتبر ظلماً بخلاف المجتمع الذي لا يكون فيه المصلح، وهذا يعرف بملاحظة التفاوت بين كلمتي «مصلحون» و «الصالحون» وعلىٰ هذا فلا يوجد تكرار.

﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُ لَايُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (٢).

﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (٣).

﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَـٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

الآية الأُولى والثالثة وعيد للكفار والمشركين فأمرالله تعالى رسوله انّ يهدد الذين لم يستسلموا لمنطق العقل ولم يستجيبوا لنداء الوجدان مع انّ الآية الاولى نزلت بعد وعيد آخر قبلها والآية الثانية تهديد من شعيب عليه السلام، قال صاحب الميزان:

«وهذا تهديد من شعيب أشد التهديد، فانّه يشعر بانّه على وثوق مما يقول لايأخذه

١ـ سورة القصص، آية ٥٩.

٢ـ سورة الأنعام، آية ١٣٥.

٣ـ سورة هود، آية ٩٣.

٤ـ سورة الزمر، آية ٣٩.

قلق واضطراب من كفرهم به وتمردهم عن دعوته، فليعلموا على مالهم من القوّة والتمكين، فلهم عملهم وله عمله»[1].

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[2].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[3].

أشارتا هاتان الآيتان الى استدلال المشركين لعقيدتهم الفاسدة بأنّ كلّ ما عملوه وكلّ ما اعتقدوه فهو موافق لرضى الله تعالى، لأنّ سكوته دليل على رضاه ولولم يكن راضياً بها لوجب منعهم عنها.

وفي الأُولى أضاف الله تعالىٰ انّ منشاء هذه العقيدة الفاسدة هو اوهام خيالية وانّ الله لم يسكت بل له الحجة بالغة بحيث لا يبقى مجال للشك والترديد لأحدٍ.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4].

١ـ تفسير الميزان، ج ١٠، ص ٣٦٤.

٢ـ سورة الأنعام، آية ١٤٨.

٣ـ سورة النحل، آية ٣٥.

٤ـ سورة الأنعام، آية ١٥١.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّـاكُـمْ إِنَّ قَـتْلَهُمْ كَـانَ خِـطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [1].

ففي الآية الأُولى، كان الاملاق سببا للقتل وختم الآية بـ «نـحن نـرزقكم وايـاهم» فتقديم الرزق لهم ثمّ لأولادهم كانت لدفع هذا التوهم، وامّا الآية الثانية قد نهت عن القتل لخشية الفقر والخوف منه فالخشية كانت علة للقتل لانفس الاملاق فقدمالله تعالى رزق الاولاد حتّىٰ تذهب هذه الخشية المذمومة من نفوسهم.

قال صاحبالميزان رحمةالله عليه في تفسير الآية الثانية:

«وقد تكرر في كلامه تعالى النهي عن قتل الاولاد خوفاً من الفقر وخشية من الاملاق وهو مع كونه من قتل النفس المحترمة الّتي يبالغ كلامه تعالىٰ في النهي عنه، انّما افـرد بالذكر واختص بنهى خاصّ لكونه من اقبح الشقوه وأشدّ القسوة ولأنّهم (كما قيل) كانوا يعيشون في اراضي يكثر فيها السنة ويسرع اليها الجدب، فكانوا اذا لاحت لوائح الفاقة والاعسار بجدب وغيره بادروا الى قتل الاولاد خوفاً من ذهاب الكرامة والعزة» [2].

﴿قَالَ مَامَنَعَكَ أَلَّاتَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَـلَقْتَهُ مِـن طِينٍ﴾ [3].

﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [4].

﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْـجُدَ لِمَـا خَـلَقْتُ بِـيَدَيَّ اسـتَكْبَرْتَ أَمْ كُـنتَ مِـنَ

١ـ سورة الأسراء، آية ٣١.

٢ـ تفسير الميزان، ج ١٣، ص ٨٣.

٣ـ سورة الأعراف، آية ١٢.

٤ـ سورة الحجر، آية ٣٢.

العَالِينَ﴾ [1].

قدمرّ وجه التكرار في القصص القرآنية وكان من أهمها تكرار القصة لبيان جهات مختلفة منها لم تذكر من قبل مع ان «المنع» فى الآية الاولى متضمن معنى حمل اى ما حملک.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [2].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [3].

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [4].

الآيات كلّها، تشير الى قانون كلى لكل البشرية فكلهم ينتظرون حتّى يأتى أجلهم فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

نعم الآيتان الاوليتان تشيران الى فناء الأُمم، فانّ للامم بقاء وفناء كما انّ النّاس يحيون ويموتون، والآية الثالثة كانت جواباً لهذا السؤال وهو: لماذا لا يعذب‌الله المذنبين بذنوبهم العظيمة؟ ولماذا تأخر أجلهم حتى انّ تأخيره صار سبباً للافساد والفساد؟

﴿... أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ كَـٰفِرُونَ﴾ [5].

١ـ سورة ص، آية ٧٥.

٢ـ سورة الأعراف، آية ٣٤.

٣ـ سورة يونس، آية ٤٩.

٤ـ سورة النحل، آية ٦١.

٥ـ سورة الأعراف، آيتى ٤٤ و ٤٥.

﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ (١).

هاتان الآيتان قد فسرتا الظالمين واشارتا الى علّة ظلمهم ولكن الأُولىٰ منهما قول مؤذن بين أهل الجنة والنّار عند اعترافهم بوصول ما وعدالله لهم، والثانية قول الاشهاد في المحشر عند ما يعرض الكاذبون على ربّهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا * لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ (٣).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤).

الرياح هي السبب لنزول الرحمة الالهية من غيث السماء والبشارة بها، وتكرارها لأهميتها ولبيان جزء آخر من جوانب الرحمة الالهية فلا بأس به.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

١ـ سورة هود، آيتى ١٨ و ١٩.

٢ـ سورة الأعراف، آية ٥٧.

٣ـ سورة الفرقان، آيتى ٤٨ و ٤٩.

٤ـ سورة الروم، آية ٤٨.

٥ـ سورة الأعراف، آية ٦٢.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (١).

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ (٢).

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾ (٣).

الآية الأُولى في قصة نوح والثانية في قصة هود والثالثة في قصة صالح والرابعة في قصة شعيب، وبما انّ الابلاغ في قصة نوح وهود وقع في ابتداء الرسالة جائت الآية بلفظ مستقبل «ابلغكم» وان الابلاغ في قصة صالح وشعيب وقع في آخر الرسالة «وقريباً من العذاب فجاء بلفظ الماضى «بلغتكم».

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ (٤).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (٥).

قد تكررت الآتيان في خلال قصة نوحعليه السلام وقد مرّ وجهها.

﴿... هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ

١ـ سورة الأعراف، آية ٦٨.

٢ـ سورة الأعرف، آية ٧٩.

٣ـ سورة الأعراف، آية ٩٣.

٤ـ سورة الأعراف، آية ٦٤.

٥ـ سورة يونس، آية ٧٣.

فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (٢).

﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

تكررت الآيات في ضمن قصة قوم ثمود وما وقع بينهم وبين نبيّهم في قضية الناقة، وقد جائت لبيان مواضع أُخر من القصة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ (٤).

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ (٥).

قد تكررتا الآيتان في ضمن قصة قوم ثمود ومرّ البحث عنهما.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَاسَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٦).

١ـ سورة الأعراف، آية ٧٣.

٢ـ سورة هود، آية ٦٤.

٣ـ سورة الشعراء، آيتى ١٥٥ و ١٥٦.

٤ـ سورة الأعراف، آية ٧٨.

٥ـ سورة هود، آية ٦٧.

٦ـ سورة الأعراف، آيات ٨٠الى ٨٤.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (١).

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (٢).

ان التكرار في هذه الآيات كان في خلال قصة قوم لوط وقد مرّ البحث عن سرّ هذا النوع من التكرار ولكن يمكن ان نقول: أن اختلاف الألفاظ في هذه الآيات يدل على معاني جديدة بالنسبة اليها، فمثلًا الاستفهام في آية الأعراف كانت لبيان شدّة التوبيخ و....

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٣).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (٤).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ

١ـ سورة النمل، آيات ٥٤ الى ٥٨.

٢ـ سورة العنكبوت، آيات ٢٨ الى ٣٠.

٣ـ سورة الأعراف، آية ٨٥.

٤ـ سورة هود، آية ٨٤.

فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [1].

قد تكررت الآية في خلال قصة شعيب وقومه.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [2].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [3].

نزلت الآية الأولى بعد قصة شعيب والثانية بعد قصة نوح عليه السلام.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ...﴾ [4].

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [5].

قد تكررتا في خلال قصة موسىٰ وترى فيهما اشياء لم يذكر الّا مرّة واحدة.

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [6].

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [7].

١ـ سورة العنكبوت، آية ٣٦.

٢ـ سورة الأعراف، آية ١٠١.

٣ـ سورة يونس، آية ٧٤.

٤ـ سورة الأعراف، آيات ١٠٦ الى...

٥ـ سورة الشعراء، آيات ٣٠ الى ٣٣.

٦ـ سورة الأعراف، آية ١١٥.

٧ـ سورة طـه، آية ٦٥.

يمكن ان نقول؛ انّ الاختلاف في العبارتين مع انّهما حكاية لقول السحرة لانفس قولهم لرعاية الفاصلة أو لعل التكرار جاء من قبل السحرة فهم يقولون هذا الكلام في موضعين أو موضع واحد ولكن تكرر كلامهم، أو بعضهم يقولون بهذا وبعضهم بهذا، أو يقولون بلفظ واحد وقد تغير في اللغة العربية.

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ * قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [1].

﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَاصَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [2].

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ * قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [3].

قد تكررت الآيات في خلال تكرار القصة وذلك لبيان زوايا مختلفة من القصة والاختلاف الذي كان في ترتيب كلماتها انما هو لوجوه منها لرعاية الفاصلة.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَايُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَاتَأْتِيكُمْ إِلَّابَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ * قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَاضَرًّا إِلَّامَاشَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَامَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا إِلَّانَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [4].

١ـ سورة الأعراف، آيات ١٢٠ الى ١٢٢.

٢ـ سورة طـه، آية ٦٩.

٣ـ سورة الشعراء، آيات ٤٦ الى ٤٨.

٤ـ سورة الأعرف، آيتى ١٨٧ و ١٨٨.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَانَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ...﴾ (١).

قد جاء في سبب نزول آية الأعراف، انّ قريشاً ارسلت عدة الى نجران ليسألوا اليهود مسائل ثمّ يلقوها على النبيّ لكشف عجزه عن اجابتهم ومن جملتها عن الساعة ايّـان مرسيٰها؟ فقال اليهود لقريش ان اجاب النبيّ عن هذا السئوال فهو كاذب لانّ علمه عندالله تعالى.

وامّا ما جاء في سورة يونس فهو كلام مشركى عصر النبيﷺ فـهم يـريدون بـهذا التسائل القاء الشك في قلوب النّاس، وامّا تقدّم النفع على الضرر كما في سورة الأعراف أو عكسها في سورة يونس فقال الكرماني فيها:

«أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معاً جاء بتقديم لفظ الضرّ على النفع، لانّ العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه اولًا ثمّ طمعاً في ثوابه ثانياً، يقويه قوله «يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً» (٢) وحيث تقدم النفع على الضر تقدّم لسابقة لفظ تضمن نفعاً وذلك فـي ثمانية مواضع (من القرآن)» (٣).

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤).

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (٥).

النزغ بمعنى الدخول في عمل لافساده وله معنى عام يطلق على جميع الوسـاوس

١ـ سورة يونس، آيتى ٤٨ و ٤٩.

٢ـ سورة السجدة، آية ١٦.

٣ـ البرهان في توجيه متشابه القرآن، رقم ١٦٠.

٤ـ سورة الأعراف، آية ٢٠٠.

٥ـ سورة فصلت، آية ٣٦.

الشيطانية بجميع أنواعها.

قال الاسكافي في تنكير لفظين «السميع والعليم» في سورة الأعراف بخلاف ما جاء في سورة فصلت:

«انّ الأوّل وقع في فاصلة ما قبلها من الفواصل افعال جماعة أو اسماء مأخوذة من الأفعال من نحو قوله: فتعالى الله عما يشركون، وبعده يخلقون وينصرون ويبصرون، والجاهلين فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الاسماء الموديّة معنى الفعل اعنى النكرة وكان المعنىٰ استعذ بالله انّه يسمع استعاذتك ويعلم استخارتك.

والتي في سورة حم سجده قبلها فواصل يسلك بها طريق الاسماء وهي ما في قوله تعالى «ادفع بالتي هي أحس...» فقوله «ولى حميم» ليس من الأسماء التي يراد بها الافعال... فأخرج «سميع عليم» بعد فواصل التي هي على سنن الاسماء على لفظ يبعد عن اللفظ يؤدى معنى الفعل فكأنّه قال: انّه هو الذي لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم فليس القصد الأخبار عن الفعل كما كان في الأُولىٰ...» [1].

وقال صاحب ملاك التأويل:

«انّ سورة الأعراف تقدم فيها قبل الآية وصف آلهتم المنحوتة من الحجارة والخشب... فورد الوصفان بقوله «سميع عليم» مورداً لم يتقدمه ما يوهم صلاحية شئ من ذلك لغيره تعالىٰ ممّا عبدوه من دونه مما قصدهنا ولا ذكر دعوى شئ من ذلك من مدع فيستدعى ذلك التوهم مفهوماً ينفيه فجاء على ما يجب.

وامّا آية فصلت فتقدم قبلها قوله تعالى «ولكن ظننتم...» وقوله تعالى «وقضينا لهم...» وقوله تعالى: «ارنا الذين اضلانا من الجن والانس» فحصل من هذا ان مضليهم انّما كانوا

١ـ درة التنزيل، ص ١٨٢.

من عالم الانس والجن، وكلا الصنفين موصوف بالسمع والبصر... فلمّا تقدّم في سورة السجدة من يظن منه الغني ويمكن منه انّ يسمع ويبصر ويعلم، ناسبه التعريف في الصفة ليعطي بالمفهوم نفي ذلك عن غيرالموصوف بهما تعالى»[1].

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[3].

الآية الأُولىٰ نزلت في ارادة الله تعالى لانتصار المسلمين في وقعة بدر، انتصاراً عسكرياً في أوّل غزوة وكان مهمّاً جدّاً، والآية الثانية تشير الى معنى كلّى وعلىٰ هذا ليس بتكرارٍ.

قال الرازي في نفي تكرار الآيتين:

«ليس ههنا تكرير، لأنّ المراد بالأوّل سبب ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين ونصرة هذه الشريعة، لأنّ الذي وقع من المؤمنين يوم بدر بالكافرين كان سببا لعزةالدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله (ويبطل الباطل) الذي هو الشرك وذلك في مقابلة (الحقّ) الذي هوالدين والايمان»[4].

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ...﴾[5].

١ـ ملاك التأويل، ص ٥٧٩.

٢ـ سورة الأنفال، آية ٧.

٣ـ سورة الأنفال، آية ٨.

٤ـ تفسير الكبير، ج ١٥، ص ١٣٢.

٥ـ سورة التوبه، آية ٧.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً...﴾ [١].

قد تكرر لفظ «كيف» لرفع الابهام في البيان الذي حصل لطول المطلب ومجئ الاستثناء قال الرازي في علة هذا التكرار:

«أعلم ان قوله: «كيف» تكرار لاستبعاد المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً أي كيف يكون عهدهم وحالهم انّهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا الى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم» [٢].

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [٣].

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [٤].

الآية الاولى في المشركين الذين نقضوا العهود، فانّهم من قريش كما انّ النبي ﷺ منها ولكن لا يرقبوا ولا يرحموا النبي ومن معه من المسلمين.

والآية الثانية تدل على أنّهم لا يرقبوا كلّ مؤمن فهم في الحقيقة اعداء الايمان كلّه. قال الطبرسي في علة تكرار الآيتين:

«الفائدة في الاعادة، انّ الأوّل في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وقيل انما كرّر تأكيداً» [٥].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

١ـ سورة التوبة، آية ٨.

٢ـ تفسير الكبير، ج ١٥، ص ٢٣٨.

٣ـ سورة التوبة، آية ٨.

٤ـ سورة التوبة، آية ١٠.

٥ـ تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ٢١.

ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [1].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [2].

المراد من النور هو دين الاسلام وتعاليمه، جاء في سورة التوبة «ان يطفئوا» وجاء في سورة الصف «ليطفئوا» فقال الراغب في مفرداته ذيل مادة «طفئ»:

«الفرق بين الموضعين، انّ في قوله «يريدون ان يطفئوا» يقصدون اطفاء نورالله، وفي قوله «ليطفئوا» يقصدون امراً يتوصلّون به أي اطفاء نورالله».

الاباء في الآية الأُولىٰ يفيد النهي الشديد والامتناع القويّ على عدم الارادة من الله تعالىٰ؛ هذا، والآية الاولىٰ انّما جائت بعد بيان انحراف اليهودية والمسيحية عن التوحيد والثانية جائت بعد تكذيبهم رسول‌الله رغم ما بشّرابه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [3].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [4].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [5].

نزلت الاولىٰ بعد بيان شرك اليهود والنصارىٰ وعقيدتهم الباطلة بأن عزير ابن‌الله

١ـ سورة التوبه، آية ٣٢.

٢ـ سورة الصف، آية ٨.

٣ـ سورة التوبة، آية ٣٣.

٤ـ سورة الفتح، آية ٢٨.

٥ـ سورة الصف، آية ٩.

والمسيح ابن‌الله، ونزلت الثانية بعد ما جاء في الحديبية وتصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وآله، ونزلت الثالثة بعد ما قال أهل‌الكتاب في تكذيب الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١).

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٢).

قد قيل من سبب تكرارها، انّ الآية الاولىٰ تتضمن معنى الشرط والفاء للجواب بخلاف الثانية، أو الاولى في قوم والثانية في آخرين، أو الاولى في اليهود والثانية في المنافقين.

قال صاحب مجمع‌البيان نقلًا عن الجبائي:

«وانّما كرر للتذكير في موطنين، مع بعد أحدهما عن الآخر، ويجوز ان يكون الآيتان في فريقين من المنافقين، فيكون كما يقول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو» (٣).

نعم قال فخرالرازي في تفسيره في بيان حكمة التكرير:

«انّ أشد الأشياء جذبا للقلوب وجلبا للخواطر، الى الاشتغال بالدنيا، هو الاشتغال بالأموال والأولاد وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرّة بعد أُخرى، الّا انّه لما كان أشدّ الأشياء في المطلوبية والمرغوبية للرجل المؤمن هو المغفرة الله تعالىٰ، لاجرم أعاد الله قوله «ان الله لا يغفران يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» في سورة النساء مرّتين، وبالجمله

١ـ سورة التوبة، آية ٥٥.

٢ـ سورة التوبة، آية ٨٥.

٣ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ٥، ص ١٠٠.

فالتكرير يكون لأجل التأكيد فههنا للمبالغة في التحذير وفي آية المغفرة للمبالغة في التفريح»[1].

ما نقله الطبرسي جيد، فقد نزلت الآية الأُولى في قوم من المنافقين لهم أموال وأولاد وأراد بالأُخرىٰ قوم آخرين والكلام الواحد اذا ذكر في أقوام مختلفة ولأسباب متعددة لم يعد تكراراً، كما انّ المفسّرين غالباً ذكروا شأناً لنزول الآية الثانية وملخصه: انّ النبيّ لما مات «عبدالله بن أبي» صلّى عليه ووقف على قبره ودعاله، اولفّه بقميصه كفناً له فنزلت الآية «لا تصل على أحد منهم مات أبداً...» ونهاه عن تكرار هذا العمل بيد ان العلامة الطباطبائى فى تفسيره ضعّفه لاشتماله على التناقض والتعارض فراجع.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

نزلت الآية الأُولىٰ في جماعة من المنافقين الذين أمر النبيﷺ المؤمنين حين رجوعه من تبوك بأنّ لا يجالسوهم ولا يكلّموهم، والثانية في المؤمنين والفاتهم بأنّ الله ورسوله والمؤمنين و هم الائمة عليهم السلام يعلمون ما عملوا ويرون مافعلوا.

فشاهدنا في الآية الأُولى مجئ الله «ورسوله» وفي الثانية هو «الله ورسوله والمؤمنون». وذلك لأنّ بعض اعمال المنافقين بما فيها من خفاء النية وان النية لا يعلم بها الّاالله أو

١ـ تفسير الكبير، ج ١٦، ص ١٥٨.

٢ـ سورة التوبة، آية ٩٤.

٣ـ سورة التوبة، آية ١٠٥.

من يأذنه تعالى ﷺ، فاعمالهم قد تخفى عن المؤمنين.

قال العلامة الطباطبايي في تفسير الآيتين ووجه الفرق بينهما:

«فهذا هو الفرق بين الآيتين مع اتحادهما في ظاهر السياق حيث ذكر في الآية التي نحن فيها: الله ورسوله والمؤمنون، وفي الآية السابقة: الله ورسوله، واقتصر على ذلك. فهذا ما يعطيه التدبر في معنى الآية ومن لم يقنع بذلك ولم يرض دون أن يصور للآية معنى ظاهرياً فليقل إن ذكره تعالى «الله ورسوله» في خطاب المنافقين إنّما هو لأجل أنّهم إنّما يريدون أن يكيدوا الله ورسوله ولاهمّ لهم في المؤمنين، وأمّا ذكره تعالى: «الله ورسوله والمؤمنين» في الخطاب العام فإنّما الغرض فيه تحريضهم على العمل الصالح في مشهد من الملأ الصالح ولم يعبأ بحال غيرهم من الكفار والمنافقين. فتدبر»[1].

﴿... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[2].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[3].

قد وصف ابراهيم عليه السلام في الآية الاولى بعد استغفاره لآزر بـ «اوّاه حليم» وفي الآية الثانية، بعد مجادلته في قوم لوط شفاعة لهم بـ «اواه منيب» فهو يطلب من الله تعالى تأخير العذاب والعقاب عن قوم لوط لأنّه لم يتضح له قطعية أمر العذاب عليهم.

﴿... تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾[4].

﴿... تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾[5].

١ـ تفسير الميزان، ج ٩، ص ٣٩٤.

٢ـ سورة التوبة، آية ١١٤.

٣ـ سورة هود، آية ٧٥.

٤ـ سورة يونس، آية ١.

٥ـ سورة لقمان، آية ٢.

اختلف المشار اليه في هاتين الآيتين فكل تشير الى الآيات التي جاءت بعدها وتكرار الاشارة مع اختلاف المشار إليه لا يعد تكراراً.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ (٢).

نزلت الأُولى في بيان علّة عدم اتباع المشركين للحق فالله تعالى علم بانّهم لا يؤمنون فحقت عليهم كلمة العذاب.

والثانية تختص بالكفار من امّة رسول‌الله ﷺ أي كما حقّ العذاب على الأمم السالفة فحقّ على الذين كفروا من هذه الأُمّة.

﴿... وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (٣).

﴿... لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (٤).

انّ الله تبارك وتعالىٰ في الآية الأُولىٰ اراد بيان علم الله تعالى لكلّ شئ فما كان شئ في الأرض ولا في السماء حتّى لوكان بقدر ذرّة، الّا وهو سبحانه وتعالىٰ يعلم به.

ونزلت الثانية في بيان انّ الله تعالىٰ يبعث من في القبور فهو يعلم بكلّ شئ، ويقدر على كل شى، فاختلاط جسم الإنسان بسائر الموجودات وحلولها في أبدان آخرين أو تفتتها في التراب لا يمنع من حياتها مرة اخرى.

١ـ سورة يونس، آية ٣٣.

٢ـ سورة غافر، آية ٦.

٣ـ سورة يونس، آية ٦١.

٤ـ سورة سباء، آية ٣.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيَ إِسْرَاءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [1].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِيَ إِسْرَاءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [2].

مع ما فيها من الاختلاف في الألفاظ والعبارات، فكل آية نزلت في ضمن قصة بني‌اسرائيل لبيان زوايا مختلفة من هذه القصة.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [3].

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [4].

ويمكن معرفة الاختلاف في الآيتين فان في الآية الأُولى، «ومن ضلّ فانّما يضلّ عليها» وفي الثانية «ومن ضلّ فقل انّما انامن المنذرين» وهذا من طرائف القرآن، فالآية الثانية تقول انّ النبي ﷺ ينذر دائماً ولا يترك المعاندين على حالهم بخلاف الاولى فانّها تقول من ضلّ فضرره عليه.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [5].

١ـ سورة يونس، آية ٩٣.

٢ـ سورة الجاثية، آيتى ١٦ و ١٧.

٣ـ سورة يونس، آية ١٠٨.

٤ـ سورة النمل، آية ٩٢.

٥ـ سورة هود، آية ٢٢.

﴿لَاجَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (١).

اختلاف الصيغه في «الاخسرون والخاسرون» لرعاية الفاصلة، فالآية الأُولى نزلت في المنكرين الذين يفترون على الله كذباً، والثانية نزلت لمن كفر بالله بعد ايمانه.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَيٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ﴾ (٢).

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَيٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (٣).

نزلت الآية الأُولى في نوح وقومه، والثانية في صالح وقومه وتقديم المجرور في قصة صالح للتأكيد على انّ الرحمة من عندالله تعالىٰ وهذا بعد مجادلة شديدة قد وقعت بين صالح وقومه، واسائتهم لنبيّهم بهذا «قد كنت فينا مرجواً» هذا ولكن المحاجة بين نـوح وقومه ليست بهذه الشدة والشناعة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤).

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (٥).

١ـ سورة النحل، آية ١٠٩.

٢ـ سورة هود، آية ٢٨.

٣ـ سورة هود، آية ٦٣.

٤ـ سورة هود، آية ٤٠.

٥ـ سورة المؤمنون، آية ٢٧.

نزلتا في ضمن تكرار قصة نوح عليه السلام لبيان زوايا مختلفة من القصة.

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [1].

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [2].

فالآية الأُولى نزلت في قصة هود، والثانية في قصة موسىٰ.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [3].

﴿... وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [4].

الآية الأُولىٰ نزلت في عذاب قوم صالح، والثانية نزلت في قوم شعيب والتأنيث في الثانية «أخذت» لكثرة استعمال التأنيث قبلها.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [5].

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [6].

نزلتا لبيان ورود الملائكة على لوط ليلاً لعقاب قومه وكلّ آية تكشف عن وجه من وجوه القصة.

﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ

١ـ سورة هود، آية ٦٠.

٢ـ سورة هود، آية ٩٩.

٣ـ سورة هود، آية ٦٧.

٤ـ سورة هود، آية ٩٤.

٥ـ سورة هود، آية ٧٧.

٦ـ سورة العنكبوت، آية ٣٣.

مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (١).

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (٢).

نزلتا في ضمن قصة لوط وقومه وتكررت لذكر مالم يذكر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٣).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤).

نزلتا في ضمن قصة موسىٰ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٥).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٦).

﴿... وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ

١ـ سورة هود، آية ٨١.

٢ـ سورة الحجر، آية ٦٥.

٣ـ سورة هود، آيتى ٩٦ و ٩٧.

٤ـ سورة المؤمن، آيتى ٢٣ و ٢٤.

٥ـ سورة هود، آية ١١٠.

٦ـ سورة فصلت، آية ٤٥.

ٱلْكِتَـٰبَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [1]

نزلت هذه الآيات تسلية لقلب النبي ﷺ مرّة بعد مرّة وذلك لتكرار الانكار والتكذيب والافتراء عليه، والتسلية بعد كلّ انكار ليست بتكرار، مع انّه قيل انّ آيتى هود وفصلت نزلت في قوم اليهود، يعني انّهم في كتابهم مريبون بعد، وامّا الآية الثالثة نزلت في أمم الأنبياء من اولوالعزم، كما صرّحت بهم الآية السابقة عليها.

﴿إِنَّـآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [2].

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [3].

قد تكررت نحو هذين الآيتين في عشر مواضع من القرآن لإسباب مختلفة، ويمكن ان يقال انّ المشار اليه في كلّ آية مختلف فالآية في سورة يوسف اشارت الى هذه السورة و... كما انّه روى انّ علماء اليهود قالوا للمشركين لم ينتقل آل يعقوب من الشام الى مصر؟ فأنزل الله تعالى سورة يوسف وعبر عن القصة بألفاظ عربية حتّى يفهمها ويمكن لهم انّ يعقلوها ويهتدوا بها.

﴿... قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّـهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَاتَصِفُونَ﴾ [4].

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [5].

١ـ سورة الشورى، آية ١٤.

٢ـ سورة يوسف، آية ٢.

٣ـ سورة الزخرف، آية ٣.

٤ـ سورة يوسف، آية ١٨.

٥ـ سورة يوسف، آية ٨٣.

انّ اخوة يوسف لما قالوا لأبيهم انّ يوسف قد أكله الذئب واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم، قال يعقوب رداً لقولهم «بل سولت لكم» اى زينت لكم انفسكم امراً غير ما تقولون».

وثانياً انّهم لما قالوا لأبيهم بأنّ اخوهم بنيامين قدسرق، قال يعقوب نفس ما قال في يوسف.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

ان الآية الأُولى نزلت في قصة يوسف والثانية نزلت في قصة موسىٰ عليه السلام.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٣).

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ (٤).

ففي الآية الأُولىٰ بعد نقل هذه الفكرة الباطلة، اكدت انّ الوظيفة المهمة والاساسية للأنبياء هي الارشاد فيجب عليهم عدم الالتفات لهذه الاقتراحات غيرالصحيحة بعد نزول المعجزات القوية، والآية الثانية، تتحدث عن علة لجاجهم وهي ضلالهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٥).

١ـ سورة يوسف، آية ٢٢.

٢ـ سورة القصص، آية ١٤.

٣ـ سورة الرعد، آية ٧.

٤ـ سورة الرعد، آية ٢٧.

٥ـ سورة الحجر، آية ١٢.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (١).

استعمل لفظ المستقبل في الآية الاولى لما تقدمها من الأخبار عن كفار قريش لبقاء كفرهم ولفظ المستقبل يدل على الاستمرار والثبوت، وجاءت الثانية بلفظ الماضي لما تقدمها من الأخبار عن الأنبياء وانقطاع زمانهم وهلاك اقوامهم من قبل. مع انّ اختلاف المشار إليه في الآيتين يكفي في عدم تكرارها.

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ (٢).

﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾ (٣).

﴿... وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ (٤).

نزل هذه الآيات في خلال قصة ابراهيمعليه السلام.

﴿... وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥).

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦).

يمكن ان نلتزم بنوع من الاختصاص في الآية الثانية بملاحظة ما قبلها ﴿وأنـذِر عشيرتك الأقربين﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَـلْبَسُونَهَا

١ـ سورة الشعراء، آية ٢٠٠.

٢ـ سورة الحجر، آية ٥٣.

٣ـ سورة الصافات، آية ١٠١.

٤ـ سورة الذاريات، آية ٢٨.

٥ـ سورة الحجر، آية ٨٨.

٦ـ سورة الشعراء، آية ٢١٥.

وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [1].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [2].

الآيتان تشيران الى آية من الآيات الآفاقية من البحار وما كان فيها ولا يعد من التكرار بعد ما جاء فيهما من اختلاف في التعبير.

﴿فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [3].

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [4].

﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [5].

نزلت الآية الأُولى في المقتسمين وهم ستة عشر رجلاً الذين خرجوا الى عقاب مكة ايام الحجّ على طريق النّاس على كلّ عقبة اربعة منهم ليصدّوا النّاس عن النبيّ فاذا سألهم النّاس عن رسول‌الله ﷺ وما اتى به، قالوا: ليس ما جاء به رسول‌الله بجديد، انّ هو الاساطير الأوّلين.

ونزلت الثانية في بيان طائفة من النّاس وهم الذين كفروا يساقون الى جهنّم زمرا وطائفة أُخرى هم الذين اتقوا ربّهم ويساقون الى الجنة زمرا، ونزلت الثالثة في الذين يجادلون في آيات الله.

١ـ سورة النحل، آية ١٤.

٢ـ سورة الفاطر، آية ١٢.

٣ـ سورة النحل، آية ٢٩.

٤ـ سورة الزمر، آية ٧٢.

٥ـ سورة غافر، آية ٧٦.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١).

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٢).

تتحدث الآية الأُولى عن عاقبة أمرالمشركين الذين ينتظرون ان تـأتيهم المـلائكة، والثانية تتحدث عن جزاء الكافرين المنكرين ليوم البعث الذين اذا قيل لهم انّ وعدالله حقّ والساعة لا ريب فيها، قالوا: ما ندرى ما الساعة.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِـرَبِّهِمْ يُـشْرِكُونَ * لِـيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَـيْنَـٰهُمْ فَـتَمَتَّعُواْ فَسَـوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْـبَرِّ إِذَا هُـمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

هذه الآيات نزلت تهديداً للمشركين ولجميع النّاس الذين يلتجئون الى الله تعالىٰ عند الاضطرار وفي كلّ بلاء وهمّ نزل عليهم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

١ـ سورة النحل، آيات ٣٤.

٢ـ سورة الجاثية، آية ٣٣.

٣ـ سورة النحل، آيات ٥٣ الى ٥٥.

٤ـ سورة العنكبوت، آيتى ٦٥ و ٦٦.

٥ـ سورة الروم، آيتى ٣٣ و ٣٤.

مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَايَسْتَقْدِمُونَ﴾ [1].

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ [2].

كم من فرق بين العبارتين «بظلمهم» و«بما كسبوا» مع انّ ملاحظة السياق والآيات السابقة عليهما تتضح بعض مصاديق الظلم وما كسبوا.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَايَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [3].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا...﴾ [4].

الآية الثانية كانت تفسير لما «خلقكم» في الآية الأولى، فالفرق بين الآيتين هوالاجمال والتفصيل.

﴿... وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [5].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [6].

١ـ سورة النحل، آية ٦١.

٢ـ سورة الفاطر، آية ٤٥.

٣ـ سورة النحل، آية ٧٠.

٤ـ سورة الحج، آية ٥.

٥ـ سورة النحل، آية ٧٨.

٦ـ سورة المؤمنون، آية ٧٨.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١).

فهذه الآيات بالاضافة الى اختلاف الفاظها، مختلفة السياق ايضاً.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ (٣).

هذا لا يعد من التكرار بعد اختلاف الالفاظ الذي موجود فيهما.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

﴿... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (٥).

﴿... وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (٦).

نزلت الآية الأُولى لبيان ثواب الصابرين، والثانية نزلت لبيان ثواب من عمل عملًا صالحاً من ذكر أو أُنثى، والثالثة نزلت جزاء للمحسنين والمتقين.

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧).

١ـ سورة الملك، آية ٢٣.

٢ـ سورة النحل، آية ٧٩.

٣ـ سورة الملك، آية ١٩.

٤ـ سورة النحل، آية ٩٦.

٥ـ سورة النحل، آية ٩٧.

٦ـ سورة الزمر، آية ٣٥.

٧ـ سورة النحل، آية ١٢٧.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [1].

نزلت الآية في ضمن عشر اصول من برنامج الاسلام لمواجهة المخالفين وتبين فيها الدعوة الى الحقّ وسبيلها وكيفية العقاب والعفو وأُسلوب الصمود امام موأمراتهم وغير ذلك، ونزلت الآية الثانية بعد الحديث عن انكار المعاندين والذين يكذبون ويستهزئون بيوم الدين تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وآله.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [2].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [3].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [4].

ليست بتكرار بعد ما نرى من اختلاف النّاس في قبولهم للقرآن والأخذ به.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [5].

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّـهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [6].

الآيتان تبحثان عن المعاد وبيان تسائل المنكرين وهل يمكن ان تجتمع هذه العظام البالية؟ ففي الآية الأُولى تبين جهلهم وضلالتهم، والثانية نزلت لبيان عقابهم.

١ـ سورة النمل، آية ٧٠.

٢ـ سورة الاسراء، آية ٤١.

٣ـ سورة الاسراء، آية ٨٩.

٤ـ سورة الكهف، آية ٥٤.

٥ـ سورة الاسراء، آية ٤٩.

٦ـ سورة الاسراء، آية ٩٨.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [1].

﴿مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [2].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [3].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [4].

قيل في سبب نزول الآية الأولى، انّها نزلت في أهل مكّة بعد ان قرروا اخراج النبي ﷺ ثمّ بدلوا رأيهم وارادوا قتله في الليلة المشهورة بـ«ليلةالمبيت» ولكن الله أخبره وامره بالهجرة، ونزلت الثانية في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش التي كانت زوجة زيد بن حارثة، ونزلت الثالثة في جماعة من المنافقين كانوا في المدينة فاذا خرج النبيّ في بعض غزواته اخذوا يطلقون الشائعات ويقولون قتل النبيّ او اسّر فيغتم المسلمون لذلك ويشكون في رسول‌الله، والآية الرابعة نزلت بعد آيات تتحدث عن الحديبية، فقال‌الله تعالىٰ ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [5] ثم قال هذا من «سنةالله التي خلت من قبل و...».

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [6].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ

١ـ سورة الأسراء، آية ٧٧.

٢ـ سورة الأحزاب، آية ٣٨.

٣ـ سورة الأحزاب، آية ٦٢.

٤ـ سورة الفتح، آية ٢٣.

٥ـ سورة الفتح، آية ٢٢.

٦ـ سورة الاسراء، آية ٨٣.

عَرِيضٍ﴾ (١).

هذه الآيات تشير الى مرض نفساني في الانسان فهو اذا اغدق عليه بنعمه اعرض ونأىٰ بجانبه واذا أُبتلي ببلاءٍ ييئس من رحمةالله كما في الآية الأُولى أو يظهر عجزه كما في الآية الثانية.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ (٢).

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (٣).

الآية الأُولى تشير الى تذرع المشركين وأعراضهم عن قبول دعوة الحق بـأنّه بشر مثلهم، وفي الآية الثانية قد بيّن ان انكارهم يبقى الى ان يصيبهم العذاب كما نزل على الامم السابقة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٤).

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (٥).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن

١ـ سورة فصلت، آية ٥١.

٢ـ سورة الاسراء، آية ٩٤.

٣ـ سورة الكهف، آية ٥٥.

٤ـ سورة الاسراء، آية ٩٩.

٥ـ سورة يس، آية ٨١.

يُحْيِۦ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1].

الآية الأُولىٰ نزلت بعد استبعاد المعاندين من تحقق المعاد الجسماني بأنّه أمر غيرممكن، فاستدل القرآن ببرهان واضح على امكانه ووقوعه.

والآية الثانية نزلت في ضمن البراهين التي اقيمت على المعاد من كيفية خلق آدم، والآية الثالثة وهي من آخر آيات سورة الأحقاف تبحث عن المعاد لأنّه قد جاء في الآيات التي كانت قبلها الحديث من المعاد على قول مبلغ من الاجنة، أو لأنّه قد جائت هذه السورة لبيان التوحيد وتختم بالمعاد وهو ختام حسن مع ما فيهما من الاختلاف في التعبير.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَاقَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [2].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [3].

نزلت الآية الاولىٰ في مجموعة من الكفار المتعصبين الذين يجادلون بالباطل ويدحضون الحق ويتخذون آيات‌الله هزوا، وجائت في الثانية انّ الله تعالىٰ بعد ان يستخدم كلّ وسائل التوعيد لنجاة المجرمين الذين يكذبون بيوم‌الدين من ارسال الأنبياء وانزال الكتب و... ينتقم منهم والله عزيز ذوانتقام.

١ـ سورة الأحقاف، آية ٣٣.

٢ـ سورة الكهف، آية ٥٧.

٣ـ سورة السجده، آية ٢٢.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (١).

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٢).

قال صاحب مجمع‌البيان في سبب تكرار الآيتين:

«اعادة هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله اولاً مع النهي عن العود بمثل سؤاله» (٣).

ولكن أقول، ليس هذا بتكرار قط لأنّ كلّ كلام كان في جواب شئ وعند حدوث واقعة.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ (٤).

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ (٥).

ان المدار الاساسي في آية الكهف هو نسف الغلو والمبالغة التي يصوروها المشركون للأنبياء عليهم السلام ، ثمّ اهدى طريقاً لمن كان يرجوا لقاء ربّه، وامّا المحور الأساسي في آية فصلت هو نفي الشرك وذلك بملاحظة كلمات الآيات وسياقها.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٦).

١ـ سورة الكهف، آية ٧٢.

٢ـ سورة الكهف، آية ٧٥.

٣ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ٦، ص ٣٧٠.

٤ـ سورة الكهف، آيتى ١٠٩ و ١١٠.

٥ـ سورة فصلت، آية ٦.

٦ـ سورة مريم، آية ١٥.

﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١).

الآية الأُولى في يحيىٰ والثانية في عيسى عليه السلام فالسلام في الآية الاولى من الله تعالىٰ وامّا في الثانية عيسى عليه السلام يسلّم على نفسه.

فقد جاء في تفسيرالميزان:

«نعم بين التسليمتين فرق، فالسلام في قضية يحيى نكرة يدل على النوع، وفي هذه القصة (عيسى بن مريم عليهما السلام) محلّى بلام الجنس يفيد بإطلاق الاستغراق» (٢).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٤).

نزلت هذه الآيات في خلال قصة عيسىٰ عليه السلام وهو امّا نقل كلامه على لسانه أو بيان وحكاية عن قوله، ثمّ بيّن في كلا السورتين اختلاف النصارىٰ بعد نبيّهم.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ (٥).

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ

١ـ سورة مريم، آية ٣٣.

٢ـ تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٤٧.

٣ـ سورة مريم، آيتى ٣٦ و ٣٧.

٤ـ سورة الزخرف، آيتى ٦٤ و ٦٥.

٥ـ سورة طـه، آية ١٠.

قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (١).

فالآيتان وان كانتا في صدد بيان شئ واحد من قصة موسى عليه السلام لكنهما جائتا في ضمن قصته وقد كشفتا عن زوايا أُخرىٰ منها.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ (٢).

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣).

قد تكررت الآية لمناسبتها بالسياق مع الآيات وانّ الآية الأُولىٰ اعم بالنسبة الى الثانية.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ (٤).

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٥).

قد تكررت الآية الثانية في خلال عدِّ بعض الآيات الالهية مع ان كلتيهما جاءتا بعد نزول آيات في إعراض بعض النّاس عن آيات الله تعالىٰ.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَايَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ

١ـ سورة النمل، آية ٧.

٢ـ سورة طـه، آية ٥٣.

٣ـ سورة الزخرف، آية ١٠.

٤ـ سورة طـه، آية ١٢٨.

٥ـ سورة السجدة، آية ٢٦.

ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [1].

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ * وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [2].

امرالله الرسول ﷺ بالصبر على ما يقوله المعاندون وما يفترون عليه افترائات مختلفة في مدة نيف وعشرين سنة. هذا، مع ان فيهما من العبارات المختلفة التي تعطى معاني جديدة.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [3].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [4].

انّ الآية الأُولى وصف لعامة النّاس، والثانية وصف للذين كذّبوا، مضافا الى الفرق بين اللعب والاعراض.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [5].

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً﴾ [6]

السبب الأساسي للاستهزاء بالنبي ﷺ في الآية الأُولىٰ ذكر آلهة المشركين بخلاف الآية الثانية.

١ـ سورة طـه، آية ١٣٠.

٢ـ سورة ق، آيتي ٣٩ و ٤٠.

٣ـ سورة الأنبياء، آية ٢.

٤ـ سورة الشعراء، آية ٥.

٥ـ سورة الأنبياء، آية ٣٦.

٦ـ سورة الفرقان، آية ٤١.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ (١).

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ (٢).

انّ الآيتين نزلتا في خلال قصة إبراهيم مع انّ الفرق بين الأخسر الذي يستعمل كثيراً ما في المقتضيات الخارجية كالمال والجاه، والأسفل وهو ضدالأعلى أو أسفل طبقة من النّار، يكفينا بانّ نقول كلّ آية تتكلم عن شئ لم يذكر في الاخرىٰ.

﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ (٣).

﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٤).

تتكلم كل آية عن اتحاد منهج الأنبياء واختلاف اممهم وفي الثانية اشارت الى سبب من أسباب الاختلاف وهو فرح كلّ حزب بما لديهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (٥).

١ـ سورة الأنبياء، آية ٧٠.

٢ـ سورة الصافات، آية ٩٨.

٣ـ سورة الأنبياء، آيتى ٩٢ و ٩٣.

٤ـ سورة المؤمنون، آيتى ٥٢ و ٥٣.

٥ـ سورة الحج، آية ٥.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١).

الحديث في الآيتين عن المراحل المختلفة لخلق الانسان وما في سورة الحجّ كان اعمّ بالنسبة الى ما في سورة المؤمن مع انّ الآية الأُولى نزلت بياناً لإثبات المعاد، حيث بيّن الله تعالىٰ حياة الأرض بعد موتها ثم قال:«ذلك بأنّ الله هوالحقّ وانّه يحيى الموتى وانّه على كلّ شي قدير».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٣).

الآية الثانية اعم بالنسبة الى الأُولى ونزلت في واقعة بدر عندما نزل الى ساحةالحرب «علىعليه‌السلام» و«حمزة» و«عبيدة بن الحارث» فقتلوا «الوليد بن عتبة» و «عتبة بن ربيعه» و «شيبة بن ربيعه».

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (٤).

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ (٥).

نزلت الآية الأُولى في الوليد بن عتبة وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ونزلت الثانية في

١ـ سورة المؤمنون، آية ٨٠.

٢ـ سورة الحج، آية ١٤.

٣ـ سورة الحج، آية ٢٣.

٤ـ سورة الحج، آية ٢٢.

٥ـ سورة السجدة، آية ٢٠.

«الوليد بن عقبة» وذلك لأنّه قال لعليعليه السلام «انا ابسط منك لسانا واحدّ منك سنانا» فقال علىعليه السلام: ليس كما تقول يا فاسق [1].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [2].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [3].

روى انّ المشركين بعضهم واجهوا المسلمين قبل انتهاء شهرالمحرم، فقال بعضهم انّ المسلمين لا يحاربون في هذا الشهر، فبدأوا بمحاجة المسلمين وعندما لم يفد ردعهم عن القتال، قتلوهم بنصرة من الله تعالىٰ فنزلت «ذلك ومن عاقب بمثل...» وعلله بـ«ذلك بانّ الله هوالحقّ...»، وامّا الآية الثانية، فهي نتيجة لعدة من الآيات الالهية من خلقه السموات والأرض وملكه وسعة كلماته و....

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [4].

﴿لِلَّهِ مَافِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [5].

في الآية الثانية أكد سبحانه وتعالى ما أجاب الكافرون عند ما سئلوا من خلق السموات والأرض؟ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله...﴾ [6].

١ـارجع الى تفسير مجمع‌البيان، ج ٨، ص ١٠٩.

٢ـ سورة الحج، آية ٦٢.

٣ـ سورة لقمان، آية ٣٠.

٤ـ سورة الحج، آية ٦٤.

٥ـ سورة لقمان، آية ٢٦.

٦ـ سورة لقمان، آية ٢٥.

فأكد قولهم بان له جميع ما في السموات والأرض فضلًا عن خلقه، فيتصرف فيه كما يريد، فلا يضره اعتراض المعترضين ولا ينفعه حمد الحامدين لأنّه هو الغني الحميد.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (١).

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (٢).

قد وصف المؤمنون في سورة المؤمنون ووصف المصلّون في سورة المعارج مع ما فيهما من الاختلاف في بعض الأوصاف.

﴿... لَكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٣).

١ـ سورة المؤمنون، آيات ١ الى ١١.

٢ـ سورة المعارج، آيات ١٩ الى ٣٥.

٣ـ سورة المؤمنون، آية ١٩.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١).

نزلت الآية الأُولى في جنّات الدنيا فانشاهاالله تعالى بسبب نزول الماء من السماء بقدرٍ، والثانية في الجنة.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (٢).

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣).

نزلت الأُولى في محاجة قوم نوح مع نبيّهمعليه السلام والثانية في جماعة آخرين من بعد نوح وقيل هم قوم هود وقيل هم قوم ثمود.

﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ * قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (٤).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَـٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (٥).

قد تكرر في القرآن ذكر استبعاد الكفار من حياتهم الثانوية وبما ان استبعادهم هذا من الحيل التي لا يلتزمون بها عقلًا ولا تخرجهم من عذاب وجدانهم قطعاً، فالله تعالى، جاء بها في مواضع مختلفة في القرآن وقد حكىٰ اقرارهم بالمبدأ «ولئن سألتهم... ليقولن الله»

١ـ سورة الزخرف، آية ٧٣.

٢ـ سورة المؤمنون، آية ٢٤.

٣ـ سورة المؤمنون، آية ٣٣.

٤ـ سورة المؤمنون، آيات ٨١ الى ٨٣.

٥ـ سورة النمل، آيتى ٦٧ و ٦٨.

حتّى جعلهم فيما يفرون منه.

﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [1].

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [2].

الآية الأُولى هي جواب السحرة في عهد موسىعليه السلام، الذين غمر قلوبهم الايمان بالله تعالىٰ فهم لم يهابوا من تهديد فرعون وقالوا «لاضير لنا انا...» والآية الثانية تدل على مطلق الرجوع الى الله تعالى.

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [3].

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [4].

نزلت الأُولى في قصة صالح والثانية في شعيب.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [5].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [6].

نزلت الأُولى وصفاً للمؤمنين والثانية صفةً للمحسنين.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [7].

١ـ سورة الشعراء، آية ٥٠ .

٢ـ سورة الزخرف، آية ١٤ .

٣ـ سورة الشعراء، آية ١٥٤ .

٤ـ سورة الشعراء، آية ١٨٦ .

٥ـ سورة النمل، آية ٣.

٦ـ سورة لقمان آية ٤ .

٧ـ سورة النمل، آية ١٠ .

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾ (١).

قد تكررت في قصة موسىٰ لبيان زوايا مختلفة من هذه القصة مع ما فيهما من الاختلاف في المضمون.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ (٢).

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (٣).

ذكرت الآية الثانية نفختين، نفخة الاماتة ونفخة الأحياء بخلاف الآية الأُولىٰ فهي تتكلم عن النفخة الثانية فقط.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ (٤).

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (٥).

نزلت الأُولى في مؤمن آل فرعون وهو «حزقيل» والثانية في مؤمن انطاكية وهو «حبيب النجّار».

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا

١ـ سورة القصص، آية ٣١.

٢ـ سورة النمل، آية ٨٧.

٣ـ سورة الزمر، آية ٦٨

٤ـ سورة القصص، آية ٢٠.

٥ـ سورة يس، آية ٢٠.

تَعْقِلُونَ﴾ [1].

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [2].

الآية الأُولى هي جواب ثالث عن المشركين في مكّة الذين قالوا: ان نؤمن بالله واليوم الآخر يهجم العرب علينا هجوماً ويهلكونا هلاكاً ويخطفونا من ارضنا فتركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا، فبيّن ان ما عندالله خير وابقى، والآية الثانية، في بيان تصغير الدنيا ليقبل النّاس ادلة التوحيد التي نزلت قبلها.

﴿... ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ...﴾ [3].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [4].

نزلت الآية الاولى حكاية عن ندامة المشاهدين لقارون **«فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون انّه لذوحظّ عظيم»** فلما نزل البلاء عليه وخسف‌الله به وبداره الأرض، يقولون هؤلاء الذين تمنوا ان يكونوا مكان قارون: «ويكأنّ».

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [5].

١ـ سورة القصص، آية ٦٠.

٢ـ سورة الشورى، آية ٣٦.

٣ـ سورة القصص، آية ٨٢.

٤ـ سورة العنكبوت، آية ٦٢.

٥ـ سورة العنكبوت، آية ٢٢.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [1].

نزلت الأُولىٰ في بيان عجز النّاس من دفع العذاب يوم‌القيامة، ونزلت الآية الثانية في بيان عجز النّاس من دفع البلاء الدنيوي مع انّ ذكر «السماء» في الأُولى دون الثانية وما فيها من اللطائف، يكفى في انّ نقول: لا يوجد هنا تكرار قط.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [2].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [3].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ [4].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [5].

ما نقوله ذيل آيات ٨١ الى ٨٣ من سورة المؤمنون يفيدنا هنا، مع انّ الاختلاف في الجواب انّ لم يكن على وجه الحكاية، دليل تام على تعدد هذه الاسئلة من الكفار والمشركين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ

١ـ سورة الشورىٰ، آية ٣١.

٢ـ سورة العنكبوت، آية ٦١.

٣ـ سورة لقمان، آية ٢٥.

٤ـ سورة الزمر، آية ٣٨.

٥ـ سورة الزخرف، آية ٩.

يُؤْمِنُونَ﴾ [1].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [2].

نزلت الآية الأُولى بعد الحديث عن الفرح واليأس العارض على الانسان عند نزول نعمة أو حدوث بلاء، فقال الله تعالىٰ ان النعمة كلّها بيده تعالى وهو يبسطها ويقدرها وليس هذا ببعيد عن الانسان بل هو يراه بعينه.

ونزلت الثانية بعد التكلم عن دعاء الانسان واستغاثته عند زوال النعمة واعراضه عنه عند نزولها، فقال الله تعالىٰ إنّه يعلم ويعتقد بان الله هو يقدر ويبسط الرزق.

مضافاً الى الاختلاف في السياق بين الآيتين الذى منه يعرف عند الدقة فى لفظى «يروا» و «يعلموا» الفرق بينهما.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [3].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [4].

اشارت الآية الأُولى الى السبب المادى لحركة الفلك بخلاف الآية الثانية.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ

١ـ سورة الروم، آية ٣٧.

٢ـ سورة الزمر، آية ٥٢.

٣ـ سورة الروم، آية ٤٦.

٤ـ سورة الجاثية، آية ١٢.

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [1].

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [2].

نزلت الآية الاولىٰ في «النضر بن حارث» الذي كان تاجراً يسافر الى فارس فاشترى كتاب «كليلة و دمنة» وتعلّم قَصة رستم واسفنديار والا كاسرة فيأتى بها الى قريش ويقول انّ محمّد[صلى الله عليه وآله] يحدث بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث «رستم واسفنديار» أو نزلت في رجل اشترىٰ جارية مغنية وكانت هي تغنّيه ليله ونهاره فتشغله عن ذكرالله.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [3].

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [4].

ان الآية الثانية كانت مفسرة للآية الأُولى مع ما فيها من المعارف الجديدة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [5].

١ـ سورة لقمان، آية ٧.

٢ـ سورة الجاثية، آية ٨.

٣ـ سورة لقمان، آية ١٤.

٤ـ سورة الاحقاف، آية ١٥.

٥ـ سورة سباء، آية ٣٦.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (١).

الآية الأُولى نزلت في الكفار ولم تذكر فيها لفظة «عباده»، والثانية نزلت في المؤمنين وذكرالله تعالى فيها «من عباده» وقال: «لمن يشاء من عباده».

قال الطبرسي في تفسيره:

«انّما كرره سبحانه لاختلاف الفائدة، فالاوّل توبيخ للكافرين وهم المخاطبون به والثاني وعظ للمؤمنين فكانّه قال: ليس اغناء الكفار واعطائهم بدلالة على كرامتهم وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة، واغناء المؤمنين يجوز ان يكون زيادة في سعادتهم بان ينفقوها في سبيل‌الله ويدل عليه قوله «ما انفقتم من شى فهو يخلفه» أي: وما أخرجتم من أموالكم في وجوه البرّ، فانّه سبحانه يعطيكم خلفه وعوضه، امّا في الدنيا بزيادة النعمة وامّا في الآخرة بثواب الجنة» (٢).

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ (٣).

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٤).

نزلت الآية الاوّل في بيان لنفخة الأُولىٰ التي بها يموت الخلق كلّهم وقيل عندما قتلوا الكفار «حبيب النجار» غضب‌الله عليهم فصاح جبرائيل بهم صحيحة فماتوا عن آخرهم فلا يسمع لهم حس كالنار اذا طفئت.

ونزلت الثانية في النفخة الثانية في يوم‌القيامة التي يحيى الله تعالىٰ الخلق من الجن

١ـ سورة سباء، آية ٣٩.

٢ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ٨، ص ٢٢٢.

٣ـ سورة يس، آية ٢٩.

٤ـ سورة يس، آية ٥٣.

والأنس اجمعين.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١).

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (٢).

نزلت الآية الأُولى حكاية عن قول المنكرين المكذبين بيوم‌الدين، ففي هذه الآيـة حكى الله تعالى تسائلهم، ونزلت الثانية في محادثة أهل‌الجنة حكى فيها عما وقع بـين مؤمن وقرين له فى الكفار في الجنة.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (٣).

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (٤).

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ﴾ (٥).

قال صاحب‌الميزان في تفسير آلاية الأُولىٰ:

«تخاصم واقع بين الاتباع يوم القيمة.... فالبعض الأوّل هم المعترضون والبعض الثاني المعترض عليهم» (٦).

وقال الرازي في تفسيره:

«قيل هم الكفار والشياطين، وقيل الرؤساء والاتباع، أي يسأل بعضهم بعضاً وهـذا التسائل عبارة عن التخاصم وهو سؤال التبكيت، يقولون: غررتمونا، ويقول اولئك لِـم

١ـ سورة الصافات، آية ١٦.

٢ـ سورة الصافات، آيتى ٥٢ و ٥٣.

٣ـ سورة الصافات، آية ٢٧.

٤ـ سورة الصافات، آية ٥٠.

٥ـ سورة القلم، آية ٣٠.

٦ـ تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٣٤.

قبلتم منا، وبالجمله فليس ذلك التسائل المستفهمين، بل هو تساؤل التوبيخ واللوم والله أعلم»[1].

وقال صاحب الميزان في تفسير الآية الثانية:

«حكاية محادثة تقع بين أهل الجنة، فيسأل بعضهم عن أحوال بعض ويحدث بعضهم بما جرى عليه في الدنيا وتنتهى المحادثة الى تكليمهم بعض أهل النّار وهو في سواء الجحيم... فضمير الجمع لأهل الجنة من عبادالله المخلصين وتسائلهم سواء بعضهم عن بعض ممّا جرى عليه»[2].

وقال الرازي:

«ولماتمم الله صفات أهل الجنة قال «فاقبل...»... والمعنى: فقيل بعضهم على بعض (من أهل الجنة) يتسائلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا»[3].

وامّا الآية الثالثة فهي نزلت في أصحاب الجنّة لما رأوا ما قد حلّ بهم، أقبل بعضهم على بعض يلومون أنفسهم فيما عزموا عليه.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾[4].

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾[5].

نزلت الأُولى في عذاب المجرمين فهم معذبون مثل الذين قالوا: «ما كان عليكم من سلطان»، ونزلت الثانية في هلاك المجرمين في الدنيا كالامم السابقة مثل قتلهم يوم بدر

١ـ تفسير الكبير، ج ٢٥، ص ١٣٤.

٢ـ تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٣٩.

٣ـ تفسير الكبير، ج ٢٦، ص ١٣٩.

٤ـ سورة الصافات، آية ٣٤.

٥ـ سورة المرسلات، آية ١٨.

و....

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٤).

نزلت الاولى في جزاء نوح، والثانية في جزاء إبراهيم، والثالثة في موسىٰ وهارون، والرابعة في الياسين عليهم السلام.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (٥).

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (٦).

نزلت الأُولى في الدنيا أي ابصر أحوالهم في الدنيا، والثانية في الآخرة.

قال الطبرسي في تفسيره:

«انّما كرر ماسبق للتأكيد، وقيل لأنّ المراد باحداهما عذاب الدنيا، وبالآخر عذاب الآخرة أي فكن على بصيرة من أمرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا ينفعهم» (٧).

١ـ سورة الصافات، آية ٨٠.

٢ـ سورة الصافات، آية ١١٠.

٣ـ سورة الصافات، آية ١٢١.

٤ـ سورة الصافات، آية ١٣١.

٥ـ سورة الصافات، آية ١٧٥.

٦ـ سورة الصافات، آية ١٧٩.

٧ـ تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٣٩.

وقال الطباطبائي في تفسير الآية الثانية:

«تأكيد بما مرّ بتكرار الآيتين على ماقيل، واحتمل بعضهم ان يكون المراد بما تقدّم التهديد بعذاب الدنيا، وبهذا التهديد بعذاب الآخرة، ولا يخلو من وجه، فان الواقع في الآية «وابصر» من غير مفعول كما في الآية السابقة من قوله «وأبصرهم» والحذف يشعر بالعموم وان المراد أبصار ما عليه عامة النّاس من الكفر والفسوق ويناسبه التهديد بعذاب يوم القيمة» [1].

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [2].

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [3].

نزلت الآية الاولى في اشراف قريش وهم خمسة وعشرون رجلًا جاوًا لأ بي طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وآتيناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك، انّه قد سفه احلامنا وسبّ آلهتنا وافسد شبابنا وفرق جماعتنا.

فدعا أبوطالب ابن أخيه ﷺ وقال: يابن أخي هؤلاء قومك يسألونك، قال ﷺ: ماذا يسألونني؟ قال: دعنا وآلهتنا ندعك والهك، فقال ﷺ: اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم، فقال أبوجهل: لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها، فقال ﷺ: قولوا لا اله الّا الله تفلحوا، فقاموا وقالوا: انجعل الآلهة الهاً واحداً.

وروى انّ رسول‌الله ﷺ: قال: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركته، ولكن يعطوني كلمة يملكون بها العرب ويدين لهم بها العجم ويكونون ملوكاً

١ـ تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٧٩.

٢ـ سورة ص، آية ٤.

٣ـ سورة ق، آية ٢.

في الجنة [1].

ونزلت الثانية في بيان القرآن جانباً من اشكالات الكفار والمشركين.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [2].

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [3].

نزلت الآية الأُولى في الكفار الذين ينكرون ويكذبون النبوة، ونزلت الثانية في قوم ثمود، فقد قال المكذبين من كفار مكّة نفس ما قاله الكفار من الأمم السالفة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [4].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ * وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [5].

قد جاء في سورة «ق» قومان لم يذكرا في سورة «ص» وهي قوم «تبع» و «الأيكة».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [6].

١ـ ارجع الى تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٨٧.

٢ـ سورة ص، آية ٨.

٣ـ سورة قمر، آية ٢٥.

٤ـ سورة ص، آيتى ١٢ و ١٣.

٥ـ سورة ق، آيات ١٢ الى ١٤.

٦ـ سورة الزمر، آية ٢١.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا...﴾ [1].

نزلت الآية الأُولى دليلا للمعاد وتتميماً للأبحاث التي مضت في الآيات السابقة عليها، وفي الآية الثانية ذكرت ان الانسان يمرّ بمراحل خمس في الدنيا كالزرع.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [2].

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [3].

نزلت الأُولى في ضمن حكم ثالث من أحكام ثلاثة يحكم الله تعالى بها يوم‌القيمة على المشركين الظالمين من تحقق العذاب عليهم ولو يفتدى بما في الأرض لو كان لهم، ومن ظهور ظنونهم الباطلة وفي هذه الآية نزلت تجسّد أعمالهم السيئة، ونزلت الثانية في بيان عذاب الكافرين المستكبرين على آيات‌الله ودعوة الأنبياء، فجزاء هؤلاء تجسيد ذنوبهم امام اعينهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [4].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [5].

بعد ماترى من اختلاف المشار إليه في الآيتين وما جاء في العذاب لا يمكن القول بالتكرار في القسمين المتماثلين من الآيتين.

١ـ سورة الحديد، آية ٢٠.

٢ـ سورة الزمر، آية ٤٨.

٣ـ سورة الجاثية، آية ٣٣.

٤ـ سورة غافر، آية ٢٢.

٥ـ سورة التغابن، آية ٦.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (١).

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٢).

تبين الآية الأُولى عقيدة العرب في العصر الجاهلي فهم يشركون بـالله ويـظنون انّ الملائكة بنات لله تعالى ويستندون في عقيدتهم الخرافية الى عقيدة آبائهم.

ونزلت الآية الثانية تسلية لقلب النبي بأنّ هذا الظن الخرافي ليس بشى جديد بل هو استدلال كلّ المشركين في الأُمم الماضية.

﴿ ... وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣).

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٤).

قال صاحب مجمع‌البيان في وجه تكرارها:

«انّما كرر لأنّ الأوّل متصل بذكر المؤمنين أي فله الجنود التي يقدر ان يعينكم بـها، والثاني متصل بذكر الكافرين أي فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها» (٥)

قال فخر الرازي بهذا الصدد:

«ما الفائدة في الأعاده؟ نقول لله جنود الرحمة وجنود العذاب أو جنودالله انزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب، فذكرهم الأُولى لبيان الرحمة بالمؤمنين، قال تـعالى

١ـ سورة الزخرف، آية ٢٢.

٢ـ سورة الزخرف، آية ٢٣.

٣ـ سورة الفتح، آية ٤.

٤ـ سورة الفتح، آية ٧.

٥ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ٩، ص ١٨٨.

«وكان بالمؤمنين رحيماً» وثانياً لبيان انزال العذاب على الكافرين» [1].

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [2].

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [3].

نزلت الأُولى وصفاً للمتقين والثانية وصفاً للمصلّين.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [4].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [5].

كلّ آية من هذه الآيات نزلت عقيب آية وبعد كلّ نعمة فلا يعدّ تكراراً.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [6].

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [7].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [8].

كلّ آية مع ما فيها من تعابير مختلفة، تعطى معاني جديدة، نزلت في خلال آيات أوصاف الجنة المختلفة.

١ـ تفسير الكبير، ج ٢٨، ص ٨٥.

٢ـ سورة الذاريات، آية ١٩.

٣ـ سورة المعارج، آيتى ٢٤ و ٢٥.

٤ـ سورة الطور، آية ١١.

٥ـ سورة المرسلات ، آيات ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩ ؛ سورة المطففين، آية ١٠.

٦ـ سورة الطور، آية ٢٤.

٧ـ سورة الواقعة، آية ١٧.

٨ـ سورة الانسان، آية ١٩.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ (١).

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٢).

نزلت الآيتين في خلال سلسلة من الاستدلالات المتفاوتة المتتابعة على وجه الاستفهام الانكاري ردّاً للمشركين والمكذبين بيوم‌الدين، ونزلت الاولى جواباً عما قال رجل من «بني عبدالدار» في دارالندوة، لما اجتمعت قريش للمشاورة في مواجهتم لدعوة النبي ﷺ قال هذا الرجل: لابدّ انّ ننتظر حتّى يموت لأنّه شاعر ويموت كسائر شعراء العرب، فنزل الآيات رداً عليه وعليهم.

﴿... إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ...﴾ (٣).

﴿... إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (٤).

المقصود من الآية الأولىٰ، انّ تسمية الأصنام بانّها آلهة أو انّها بنات‌الله، لامعنىٰ لها فانّها تسميات أُطلقت على جمادات، والمراد من الثانية انّ تسمية الملائكة اناثا وبنات الله اسماء بلا مسميّات ولا واقع لها.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (٥).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (٦).

انّ عذاب قوم عاد كان أشدّ بالقياس الى عذاب أقوامٍ آخرين فلتعظيم ذلك العذاب

١ـ سورة الطور، آية ٤١.

٢ـ سورة القلم، آية ٤٧.

٣ـ سورة النجم، آية ٢٣.

٤ـ سورة النجم، آية ٢٨.

٥ـ سورة القمر، آية ١٨.

٦ـ سورة القمر، آية ٢١.

ولتخويف المشافهين من الكفار جاء به عندما تكلم عن قوم عاد اولاً وعندالختام ثانياً.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [1].

قد صرّح بكلمة «الميزان» في هذه الآيات ولم يضمر لأنّ المراد منها ليس معنىً واحد.

فالمقصود من الأُولىٰ هو آلة الوزن المعروفة، والمقصود من الثاني بمعنى المصدر هو الوزن أو العدل أي يعطي كلّ مستحقّ حقّه ولا تطغوا في الميزان، والمقصود من الثالث هو المفعول منه وهو الموزون أي لا تنقصوا الموزون.

﴿فبأي آلاء ربّكما تكذبان﴾.

قد تكرر في سورة الرحمن ٣١ مرّة وما يمكن انّ نقول في وجه ذلك ملحضاً هو انّ كلّ آية وقعت بعد نعمة.

قال الطبرسي في تفسيره:

«فأمّا الوجه لتكرار هذه الآية في هذه السورة، فإنّما هو التقرير بالنعم المعدودة والتأكيد في التذكير بها، فكلّما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها قرر عليها وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره، امّا أحسنت اليك حين اطلقت لك مالاً؟ أمّا أحسنت اليك حين ملكت عقاراً، أمّا أحسنت إليك حين بنيت لك داراً؟ فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به ومثله كثير من كلام العرب واشعارهم» [2].

وقال الرازي كلاما مفصلًا نقلنا بطوله:

«ما لحكمة في تكرير هذه الآية وكونه إحدى وثلاثين مرّة؟ نقول الجواب عنه من

١ـ سورة الرحمن، آيات ٧ الى ٩.

٢ـ تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٣٢.

وجوه (الأوّل) إن فائدة التكرير التقرير وأمّا هذا العدد الخاص فالأعداد توقيفية لا تطلع على تقدير المقدرات أذهان النّاس والاولى أن لا يبالغ الإنسان في استخراج الأمور البعيدة في كلام الله تعالى تمسكا بقول عمر رضي الله تعالى عنه حيث قال مع نفسه عند قرائة سورة عبس كلّ هذا قد عرفناه فما الأب ثمّ رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمرالله التكليف وما عليك يا عمر أن لا تدرى ما الأب ثمّ قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وسيأتي فائدة كلامه تعالى في تفسير السورة إن شاءالله تعالى (الجواب الثاني) ما قلناه إنّه تعالى ذكر في السورة المتقدمة «فكيف كان عذابي ونذر» أربع مرأت لبيان ما في ذلك من المعني وثلاث مرات للتقرير والتكرير وللثلاث والسبع من بين الأعداد فوائد ذكرناها في قوله تعالى «والبحر يمده من بعده سبعة أبحر» فلما ذكر العذاب ثلاث مرات ذكر الآلاء إحدى وثلاثين مرة لبيان ما فيه من المعنى وثلاثين مرّة للتقرير الآلاء مذكورة عشر مرأت أضعاف مرأت ذكر العذاب إشارة إلى معنى قوله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلّا مثلها». (الثالث) إن الثلاثين مرّة تكرير بعدالبيان في المرّة الأولى لأنّ الخطاب مع الجن والإنس، والنعم منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود، لكن أعظم المكروهات عذاب جهنم «ولها سبعة أبواب» وأتم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فإغلاق الأبواب السبعة وفتح الأبواب الثمانية جميعه نعمة وإكرام، فاذا اعتبرت تلك النعم بالنسبة إلى جنسى، الجن والإنس تبلغ ثلاثين مرّة وهي مرأت التكرير للتقرير، والمرّة الأولى لبيان فائدة الكلام، وهذا منقول وهو ضعيف. لأنّ الله تعالى ذكر نعم الدنيا والآخرة، وما ذكره اقتصار على بيان نعم الآخرة (الرابع) هو أن أبواب النّار سبعة والله تعالى ذكر سبع آيات تتعلق بالتخويف من النار، من قوله تعالى «سنفرغ لكم أيها الثقلان» إلى قوله تعالى «يطوفون بينها وبين حميم آن» ثمّ إنّه تعالى ذكر بعد ذلك جنتين حيث قال «ولمن خاف مقام ربّه جنّتان» ولكل جنّة ثمانية

أبواب تفتح كلها للمتقين، وذكر من أوّل السورة إلى ما ذكرنا من آيات التخويف ثماني مرأت «بأى آلاء ربّكما تكذبان» سبع مرأت للتقرير بالتكرير استيفاء للعدد الكثير الذي هو سبعة، وقد بينا سبب اختصاصه في قوله تعالى «سبعة أبحر» وسنعيد منه طرفاً إن شاءالله تعالى، فصار المجموع ثلاثين مرّة المرّة الواحدة التي هي عقيب النعم الكثيرة لبيان المعنى وهو الأصل والتكثير تكرار فصار إحدى وثلاثين مرّة» [1].

﴿فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [2].

جائت جملة أصحاب الميمنة وكذا اصحاب اليمين في آية ٢٨، وهم الذين يعطون كتابهم بإيمانهم فهم أصحاب اليمن والبركة، لبيان توضيح وتفسير وبيان ثوابهم ثمّ تكررها تفخيمالشأنهم أي أيّ شى هم؟ فهي كما قال الطبرسي في تفسيره مجمع‌البيان مثل انّ تقول:هم ما هم؟

﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [3].

أيضاً تكرر أصحاب المشئمة وكذا اصحاب الشمال في آية ٤٢، وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم، لتفخيم شأنّهم في العذاب.

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ﴾ [4].

يكون معنى هذه الآية: انّ السابقون الى اتباع الأنبياء فهم السابقون الى جزيل الثواب أوهم السابقون الى طاعةالله تعالى أوهم السابقون الى رحمته.

فيكون الثاني خبراً عن الأوّل أو تأكيدا له.

١ـ تفسير الكبير، ج ٢٩، ص ٩٧.

٢ـ سورة الواقعة، آية ٨.

٣ـ سورة الواقعه، آية ٩.

٤ـ سورة الواقعة، آية ١٠.

قال صاحب الميزان في تفسيره:

«فالمراد بالسابقين (الأوّل) في الآية، السابقون بالخيرات من الأعمال واذاسبقوا بالخيرات، سبقوا الى المغفرة والرحمة التي بازائها، كما قال تعالىٰ «سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة» [1]، فا السابقون بالخيرات هم السابقون بالرحمة وهو قوله (السابقون السابقون) [2].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَافِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [3].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَافِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [4].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَافِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [5].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَافِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [6].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَافِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَافِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [7].

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [8].

هذه الآيات بملاحظة سياقها جائت في ضمن أوصاف الله تبارك وتعالىٰ فلم يعد

١ـ سورة الحديد، آية ٢١.

٢ـ تفسير الميزان، ج ١٩، ص ١٢١.

٣ـ سورة الحديد، آية ١.

٤ـ سورة الحشر، آية ١.

٥ـ سورة الصف، آية ١.

٦ـ سورة الجمعة، آية ١.

٧ـ سورة التغابن، آية ١.

٨ـ سورة الاعلى، آية ١.

تكراراً وقد فسر كثير من المفسرين هذه الآيات بملاحظة سياقها.

قال الطبرسي في تفسيره لآية سورة الصف:

«انّما أعيد هيهنا، لأنّه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبّح له بالآية التي فيه كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم، واذا دخل المعنى في تعظيم الله، حسن الاستفتاح به»[1].

وقال في تفسير سورة الجمعة:

«انما قال مرة سبح ومرّة يسبح اشارة الى دوام تنزيهه في الماضي والمستقبل»[2].

وقال صاحب الميزان في سورة الحشر:

«انّما افتتح بالتنزيه لما وقع في السورة من الاشارة الى خيانة اليهود ونقضهم العهد ثمّ وعد المنافقين لهم بالنصر غدراً»[3].

وقال في تفسيره لآية الصف:

«افتتاح الكلام بالتسبيح لما فيها من توبيخ المؤمنين بقولهم «مالا تفعلون» وانذارهم بمقت الله وازاغته قلوب الفاسقين»[4].

وقال في تفسيره لآية التغابن:

«واذا كانت الآيات مسوقة لإثبات المعاد، كانت الآية كالمقدمة الأُولىٰ لإثباته، وتفيد انّ الله منزّه عن كلّ نقص وشين في ذاته وصفاته وأفعاله يلمك الحكم على كلّ شئ

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٦٠.

٢ـ المصدر، ج ١٠، ص ٦.

٣ـ تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٢٠٩.

٤ـ المصدر، ج ١٩، ص ٢٥٨.

واللتصرف فيه كيفما شاء وأراد...»[1].

وقال تاج القراء في كتابه البرهان في توجيه متشابهالقرآن:

«التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدء بالمصدر في بنياسرائيل، لأنّه الأصل، ثمّ بالماضي في الحديد والحشر، لأنّه اسبق الزمانين، ثمّ بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثمّ بالأمر في الأعلى استيعاباً بهذه الكلمة في جميع جهاتها[2].

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٍ...﴾[3].

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ...﴾[4].

نزلت الآية الأُولى في بيان الفئ وحكمه والثانية نزلت في بيان مصرفه ولذلك لم يدخل على الثانية «واو» لأنّها بيان للجملة الأُولىٰ، فهي غيراجنبية عنها ولا يحتاج الى العطف وقيل انّ الآية الاولىٰ في بيان أموال بني النظير خاصة وذلك بشهادة «منهم» والثانية في بيان كلّ مالٍ اصيب بغير قتال.

﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ...﴾[5].

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأَخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِىُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[6].

نزلت الآية الأُولىٰ في ابراهيم عليه السلام والثانية في رسول الله صلى الله عليه وآله أو انّ الآيتين نزلتا في

١ـ المصدر، ج ١٩، ص ٣٠٨.

٢ـ رقم، ٥٠٢.

٣ـ سورة الحشر، آية ٦.

٤ـ سورة الحشر، آية ٧.

٥ـ سورة الممتحنة، آية ٤.

٦ـ سورة الممتحنة، آية ٦.

ابراهيم عليه السلام وفي الأولىٰ انّه اسوة من جهة وفي الآية الثانية انّه اسوة من جهة أُخرىٰ.

قال صاحب مجمع البيان:

«انّما أعاد ذكر الاسوة، لأنّ الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأوّل، فان الثاني فيه بيان انّ الاسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب اليه، والأوّل فيه بيان انّ الاسوة في معادات الكفار» (١).

وقال صاحب الميزان:

«تكرار حديث الاسوة لتأكيد الإيجاب ولبيان انّ هذه الاسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأيضاً انّهم كما يتأسى بهم في تبريّهم من الكفار، كذلك يتأسى بهم في دعائهم وابتهالهم» (٢).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ (٣).

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤).

الآيتان نزلتا في الأمر برجوع البصر كرة بعد كرة يعنى مرّتين أو ثلاث مرات أو مرّة وهذا لا يعد تكراراً.

﴿... فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ... فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ...﴾ (٥).

مع انّ كثير من المفسرين مثل العلامة الطباطبائي والفخر الرازي وغيرهم حملوا

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٤٩.

٢ـ تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٢٤٢.

٣ـ سورة الملك، آية ٣.

٤ـ سورة الملك، آية ٤.

٥ـ سورة المزمل، آية ٢٠.

العبارة على التكرار تأكيداً ولكن الذي نقوله انّ الاولىٰ نزلت تخفيفاً لحكم سابق وهـو وجوب قيام الليل نصفه أو أكثر أو أقل منه، فجعل الله التلاوة بدل عسرهم من القيام في الليل.

والثانية وانّ كانت تفريعاً على ما سبق عليها ولكن وجوب قيام الليل أمر في جنب ساير الأُمور من وجوب الصلوة واعطاء الزكاة والقرض الحسن.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١).

تكرر «قـدر» ثلاث مرّاة، وذلك انّ الوليد الذي هو سب نزول هذه الآيات، فكر في محمّد ﷺ وقرآنه وقدر ما يمكنه انّ يقول فيهما، فقتل كيف قدر في رسول الله ﷺ ثمّ قتل كيف قدر في القرآن.

قال صاحب مجمع البيان في تفسير «ثمّ قتل كيف قدر»:

«هذا تكرير للتأكيد، وقيل معناه: كيف قدرّ في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة، ثمّ لعن وعوقب بعقاب آخر، كيف قدر في ابطال الحقّ تقديراً آخر، وقيل معناه: عوقب في الآخرة مرّة بعد مرّة» (٢).

وقال الطباطبائي: «فقتل كيف قدر تكرار للدعاء تأكيداً» (٣).

وقال الرازي في تفسيره:

«المقصود من كلمه «ثمّ» ههنا الدلالة على انّ الدعا عليه في الكرة الثانية ابلغ مـن الأُولىٰ» (٤).

١ـ سورة المدثر، آيات ١٨ الى ٢٠.

٢ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ١٨٠.

٣ـ تفسير الميزان، ج ٢٠، ص ٩٤.

٤ـ تفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢٠١.

ما قاله الطبرسي والطباطبائي التزام بالتكرار وما قال الرازي هو مايستفاد من سياق الدعاء هيهنا وهو ما اختاره الكرماني في كتابه «البرهان» وهو وجه وجيه.

﴿كَلَّآ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ﴾ (١).

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ﴾ (٢).

الضمير في «أنّه» في الآية الأُولىٰ يرجع الى القرآن فالقرآن هو تذكرة، والضمير المؤنث «انّها» في آية عبس يرجع الى آياته أي آيات القرآن أو يرجع الى السورة.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (٣).

﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ (٤).

قد هدد رسول‌الله ﷺ أبي‌جهل وقال «اولى لك فاولى، ثمّ اولى لك فاولىٰ» واعترضه أبوجهل ثمّ نزلتا الآيتان مثل ما قال رسول‌الله ﷺ. وامّا التكرار في التهديد فهو تهديد ثاني ولا يعد من التكرار بل معناه وعيد على وعيد وعذاب على عذاب، قال قتادة في تفسير هذا التهديد: ومعناه: وليك الشرفى الدنيا وليك، ثمّ وليك الشرفى الآخرة وليك، وقيل معناه: بعداً لك من خيرات الدنيا وبعداً لك من خيرات الآخرة، وقيل انّ الأُولىٰ ماوقع على أبي‌جهل وهو سبب نزول الآيتين، في يوم بدر والثانية ماوقع عليه في القبر، وقيل ان الاولىٰ بمعنى الموت والثانية بمعنى عذاب القبر.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٥).

١ـ سورة المدثر، آيتي ٥٤ و ٥٥.

٢ـ سورة عبس، آيتي ١١ و ١٢.

٣ـ سورة القيمة، آية ٣٤.

٤ـ سورة القيمة، آية ٣٥.

٥ـ سورة النباء، آية ٤.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (١).

قال تاج القراء في كتابه:

«قيل: التكرار للتأكيد، وقيل الأوّل عند النزع، والثاني في القيمة، وقيل: الأوّل: ردع عن الاختلاف، والثاني: ردع عن الكفر» (٢).

قال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان:

«هذا وعيد على اثر وعيد. وقيل: كلّا اى حقّاً سيعلمون أي: سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم عن الضحاك، وقيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم‌القيامة، ثمّ كلا سيعلمون ما ينالهم في جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكراراً» (٣).

فالتأكيد هو أحد الوجهين في الآية، مع انّ التكرار في الوعيد لا يسمى تكراراً بل هو وعيد على وعيد.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ (٤).

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ (٥)

تكررت الآية تأكيداً لتعظيم وتفخيم شأن القيمة وقد قيل انّ أحداهما نزلت في المؤمنين وأهل الجنّة منهم وأراد بها النّعم الباقية في الجنة لهم، ونزلت الثانية في الكفار وأهل النار منهم وأراد بها العذاب والنّار الخالدة لهم.

١ـ سورة النباء، آية ٥.

٢ـ البرهان في توجيه متشابه القرآن، رقم ٥٤٦.

٣ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١٠، ص ٢٣٩.

٤ـ سورة الانفطار، آية ١٧.

٥ـ سورة انفطار، آية ١٨.

قال الطبرسي في تفسيره:

«ثمّ عظم سبحانه يوم‌القيمة فقال:«وما ادراك ما يوم‌الدين» تعظيماً له لشدته وتنبيها على عظم حاله وكثرة أهواله، «ثمّ ما ادريك ما يوم‌الدين» كرره تأكيداً لذلك، وقيل: أراد ما أدراك ما في يوم‌الدين من النعيم لأهل الجنّة وما أدريك ما في يوم‌الدين من العذاب لأهل النّار»[1].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[2].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[3].

نزلت الآية الأُولى وصفاً للسماء وهي متصلة بـ«اذا السماء انشقت» ونـزلت الآيـة الثانية وصفا للأرض وكانت متصلة بـ«واذ الأرض مدت والقت مافيها وتخلت».

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾[4].

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ﴾[5].

نزلت الآية الأُولى في بيان تكذيب الكفار بعد ان ذكر الدلائل الواضـحة المـوجبة للإيمان وتكذيبهم هذا تقليداً منهم لآبائهم أو خبثهم الباطني ونزلت الثانية في بيان حال قوم ثمود وهي من الأقوام القديمة وقصتهم عندالعرب مشهورة، وحال قوم فرعون وهي من الأقوام المتأخرة، كأصحاب الاخدود، فهؤلاء آذوا المؤمنين بكل أنواع الأذيّة وهذا أي ايذاء الكفار للمؤمنين مستمرّ في جميع الأزمنة في الأولين والآخرين الى ان تظهر

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٨.

٢ـ سورة الانشقاق، آية ٢.

٣ـ سورة الانشقاق، آية ٥.

٤ـ سورة الانشقاق، آية ٢٢.

٥ـ سورة البروج، آية ١٩.

شمس الهداية بظهور الحجة بن الحسن عجل‌الله تعالى فرجه.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (١).

أي دكاً بعد دك فكرر الدك على الأرض حتّىٰ صارت هباءً منثوراً ومعناه كسر كلّ شئ على وجه‌الأرض من الجبال والأشجار وغيرها.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢).

أي تنزل الملائكة في كلّ سماء وأهل السماء كلهم في صف علىٰ‌حدة فيصطفون صفاً بعدصف.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ (٣).

تكرار «البلد» في الآية الثانية عوضاً عن الضمير، لبيان عظمة شأن البلدالحرام والاعتناء به.

قال الطبرسي في تفسيره:

«اجمع المفسرون على انّ هذا قسمٌ بالبلد الحرام وهو مكه... «وانت حلّ بهذا البلد...» تنبيه على شرف البلد، بشرف من حلّ به من الرسول الداعي الى توحيده واخلاص عبادته وبيان ان تعظيمه له وقسمه به لأجله ﷺ ولكونه حالّاً فيه كما سمّيت المدينة طيبة لأنّها طابت به حيّاً وميتاً» (٤).

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥).

١ـ سورة الفجر، آية ٢١.

٢ـ سورة الفجر، آية ٢٢.

٣ـ سورة البلد، آيتى ١ و ٢.

٤ـ تفسير مجمع‌البيان، ج ١٠، ص ٣٦١.

٥ـ سورة الانشراح، آية ٥.

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [1].

نزلت الآية الأُولى في تعيير المشركين حيث كانوا يعيرون رسول‌الله ﷺ بالفقر والضيقه فذكره ما أنعم به عليه من النعم ثمّ قال تقريعاً على هذا «فانّ مع العسر يسرا».

والآية الثانية هي كلام كلّى، وكلام مستأنف.

قال الطبرسي في تفسير هايتن الآيتين كلاماً مفصلًا لا يخلو ذكره من لطف.

«روى عطاء عن ابن عباس قال: يقول‌الله تعالى: «خلقت عسراً واحداً، وخلقت يسرين، فلن يغلب عسر يسرين». وعن الحسن قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً، وهو يضحك، ويقول: «لن يغلب عسر يسرين»: «فإن مع العسر يسراً إنَّ مع العسر يسراً». قال الفراء: إن العرب تقول: إذا ذكرت نكرة، ثمّ أعدتها نكرة مثلها، صارتا اثنتين، كقولك إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً، فالثاني غيرالأول، فإذا أعدتها معرفة فهي هي كقولك إذا كسبت الدرهم فأنفق الدرهم، فالثاني هوالأوّل، ونحو هذا ما قال الزجاج: إنّه ذكر العسر مع الألف واللام، ثمّ ثنى ذكره، فصارالمعنى إن مع العسر يسرين.

وقال صاحب كتاب النظم في تفسير هذه الآية إن الله بعث نبيّه، وهو مقل مخف، وكانت قريش تعيره بذلك حتّى قالوا له: إن كان بك من هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى، جمعنا لك مالًا حتى تكون كأيسر أهل مكة. فكره النبي ﷺ ذلك، وظن أن قومه إنّما يكذبوه لفقره، فوعده الله سبحانه الغني ليسليه بذلك، عما خامره من الهم، فقال: «فإن مع العسر يسراً» وتأويله: لا يحزنك ما يقولون، وما أنت فيه من الإقلال، فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلًا. ثمّ أنجز ما وعده فلم يمت حتّى فتح عليه الحجاز. وما والاها من القرى العربية، وعامة بلاد اليمين. فكان يعطي المائتين من الإبل، ويهب الهبات السنية، ويعد

١ـ سورة الأنشرح، آية ٦.

لأهله قوت سنته. ثمّ ابتدأ فصلًا آخر فقال:«إن مع العسر يسراً» والدليل على ابتدائه تعريه من فاء وواو، وهو وعد لجميع المؤمنين، لأنّه يعني بذلك أن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسراً في الآخرة، وربما اجتمع له اليسران: يسرالدنيا، وهو ما ذكر في الآية الأُولى، ويسر الآخرة، وهو ما ذكر في الآية الثانية. فقوله ﷺ: لن يغلب عسر يسرين أي: يسر الدنيا والآخرة. فالعسر بين يسرين إما فرج الدنيا، وإما ثواب الآخرة. وهذا الذي ذكره الجرجاني، يؤيد ما ذهب إليه المرتضى، قدس الله روحه، من أن القائل إذا قال شيئاً، ثمّ كرّره، فإن الظاهر من تغاير الكلامين، تغاير مقتضاهما، حتّى يكون كلّ واحد منهما، مفيداً لما لا يفيده الآخر، فيجب مع الإطلاق حمل الثاني على غيرمقتضى الأوّل، إلّا إذا كان بين المتخاطبين عهد أو دلالة يعلم المخاطب بذلك، أن المخاطب أراد بكلامه الثاني الأوّل، فيحمله على ذلك»[1].

وذكر الرازى في تفسيره كلاماً لا يخلو من الاضطراب، فهو حقّق المسئلة في وجهين وقال الوجه الثاني منها انّه تكرير لكي يتمكن المعنى في النفوس ثم تمسك بمعنين مختلفين لليسر، واليك نص كلامه:

«المسألة الثانية: قال ابن عباس: يقول الله تعالى: خلقت عسراً واحداً بين يسرين، فلن يغلب عسر يسرين، وروى مقاتل عن النبي عليه‌الصلاة والسلام أنّه قال: «لن يغلب عسر يسرين» وقرأ هذه الآية، وفي تقرير هذا المعنى وجهان الأوّل: قال الفراء والزجاج: العسر مذكور بالألف واللام، وليس هناك معهود سابق فينصرف إلى الحقيقة، فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئاً واحداً. وأما اليسر فإنّه مذكور على سبيل التنكير، فكان أحدهما غير الآخر، وزيف الجرجاني هذا وقال: إذا قال الرجل: إنّ مع الفارس سيفاً، إنّ مع الفارس

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٠.

سيفاً، يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان، ومعلوم أن ذلك غيرلازم من وضع العربية، الوجه الثاني: أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى، كما كرر قوله:«ويل يومئذ للمكذبين» [1]. ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، كما يكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، والمراد من اليسرين: يسر الدنيا وهو ما تيسر من استفتاح البلاد، ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة، لقوله تعالى:«هل تربصون بنا إلّا إحدى الحسنيين» [2] وهما حسن الظفر وحسن الثواب، فالمراد من قوله:«لن يغلب عسر يسرين» هذا، وذلك لأنّ عسر الدنيا بالنسبة إلى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالمغمور القليل» [3].

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [4].

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [5].

الآية الأُولى بمعنى: اقرء مفتتحاً باسم ربّك فقل مثلًا بسم الله الرحمن الرحيم وأقرأ القرآن أو أقرأ وأجعل فعلك وهو القرائة لله تعالىٰ وافعله له لا لغيره.

والآية الثانية بمعنى أقرأ له والله تعالى أكرم من انّ لا يعطيك ما يخطر ببالك، وقال الطبرسي نقلًا عن الجبائي:

«وقيل: امره في الأوّل بالقرائة لنفسه وفي الثاني بالقرائة للتبليغ وليس بتكرارٍ» [6].

١ـ سورة المطففين، آية ١٠.

٢ـ سورة التوبة، آية ٥٢.

٣ـ تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ٧.

٤ـ سورة العلق، آية ١.

٥ـ سورة العلق، آية ٣.

٦ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٩.

وقال الرازي قولان آخران وهو:

«... أقرأ ... اوّلًا للتعلّم من جبرئيل والثاني للتعليم، أو أقرأ في صلاتك والثاني خارج عن صلاتك»[١].

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

نزلت الآيتان للوعيد بعد وعيد فلا يعد تكراراً وقيل نزلت الأُولى في القبر ونزلت الثانية في القيمة، أو نزلت الأُولى للكفار والثانية للمؤمنين فالأُولىٰ كانت وعيداً والثانية كانت وعداً للمؤمنين.

قال الخطيب الاسكافي:

«انّ أحدهما توعد غير ما توعد به الآخر، فالأوّل توعد بما ينالهم في الدّنيا والثاني توعد بما أعد لهم في الأُخرىٰ، وقيل الاول ما يلقونه عند الفراق اذا بشروا بالمصير الى النّار، والثاني ما يرونه من عذاب القبر، فكلاهما عذاب في الدنيا، الّا ان أحدهما غير الآخر وهو مثله في الشدة، فلذلك اعيد بتلك اللفظة، وإذا حمل عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لم يكن تكراراً»[٤].

وقال الطبرسي في تفسيره:

«ثم أكدّ ذلك (الوعد) وكرّره فقال: «ثمّ كلا سوف تعلمون» قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد، والمعنى سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم، إذا نزل بكم الموت،

١ـ تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٧.

٢ـ سورة التكاثر، آية ٣.

٣ـ سورة التكاثر، آية ٤.

٤ـ درة التنزيل، ص ٥٣٥.

وقيل: معناه سوف تعلمون في القبر، ثمّ سوف تعلمون في الحشر رواه زرّ بن حبيش عن علي عليه السلام» [1].

وفي تكرار «كلا» نقول انّه عقبه في كلّ موضع بغير ماعقب به في الموضع الآخر وهذا ليس بتكرير.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [2].

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [3].

نزلت الآية الأُولىٰ للروية من مكان بعيد، والثانية من مكان قريب اذا صاروا الى شفير جحيم، أو نزلت الاولىٰ عندالورود في الجحيم، والثانية عندالدخول فيها، أو نزلت الأُولى بيانا للوعد، ونزلت الثانية عند مشاهدة الجحيم أو نزلت لرؤيتها مرّة بعد أُخرىٰ، أو نزلت الأُولى في رؤيتها قبل يوم القيمة، ونزلت الثانية في رؤيتها يوم القيمة وهو وجه جيد.

قال الطبرسي في تفسيره وجه آخر وهو أجود.

«ثم استأنف سبحانه وعيدًا آخر فقال «لترون الجحيم» على نية القسم عن مقاتل، يعني حين تبرز الجحيم في القيمة قبل دخولهم اليها، «ثمّ لترونها» يعني بعد الدخول اليها «عين اليقين» كما يقال حقّ اليقين ومحض اليقين ومعناه: ثمّ لترونها بالمشاهدة إذا دخلتموها وعذبتم بها» [4].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٢.

٢ـ سورة التكاثر، آية ٦.

٣ـ سورة التكاثر، آية ٧.

٤ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٢.

دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

قد مرّ البحث عن سبب التكرار في مواضع مختلفة من هذه السورة فلاحاجة لاعادتها هنا ولكن ننقل ما قاله الطبرسي في تفسيره عن سبالتكرار.

«ولا أنتم عابدون ما أعبد» فيما بعد اليوم من الأوقات المستقبلة، عن ابن‌عباس ومقاتل. قال الزجاج: نفي رسول‌الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال، وفيما يستقبل. ونفي عنهم عبادة الله في الحال، وفيما يستقبل. وهذا في قوم أعلمه‌الله سبحانه أنّهم لا يؤمنون، كقوله سبحانه في قصة نوح عليه السلام «إنّه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن». وقيل أيضاً في وجه التكرار: إنّ القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والإفهام، فيقول المجيب: بلى، بلى. ويقول الممتنع: لا، لا، عن الفراء، قال: ومثله قوله تعالى:«كلا سوف تعلمون * ثمّ كلا سوف تعلمون».

وقال: وهذا أولى المواضع بالتأكيد، لأنّ الكافرين أبدوا في ذلك، وأعادوا. فكرّر سبحانه ليؤكد إياسهم وحسم أطماعهم بالتكرير. وقيل أيضاً في ذلك: إن المعنى لا أعبد الأصنام التي تعبدونها، ولا أنتم عابدون الله الذي أنا عابده، إذا أشركتم به، واتخذتم الأصنام وغيرها تعبدونها من دونه. وإنّما يعبدالله من أخلص العبادة له، ولا أنا عابد ما عبدتم أي: لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية. ولا أنتم عابدون ما أعبد أي: وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه. فأراد في الأول المعبود، وفي الثاني العبادة. فإن قيل: أما اختلاف المعبودين فمعلوم، فما معنى اختلاف العبادة؟ قلنا: إنّه يعبدالله على وجه الإخلاص، وهم يشركون به في عبادته، فاختلفت العبادتان. ولأنّه كان يتقرب بعبادته إلى معبوده بالأفعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة، وهم لا يفعلون ذلك، وإنّما

يتقرّبون إليه بأفعال يعتقدونها قربة جهلًا من غير شرع»[1].

وقال الرازي:

المسألة الأولى: في هذه الآية قولان: أحدهما: أنّه لا تكرار فيها والثاني: أن فيها تكراراً، أمّا الأوّل: فتقريره من وجوه أحدها: أنّ الأوّل للمستقبل، والثاني للحال والدليل على أنّ الأوّل للمستقبل أن لا تدخل إلّا على مضارع في معنى الاستقبال، أن ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا، وقال الخليل في لن أصله لا أن، إذا ثبت هذا فقوله: «لا أعبد ما تعبدون» أي لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي، ثمّ قال: «ولا أنا عابد ما عبدتم» أي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا أنتم في الحال بعابدين لمعبودي، الوجه الثاني: أن تقلب الأمر فتجعل الأوّل للحال والثاني للاستقبال والدليل على أن قول:«ولا أنا عابد ما عبدتم» للاستقبال أنّه رفع لمفهوم قولنا: أنا عابد ما عبدتم ولا شك أن هذا للاستقبال بدليل أنّه لو قال: أنا قاتل زيداً فهم منه الاستقبال، الوجه الثالث: قال بعضهم: كلّ واحد منهما يصلح للحال وللاستقبال، ولكنا نخص إحداها بالحال، والثاني بالاستقبال دفعاً للتكرار، فإن قلنا: إنّه أخبر عن الحال، ثمّ عن الاستقبال، فهو الترتيب، وإن قلنا: أخبر أوّلًا عن الاستقبال، فلأنّه هوالذي دعوه إليه، فهو الأهم فبدأ به، فإن قيل: ما فائدة الإخبار عن الحال وكان معلوماً أنّه ما كان يعبد الصنم، وأمّا الكفار فكانوا يعبدون الله في بعض الأحوال؟ قلنا: أمّا الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهّم الجاهل أنّه يعبدها سراً خوفاً منها أو طمعاً إليها وأمّا نفيه عبادتهم فلأنّ فعل الكافر ليس بعبادة أصلًا، الوجه الرابع وهو اختيار أبي مسلم أن المقصود من الأوّلين المعبود وما بمعنى الذي، فكأنّه قال: لا أعبد الأصنام

١ـ تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٤.

ولا تعبدون‌الله، وأمّا في الأخيرين فما مع الفعل في تأويل المصدر اي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشرك وترك النظر، ولا أنتم تعبدون عبادتي المبنية على اليقين، فإن زعمتم أنكم تعبدون إلهي، كان ذلك باطلًا لأنّ العبادة فعل مأمور به وما تفعلونه أنتم فهو منهي عنه وغير مأمور به، الوجه الخامس: أن تحمل الأولى على نفي الاعتبار الذي ذكروه، والثانية على النفي العام المتناول لجميع الجهات فكأنّه أولًا قال لا أعبد ماتعبدون رجاء أن تعبدوا الله، ولا أنتم تعبدون الله رجاء أن أعبد أصنامكم، ثمّ قال: ولا أنا عابد صنمكم لغرض من الأغراض، ومقصود من المقاصد ألبتة بوجه من الوجوه ولا أنتم عابدون وما أعبد بوجه من الوجوه، واعتبار من الاعتبارات، ومثاله من يدعو غيره إلى الظلم لغرض التنعيم، فيقول: لا أظلم لغرض التنعم، بل لا أظلم أصلًا لا لهذا الغرض ولا لسائر الأغراض. القولى الثاني: وهو أن نسلم حصول التكرار، وعلى هذا القول العذر عنه من ثلاثة أوجه، الأوّل: أن التكرير يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد كان التكرير أحسن، ولا موضع أحوج إلى التأكيد من هذا الموضع، لأنّ أولئك الكفار رجعوا إلى رسول‌الله ﷺ في هذا المعنى مراراً، وسكت رسول‌الله عن الجواب، فوقع في قلوبهم أنّه عليه السلام قد مال إلى دينهم بعض الميل، فلا جرم دعت الحاجة إلى التأكيد والتكرير في هذا النفي والإبطال، الوجه الثاني: أنّه كان القرآن ينزل شيئاً بعد شيء، وآية بعد آية جواباً عما يسألون فالمشركون قالوا: استلم بعد آلهتنا حتّى نؤمن بإلهك فأنزل الله «ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد» ثم قالوا بعد مدّة تعبد آلهتنا شهراً ونعبد إلهك شهراً فأنزل‌الله «ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد» ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملًا لم يكن التكرار على هذا الوجه مضراً ألبتة، الوجه الثالث: أن الكفار ذكروا تلك الكلمة مرّتين تعبد آلهتنا شهراً ونعبد إلهك شهراً وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فأتى الجواب على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فإن من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يجازى بدفع

تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافاً به واستحقاراً لقوله»[1].

وأنت ترىٰ انّ الوجهين الأخيرين من الوجوه الثلاثة للقول الثاني وهو الالتزام بالتكرار في السورة يدلان على عدم التكرار في الآية، فانّ نزول آيتين متماثلتين عقيب واقعتين وبيان كلام على نهج ما تكلم به السائل والمخاطب ليس بتكرار.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2].

الكلمة الأُولى «تبت» كانت دعاءً والثانية «تب» كانت جزاءً وهذا القول مثل قول الرجل: أهلك الله وقد هلك، وقيل انّ الأُولىٰ أيضاً خبر فأراد الله تعالى بالاولىٰ هلاك عمله وبالثانية هلاك نفسه، وقيل انّ الأُولى وردت لهلاك ماله، والثانية لهلاك نفسه، أو الأُولىٰ في هلاك نفسه، والثانية في هلاك ولده.

قال الرازي في تبيين هذا الوجه الأخير:

«... روى ان عتبة بن أبي‌لهب خرج الى الشام مع أُناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا قال لهم عتبة: بلغوا محمداً عنى، اني قد كفرت بالنجم اذا هوىٰ، وروى أنّه قال ذلك في وجه رسول‌الله وتفل في وجهه، وكان مبالغاً في عداوته، فقال: اللّهم سلط عليه كلباً من كلابك، فوقع الرعب في قلب عتبة وكان يحترز وهو مرعوب واناخ الإبل حوله كالسرادق، فسلط‌الله عليه الأسد والقى السكينة على الإبل فجعل الأسد يتخلل حتّى افترسه ومزقه».

وقال الرازي:

«فإن قيل نزول هذه السورة كان قبل هذه الواقعه وقوله «وتب» أخبار عن الماضي،

١ـ تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٤٦.

٢ـ سورة المسد، آية ١.

فكيف يحمل عليه؟ قلنا لأنّه كان في علمه تعالى انّ ذلك سوف يحصل»[1].

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2].

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[3].

تكرار اسم الجلاله بدلا عنِ الضمير لاستقلال كلّ جملة منهما حتّى تكون كلّ جملة وحدها كافية في تعريفه تعالىٰ.

قال الرازي في علّة تكرير لفظه «الله» في قوله «الله الصمد»:

«لو لم تكرر هذه اللفظة، لوجب في لفظ «أحد» و «صمد» انّ يردا أمّا نكرتين أو معرفتين، وقد بيّنا انّ ذلك غيرجايز، فلاجرم كرّرت هذه اللفظة حتّى يذكر لفظ «أحد» منكراً ولفظ «الصمد» معرفاً»[4].

وقال في وجه استحاله اتيان «أحد» و«الصمد» نكرتين أو معرفتين:

«الغالب على أكثر أوهام الخلق انّ كلّ موجود محسوس، وثبت انّ كلّ محسوس فهو منقسم، فاذا مالا يكون منقسماً لا يكون خاطراً بيان أكثر الخلق، أمّا الصمد فهو الذي يكون مصموداً إليه في الحوائج وهذا كان معلوماً للعرب بل لأكثر الخلق على ما قال:«وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ»[5].

وإذا كانت الاحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق، لاجرم جاء لفظ «احد» على سبيل التنكير ولفظ «الصمد» على سبيل

١ـ تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٦٨.

٢ـ سورة الاخلاص، آية ١.

٣ـ سورة الاخلاص، آية ٢.

٤ـ تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٨٣.

٥ـ سورة الزخرف، آية ٨٧.

التعريف»[1].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

قد تكرر لفظة «الناس» خمس مرات في هذه السورة وبعد الاختلاف في مضافها لايعد من التكرار مع انّه يمكن ان نقول المقصود من الأوّل الاجنة فالله يربيهم، والمقصود من الثاني الأطفال فالله تعالى يملكهم، والمراد بالثالث المكلفون من النّاس والله تعالى معبودهم والمراد بالرابع العلماء والشيطان يوسوسهم.

وقيل المراد بالأوّل الأطفال والله هو مربى الأطفال، والمراد بالثاني الشبان ويدل عليه لفظ «ملك» المنبئُ عن السياسة، والمراد بالثالث الشيوخ ويدل عليه لفظهاله المنبئ عن العبارة، والمراد بالرابع الصالحون فالشيطان مجدّ في اغوائهم، والمراد بالخامس الأشرار لعطفه على المعوذ منهم[2].

وليست هذه الاقوال الّا احتمالات ظنيّة لا تدل الّا على الاستحسنات.

قال الرازى في تفسيره:

«السبب في تكرير لفظ «الناس» انّه انّما تكررت هذه الصفات لأنّ عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار، ولأنّ هذا التكرير يقتضى مزيد شرف النّاس، لأنّه سبحانه كأنّه عرف ذاته بكونه ربّاً للنّاس، ملكاً للنّاس، اِلهاً للنّاس ولولا انّ النّاس اشرّ مخلوقاته لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربّاً وملكا والهاً لهم»[3].

١ـ تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٨٢.

٢ـارجع تفسير مجمع‌البيان، ج ١٠، ص ٤٩٧ وكتاب البرهان، رقم ٥٨٨.

٣ـ تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٩٨.

الخاتمة فى ثمرة البحث

اتضح لنا من خلال البحث ان القرآن غير مشتمل على التكرار المعنوى، بيد انه يشتمل على التكرار فى الحروف والكلمات التى لا محيص عنها كما يشتمل على التكرار فى المفاهيم الكلية و ذلک كالتكلم عن المبدأ والمعاد و الاصول و الفروع والقصص القرآنية.

فالقرآن مشتمل على معان سامية لاتستوعبها الكلمات العربية المحدودة فاقتضى التكرار فى الفاظه.

فكل آية بملاحظة سياقها الخاص والروح العامة اللتى تسرى فى آياتها و تسيطر على مبادئها الى خواتيمها و الدقة فى سنة نزولها و سبب نزولهاو... لها معنى خاص.

و حينئذ عندما نلاحظ الآيات التكرارية نرى فيها وجوهاً من الاختلاف نحو:

الاختلاف فى الموضوع والحكم فى آيتى ١٦ و ١٧ من سورة الملک.

و الاختلاف فى المشار اليه فى آيات ٢٥٢ من سورة البقرة و ١٠٨ من سورة آل عمران و ٦٠ من سورة الجاثية.

فمثلا تكرار قوله تعالى «فاولئک حبطت اعمالهم» اربع مرّات لاختلاف المشاراليه، فالآية الاولى تشير الى من يرتد عن دينه و الثانية تشير الى الكفار والذين يقتلون الانبياء بغير حق و الثالثة تشير الى المشركين و الرابعة تشير الى المنافقين.

فالقرآن مثله مثل اصابع اليد لا يوجد فيه تكرار بل لكل آية من آياته هدف خاص و معنى غير ما فى الآخر فكل ما فيه ليس الا التنويع.

و اما الدواعى للتكرار اللفظى فى القرآن الكريم فهى للتاكيد على المعانى المختلفة و

لتثبيت المفاهيم المتعددة فى قلوب الناس و لماجرت عادة العرب و دأبهم على التكرار و لبيان اعجاز القرآن و لغيرها من الاسباب التى مضى ذكرها.

الفهرس

المنابع والمصادر

ابن القيّم وحسّه البلاغی، عبدالفتاح لاشین، دارالرائد، بیروت، ۱٤۰۲هـ
البرهان في توجيه متشابه القرآن، تاج‌الدین محمد بن حمزة الکرمانی، دارالفضیلة، بیروت.
الاتقان في علوم القرآن، جلال‌الدین سیوطی، دارالکتب العلمیة، بیروت، مج۲ ۱٤۰۷هـ
اسرار التقدیم و التأخیر في لغةالقرآن، محمود سید شیخون، مکتبة الکتب الازهریة، القاهرة، ۱٤۰۳ هـ
اسرارالتکرار فياللغة القرآن، محمدالسید شیخون، مکتبة الکلیّات الازهریه، القاهرة، ۱٤۰۳ هـ
اسماء الله وصفاته، عمر سلیمان عبدالله الاشقر، دارالنقاش، الاردن، ۱٤۱۸ هـ
اشارات الاعجاز، بدیع‌الزمان سعید النورسی، دارالأبناء، بغداد، ۱٤۰٤ هـ
الاشباه والنظائر، مقاتل بن سلیمان، حققه محمود شحاته، هیئت المصریة العامة للکتاب، ۱۳۹۵ هـ
الاشباه والنظائر، عبدالملك بن محمدالثعالبی، حققه محمدالمصری، عالم الکتب، بیروت، ۱٤۰٤ هـ
الاعجاز القرآن، محمد عبدالکریم الخطیب، دارالفکر، بیروت، ۱۹۷٤ هـ
اعجاز القرآنی في وجوهه و اسراره، عبدالغنی محمد سعد البرکة، مکتبة وهبة، القاهرة، ۱٤۰۹ هـ
اعجازالقرآن الکریم، فضل حسن و سناء فضل عباس، مکتب الوطنیة، عمان ۱۹۹۱م.
اعجاز القرآن الکریم، محمد بن حسن بن عقیل موسی، دارالاندلس الخضراء، جدّة،

١٤١٧هـ
اعجاز القرآن و بلاغة النبوية، مصطفىٰ صادق الرافعي، دارالكتب العربي، بيروت، ١٣٩٣ هـ
الالهيات، جعفرالسبحانى، المركز الاسلامي للدراسات الاسلاميه، قم ج٢، ١٤١١هـ
اهداف كل سورة و مقاصدها، عبدالله محمود شحاته، الهيئة المصرية، مصر، ١٩٨٦م.
الاهداف الاعلامية في القصة القرآنية، محمد ناجى مشرح، دارالمجتمع، بيروت، ١٤١٢ هـ
الايجاز في آيات الاعجاز، محمد ابن اليسر عابدين، دارالبشائر، دمشق، ١٤١٣ هـ
الايجاز في كلام العرب، مختار عطيّه، دارالمعرفة الجامعيه.
براعة الاستهلال، محمد بدرى عبدالجليل، المكتب الاسلامى، بيروت، ١٤٠٥هـ
البرهان في تناسب السور القرآن، احمد بن ابراهيم ثقفى، جامعة الزيتون، تونس، ١٤٠٨ هـ
بلاغة القرآن في ادب الرافعي، فتحى عبدالقادر فريد، دارالمنار، القاهرة.
البيان في اعجاز القرآن، صلاح‌الدين عبدالفتاح خالدى، دارالعمار، عمان، الاردن، ١٤٠٩ هـ
الترتيب سورالقرآن، جلال الدين السيوطى، حققه سيد جميلى، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م.
التصوير الفنى في القرآن، سيد قطب، دارالشروق، القاهرة.
تفسير الأضواء البيان، الجكنى الشنقيطى، عالم الكتب، بيروت، ج ١٠.
تفسير الامثل، مكارم شيرازى، مؤسسة البعثة، بيروت، ج ٢٠، ١٤١٣هـ
تفسير البرهان، سيد هاشم حسينى البحرانى، البعثة، قم، ج ٥، ١٤١٧هـ
تفسير جامع البيان، ابن جرير طبرى، دارالمعرفة و دارالفكر، بيروت، ج ١٥، ١٤١٥هـ
تفسير جامع لاحكام القرآن، شمس‌الدين ابومحمد القرطبى، دارالغدالعربى، القاهرة، جز٢٠، ج١١، ١٤٠٨هـ

تفسير روح‌البيان، اسماعيل حق‌البروسوى، دارالفكر، بيروت، مج ۱۰، ط ۷، ۱٤۰٥هـ
تفسير روض‌الجنان و روح‌الجنان، ابوالفتوح رازى، بنيادپژوهشهاى‌اسلامى، مشهد، مج ۲۰، ۱۳٦٥ش.
تفسير فى ظلال القرآن، سيدقطب، دارالشروق، القاهرة، جزء ۳۰، مج٦،ط ۲۷، ۱٤۱۹هـ
تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، دارالفكر، بيروت، مج۷، ۱٤۰۳هـ
تفسير الكبير و مفاتيح الغيب، الفخر الرازى، دارالفكر، بيروت، جز۳۲، مج۱٦، ۱٤۱٥هـ
تفسير الكشاف، جارالله زمخشرى، دارالكتب العلمية، بيروت، مج ٤، ۱٤۱٥هـ
تفسير كنزالدقائق، محمد قمى المشهدى، الطبع و النشر، طهران، مج ۱۱، ۱٤۱۳هـ
تفسير محاسن التأويل، محمد جمال‌الدين القاسمى، دارالفكر، بيروت، جز ۱۰، مج۱۷، ۱۳۹۸هـ
تفسيرالمراغى، احمدمصطفى‌المراغى، دارالاحياء، بيروت، جز ۳۰، مج ۱۰، ط ۲، ۱۹۸٥م.
تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دارالمعرفة، بيروت، مج۱۲، ط ۲، ۱۳۹۳هـ
تفسير الميزان، محمد حسين طباطبايى، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات، بيروت، مج ۲۰، ۱٤۱۷هـ
تفسير مجمع‌البيان، امين‌الاسلام الطبرسى، مؤسسة الاعلمي، بيروت، مج ۱۰، ۱٤۱٥هـ
تفسير نورالثقلين، عبد على بن جمعه العروسى الحويزى، مطبعة اسماعيليان، قم، مج ٥، ط ٤، ۱٤۱٥هـ
التمهيد في علوم القرآن، استاذ محمد هادى معرفت، النشر الاسلامي، قم.
تناسق الدرر في مناسبات السور، جلال‌الدين ابوبكر سيوطى، حققه الدرويش، دارالكتب العربى، سوريه، ۱٤۰٤هـ
دراسة في اعجازالقرآن، عبدالقادر احمد عطا، دارالاعتصام، القاهرة.
دراسات القرآنية، محمد قطب، دارالشروق، القاهرة و بيروت، ۱٤۰۰هـ
درّة التنزيل، الخطيب الاسكافى، دارالافاق الجديدة، بيروت، ۱۹۷۹م.

سیکولوجیه القصة في القرآن، التهامی نقره، جامعیة الجزائر، ١٩٧١م.
شرح اسماءالحُسنی، ابوحامد الغزالی، مکتبة الحدیث، بغداد، ١٩٩٠م.
ظواهر القرآنیة، بدراوی زهران، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
عجائب القرآن، فخرالدین رازی، دارالکتب العلمیة، بیروت، ١٤٠٤ھ
علوم القرآن، سید محمد باقر حکیم، منشورات مجمع العلمی الاسلامی، طهران، ط٣، ١٤٠٣ھ
علوم القرآن، عدنان محمد زرزور، مکتب الاسلامی، بیروت، ١٤٠١ھ
فتح الباری، ابن الحجر العسقلانی، دارالمعرفة، بیروت، ج١٤، ١٣٩٠ھ
فکرة اعجاز القرآن، نعیم الحمصی، مؤسسة الرسالة، بیروت، ١٤٠٠ھ
القرآن دعوة الحقّ، محمد العفیفی، مطبعة العصریة، الکویت، ١٣٩٦ھ
القصص القرآنی في مفهومه و منطوقه، محمد عبدالکریم الخطیب، دارالمعرفة، بیروت، ١٣٩٥ھ
قضایا القرآنیة، فضل حسن عباس، دارالبشیر، عمان، ١٤٠٨ھ
قطوف من ریاض القرآن، منصور محمد منصور، مطبعة الامانة، مصر، ١٤٠٥ھ
کتاب التذکرة في القرائات، ابی الحسن طاهر بن عبدالمنعم، الزهراء، القاهرة، ١٤١٠ھ
کنزالمتشابهات، حافظ محمد محبوب، شمس الاسلام، حیدرآباد، ١٣٤٢ھ
مباحث في علوم القرآن، مناع خلیل قطان، مؤسسه الرسالة، بیروت، ١٤٠١ھ
المحذوفات، حاج محمد بن الحاج، مطابع سجل العرب، بغداد.
مدارج السالکین، ابن القیم الجوزیة، دارالحدیث، القاهرة، ج٣.
المشترك اللفظی، عبدالعال سالم مکرم، مؤسسة الرسالة، بیروت، ١٤١٧ھ
معالم التوحید، جعفر سبحانی، جعفر الهادی، دارالکتب الاسلامیة، طهران، ١٤٠٠ھ
معترك الاقران في اعجاز القرآن، ابوبکر السیوطی، دارالعلمیة، بیروت، ج٣، ١٤٠٨ھ
معجزات و عجائب من القرآن الکریم، محمد عبدالرحیم، دارالفکر، بیروت، ١٤١٥ھ
المعجزه الخالدة، حسن ضیاءالدین عتر، مؤسسة فوآد، بیروت، ١٤٠٩ھ

المغنى في أبواب التوحيد و العدل، قاضى أبي الحسن عبدالجبار، دارالعامة، الامارات العربية المتحدة، ١٣٨٠هـ
ملاك التأويل، احمد بن ابراهيم زبير الثقفى، دارالغرب الاسلامي، بيروت، ج٢ ١٤٠٣هـ
مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقانى، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ج٢، ١٤١٦هـ
من اعجاز البلاغى والعددى، ابو زهرا النجدى، الوكالة العالمية للتوزيع، دمشق، ١٤٠٧هـ
من بلاغة القرآن، احمد احمد بدوى، دارالنهضة الفجالة، القاهرة، ١٣٧٠هـ
نظم الدرر، برهان الدين ابن عمرالبقاعى، دارالكتاب الاسلامى، القاهرة، ج٢٢، ط٢، ١٤١٣هـ
النبوئة و الاعجاز، علاءالدين شمس‌الدين المدرس الكيلانى، دارالكتب العلمية، بغداد، ١٩٨٧م.
الوجوه والنظائر، حسين بن محمدالدامغانى، جامعة تبريز، ج٢، ١٤١٢ و ١٤١٦هـ
الوجوه و النظائر، سلوى محمد العوّار، دارالشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ

منشوراتی که به فضل خداوند تاکنون از مؤلف چاپ شده‌است.

بیان روان، میثم تمار، ۱۳۷۶، ۵۰۰۰نسخه، پنجم، وزیری، ۳۲۸، ۷۵۰۰ ریال.

حکومت اسلامی در نهج البلاغه (ویرایش اول)، طاووس بهشت، ۱۳۷۹، ۲۰۰۰، اول، وزیری، ۳۲۰، ۱۴۰۰۰ ریال.

الاضواءالفقهیه رسالة فی البلوغ، طاووس بهشت، ۱۳۸۰ش، ۱۴۲۲ق، ۳۰۰۰، اول، وزیری، ۱۶۰، ۸۵۰۰۰ ریال.

ازدواج و آداب زناشویی در آئینه حدیث، لاهیجی، ۱۳۸۲، ۵۰۰۰، چهارم، وزیری، ۲۲۴، ۸۵۰۰ ریال.

ره رستگاری ج۱، لاهیجی، ۱۳۸۲، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۴۱۶، ۲۰۰۰۰ ریال.

ره رستگاری ج۲، لاهیجی، ۱۳۸۲، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۴۲۸، ۲۰۰۰۰ ریال.

ره رستگاری ج۳، لاهیجی، ۱۳۸۲، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۴۰۸، ۲۰۰۰۰ ریال.

زفاف، نیلوفرانه، ۱۳۸۳، ۵۰۰۰، ششم، رقعی، ۲۰۸، ۱۲۰۰۰ ریال.

شگفتی‌های عالم برزخ، نیلوفرانه، ۱۳۸۳، ۵۰۰۰، دوازدهم، رقعی، ۱۹۲، ۱۰۰۰۰ ریال.

حکومت اسلامی در نهج البلاغه (ویرایش دوم)، نیلوفرانه، ۱۳۸۵، ۲۰۰۰، اول، وزیری، ۳۴۴، ۲۱۰۰۰ ریال.

تجوید قرآن، نیلوفرانه، ۱۳۸۵، ۳۰۰۰، اول، رقعی، ۱۶۰، ۱۲۰۰۰۰ ریال.

مستندات نهج الفصاحه، عصر غیبت، ۱۳۸۶، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۶۸۸، ۵۷۰۰۰ ریال.

تفسیر النبی صلی الله علیه و آله، عصر غیبت، ۱۳۸۶، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۳۰۴، ۲۸۰۰۰ ریال.

ما و ابلیس، نیلوفرانه، ۱۳۸۸، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۳۷۶، ۴۵۰۰۰ ریال.

مبانی تشیع در منابع تسنن، اسوه، ۱۳۸۸، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۵۰۰۰۰ ریال.

اخلاق در قرآن و سنت، جلد اول، دانشگاه علوم و معارف قران کریم، ۱۳۹۲، ۱۰۰۰، وزیری، ۲۵۰۰۰۰ ریال.

اخلاق در قرآن و سنت، جلد دوم، دانشگاه علوم و معارف قران کریم، ۱۳۹۲، ۱۰۰۰، وزیری، ۲۵۰۰۰۰ ریال.